الكتاب: الشيعة في الإسلام
المؤلف: السيد محمد حسين الطباطبائي
الجزء:
الوفاة: ١٤٠٢
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

الشيعة في الاسلام
تأليف
العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي
ترجمة: جعفر بهاء الدين

مقدمة المترجم
تعريف بالكتاب:
قد يتساءل البعض، من هم الشيعة؟ وما هو التشيع؟ متى وجد؟ وكيف نشأ؟ والى آخر ذلك من
الأسئلة.
فقال البعض، انهم فرقة استحدثت وتشعبت من الاسلام، وقال آخرون انهم غلاة ليسوا بمسلمين، وذهب جماعة إلى أنهم فرقة ضالة مضلة، لا يربطهم بالإسلام رابط، وما إلى ذلك
من الأقوال
كتاب الشيعة في الاسلام تحقيق جاد في تعريف الشيعة من جميع جوانبهم، لمن لم يتعرف
على الفكر الشيعي، فهو يجيب على جميع تلك التساؤلات، ويرد على الشبهات التي طالما
تمسك بها الأعداء، فجعلوها ذريعة للحط من شأن الشيعة ومقامهم.
لقد عالج المؤلف هذا الهدف دون تعرض لأهل السنة، في حين يقف مدافعا عن أصالة الشيعة، ويبين علل نشوئهم، وقد حاول المؤلف ان يعرض التشيع، وهو جانب من الاسلام
الأصيل، بعيدا عن التفرقة والانشقاق في صفوف المسلمين.
جاء الكتاب مبسطا وبلغة يفهمها الجميع، لا يستغني عنه

الشيعة ذاتهم وخاصة الشباب.
لقد قسم المؤلف – قدس سره – بحثه القيم هذا إلى ثلاثة فصول، استعرض خلالها تاريخ
الشيعة ومعتقداتهم وعلومهم.
فبحث في الفصل الأول، كيفية نشوء الشيعة وانقساماتها، وموجزا عن تاريخ الشيعة الاثني عشرية. واستعرض في الفصل الثاني، الفكر الشيعي، والطرق التي ينتهجها في الاحتجاج، من ظواهر دينية أو بحوث عقلية وتناول في الفصل الثالث، أصول الدين وفروعه
من وجهة نظر الشيعة، في الله سبحانه وصفاته، وفي معرفة النبي (ص) والوحي، في المعاد، وفي الإمامة، والفرق بين النبي والامام. وموجز عن تاريخ الأئمة الاثني عشر، ومبحث في ظهور المهدي – عليهم السلام –.
تعريف بالكاتب:
ولد المؤلف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في بيت علم وفضل، في بيت له تاريخ
طويل في خدمة شريعة الاسلام ومنهج الرسول وأهل بيته، إذ ان أربعة عشر من أجداد المؤلف كانوا من العلماء المبرزين في مدينة تبريز الإيرانية.
ولد سنة ١٣٢١ للهجرة، فتابع دراسته الأولية هناك، ثم رحل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٤ هجري، ومكث هناك، مدة لا تقل عن عشر سنوات، اكتسب خلالها مختلف العلوم
الاسلامية، فدرس الفقه والأصول، والفلسفة والرياضيات والأخلاق، ثم رجع إلى موطنه سنة ١٣٥٤ هجري.
لم يكتف بدراسة الفقه والأصول بشكلها المبسط، وانما تعمق في دراسة هذين العلمين،
وتناول دراسة علم النحو والصرف أيضا، ودراسة الأدب العربي، وتطرق إلى دراسة علم الرياضيات

القديم ك أصول أقليدس والمجسطي لبطليموس، والفلسفة وعلم الكلام والعرفان والتفسير أيضا.
ذاعت شهرته في إيران، بعد أن هاجر من مسقط رأسه إلي مدينة قم، إثر الحوادث السياسية
للحرب العالمية الثانية، فأقام فيها سنة ١٣٦٥ هجري، وشرع بتدريس التفسير والحكمة
والمعارف الاسلامية، ولم يتوان في البحث مع المخالفين، فأرشد العديد منهم إلى طريق
الحق والصواب.
كان لمحاضراته في الحوزة العلمية، أثر بليغ في طلابها، بل شملت المثقفين أيضا.
فكانت لقاءاته مع الأستاذ هنري كربن مستمرة في كل خريف، يحضرها جمع من الفضلاء
والعلماء، تطرح فيها المسائل الدينية والفلسفية، فكانت لها نتائجها المثمرة.
ومن الجدير بالذكر ان تلك اللقاءات والمباحثات لم يكن لها نظير في العالم الاسلامي، منذ القرون الوسطى حين كان التلاقح الفكري بين الاسلام والمسيحية.
أحيا العلامة الطباطبائي، العلوم العقلية وتفسير القرآن، فاهتم بتدريس الحكمة، فشرع بتدريس كتاب الشفاء والأسفار.
كان يمتاز بدماثة الخلق، فكان عاملا رئيسيا في شد الطلاب إلى محاضراته القيمة، إذ كان يحضرها المئات، فنال الكثير منهم درجة الاجتهاد في الحكمة وأصبحوا أساتذة قادرين على تدريسها.
كان العلامة يحرص على الأخلاق وتزكية النفس فضلا عن اهتمامه بالحكمة والعرفان، ويمكن القول بأنه أسس مدرسة جديدة في التربية وعلم الأخلاق، فقدم للمجتمع نماذج
تتصف بأخلاق اسلامية عالية، وكان يؤكد كثيرا على ضرورة تلازم

التعاليم الاسلامية مع التربية المدرسية، ويعتبرها من المسائل الأساسية في المعارف الاسلامية، الا انه من المؤسف لم يراع هذا الأمر في المدارس الحديثة ببلاد المسلمين.

مؤلفاته:

١) تفسير الميزان في (٢٠) جزءا باللغة العربية، وترجم إلى الفارسية والإنجليزية.
٢) مبادئ الفلسفة وطريقة المثالية، مع شرح وهوامش للعلامة الفيلسوف الشهيد مرتضى
المطهري.
٣) شرح الأسفار لصدر الدين الشيرازي، في ستة مجلدات.
٤) حوار مع الأستاذ هنري كربن في مجلدين.
٥) رسالة في الحكومة الاسلامية، طبعت بالعربية والفارسية والألمانية.
٦) حاشية الكفاية.
٧) رسالة في القوة والفعل.
٨) رسالة في اثبات الذات.
٩) رسالة في الصفات.
١٠) رسالة في الافعال.
١١) رسالة في الوسائط.
١٢) الانسان قبل الدنيا.
١٣) الانسان في الدنيا.
١٤) الانسان بعد الدنيا.
١٥) رسالة في النبوة.
١٦) رسالة في الولاية.
١٧) رسالة في المشتقات

١٨) رسالة في البرهان.
١٩) رسالة في المغالطة.
٢٠) رسالة في التحليل.
٢١) رسالة في التركيب.
٢٢) رسالة في الاعتبارات.
٢٣) رسالة في النبوة والمنامات.
٢٤) منظومة في رسم خط النستعليق.
٢٥) علي والفلسفة الإلهية.
٢٦) القرآن في الاسلام.
٢٧) الشيعة في الاسلام، (الكتاب الحاضر).
هذا فضلا عن المقالات المتعددة التي كانت تنشر في المجلات العلمية آنذاك.
لعل من أهم آثار العلامة ومؤلفاته هو كتابه الميزان في تفسير القرآن ويعتبر من التفاسير القيمة لهذا العصر، فقد خدم هذا التفسير المجتمع الاسلامي، كما خدمت التفاسير القيمة القديمة المسلمين، بتناسبها وتلازمها مع العلوم والفلسفة حينئذ، لفهم معاني القرآن في العصور السالفة.
لقد اتخذ العلامة نهجا خاصا في تفسيره هذا، إذ يبتني على نص الحديث، وهو تفسير القرآن بالقرآن.
لقد قضى العلامة عمرا في خدمة الدين الحنيف، والمجتمع الاسلامي، فكان - ولا يزال -
منارا لرواد الفضيلة والعلم، فقد أنار الطريق للعديد ممن قرأوا مصنفاته، وحضروا مجلسه، فمنحهم روحا علمية خالصة واتجاها فكريا سليما، حفظه الله تعالى وأيده، ومنحه الصحة والعافية.

مقدمة المؤلف
الكتاب الذي بين أيدينا الشيعة في الاسلام يعرب عن حقيقة مذهب التشيع وماهيته، وهو أحد المذهبين الرئيسيين الاسلاميين الشيعي والسني.
يستعرض الكتاب، كيفية نشوء المذهب الشيعي، وأسلوب التفكير الديني لدى الشيعة، والمعارف الاسلامية من وجهة نظرهم.
الدين: لا شك في أن أي انسان يميل في حياته إلى أبناء جنسه، ولا تخلو أعماله التي يقوم بها في بيئته، من صلة بعضها بالبعض الآخر. كالأكل والشرب، والسكون والحركة،
والنوم واليقظة في الوقت الذي تنفصل كل من هذه الأفعال والحركات عن الأخرى، تكون
مرتبطة بعضها بالبعض ارتباطا وثيقا.
على هذا الأساس، فان الأعمال التي يقوم بها الانسان في حياته، تتحقق في حدود نظام لا يتعداه، وتنبع من نظرة معينة، الا وهي ان الانسان يريد ان يحيى حياة سعيدة، يظفر بآماله وأمنياته. وبعبارة أخرى، يطمح الانسان قدر استطاعته إلى تحقيق متطلباته بصورة أكمل، وما ذلك الا للحفاظ على وجوده وبقائه.
وانطلاقا من هذه النظرة، بات الانسان ينظم أعماله وفق قوانين وأحكام، وضعها بميله، أو اقتبسها من آخرين. وبالتالي نجده يتخذ أسلوبا خاصا في حياته. فهو يكد ويسعى من
اجل اعداد متطلبات حياته، لأنه يعتبرها من الأسس والمقومات لها.
فهو يبادر إلى تناول الماء والطعام، ليسد بها عطشه وجوعه، لان الأكل والشرب، حاجتان
ضروريتان لاستمرار الحياة.
ان هذه القوانين التي تحكم حياة الانسان، تبتنى على اعتقاد أساسي والانسان يعتمد عليها في بناء علاقاته، وهو تصوره عن الحياة والكون، والذي هو

جزء منه، وتأملاته عن حقيقتها، ويتضح هذا الموضوع بالتأمل في الآراء المختلفة التي يرتأيها الناس في حقيقة العالم.
فالذين يحصرون الوجود في هذا العالم المادي المحسوس، ويعدون الانسان كائنا ماديا محضا (يحيى بتدفق الحياة في جسمه، ويفنى بالموت) فان نظرتهم هذه إلى الحياة نظرة
مادية بحتة، فهم يسعون إلى تحقيق متطلباتهم المادية، ويبذلون في هذا السبيل قصارى جهودهم لتذليل الظروف والعوامل الطبيعية لأغراضهم ومصالحهم الخاصة.
واما الذين يعتقدون بأن عالم الطبيعة من صنع خالق أعلى شأنا من الطبيعة، مثل عبدة الأوثان، فإنهم يذهبون إلى أن العالم مخلوق، وخاصة الانسان، وقد أسبغ الخالق نعمه عليه، كي ينعم بخيراتها، فهم ينسقون برامج حياتهم وفقا لرضى الخالق، مبتعدين عن سخطه وغضبه، فإذا ما استطاعوا جلب رضاه، فنعمه موفورة، مغدقة عليهم، وإذا زالت النعم فدليل سخطه عليهم.
وهناك من يعتقد بالله سبحانه وحده، وينظر إلى حياة الانسان خالدة، وهو مسؤول عن أعماله خيرها وشرها، ويقر بيوم الجزاء (القيامة) كالمجوس واليهود والنصارى والمسلمين، فهم يسلكون طريقا في حياتهم، مراعين فيه هذا الأصل الاعتقادي، كي يحصلوا على سعاة الدارين، الدنيا والآخرة.
ان مجموع هذه المعتقدات والأسس (الاعتقاد بحقيقة الانسان والكون) وما يلازمها من
احكام، وأنظمة متناسقة، والتي تدخل في نطاق عملهم في الحياة تسمى ب المذهب مثل
مذهب التسنن والتشيع في الاسلام، أو مذهب الملكاني والنسطوري في المسيحية.
وبناء على ما تقدم، يستحيل على الانسان – وان كان منكرا لوجود الله تعالى – ان يكون في غنى عن الدين (دستور الحياة الذي بني على أصل اعتقادي). فالدين اذن طريقة
الحياة التي لا تنفك عنها.
والقرآن الكريم، يشير إلى أن الانسان لابد ان ينتهج الدين طريقا له ومسلكا، وهذا الطريق قد جعله الله تعالى لكافة البشر، وبانتهاجه يصل إلى الله جل وعلا.
ولكن الأمر يختلف بالنسبة إلى الافراد، فأما الذين سلكوا الدين الحق وهو الاسلام، فقد سلكوا طريق الصواب، واما الذين مالوا عن هذا الطريق، فقد ضلوا ضلالا مبينا ١.

---

١) الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا الآية ٤٤، سورة الأعراف.

الاسلام: الاسلام لغة، هو الانقياد لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض، وقد أطلق القرآن الكريم، كلمة الاسلام على هذه الدعوة، وإطاره العام هو تسليم الانسان امام رب العالمين ١. والا يعبد الا الله الواحد الاحد، والا يتبع الا أوامره.
والقرآن الكريم يخبرنا ان إبراهيم الخليل – عليه السلام – هو أول من سمى هذا الدين بالاسلام، ومتبعيه بالمسلمين. ٢
الشيعة: يراد بها الاتباع، وتطلق على الذين يرون ان الخلافة بعد النبي (ص) منحصرة في أهل بيته. والمراد منها في المعارف الاسلامية، التابعون لأهل البيت – عليهم السلام –. ٣

---

١) ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن وابتع ملة إبراهيم حنيفا الآية ١٢٥، سورة النساء. قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون الآية ٥٨، سورة آل عمران.
يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة الآية ٢٠٨، سورة البقرة.
٢) ربنا اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة كل الآية ١٢٨، سورة البقرة.
ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين الآية ٧٨، سورة الحج.
٣) تطلق كلمة الشيعة على طائفة من الزيدية، التي تقر بخلافة الخليفتين الأول والثاني، قبل الإمام علي (ع)، وتتبع فقه أبي حنيفة في الفروع، والسبب في هذه التسمية، هو انهم كانوا يرون الخلافة لعلي وأولاده، قبال خلافة بني أمية وبني العباس.

الفصل الأول: كيفية نشوء الشيعة وتطورهم.. (الف: كيفية النشوء)
١) بداية نشوء الشيعة وكيفيته.
٢) سبب انفصال الأقلية الشيعية عن أكثرية السنة، وظهور الاختلافات.
٣) موضوعا الخلافة والمرجعية العلمية.
٤) الطريقة السياسية للخلافة الانتخابية، ومغايرتها للفكر الشيعي.
٥) انتهاء الخلافة إلى أمير المؤمنين (ع) وسيرته.
٦) ما حصلت عليه الشيعة طوال خلافة الإمام علي (ع) في خمس سنوات.
٧) انتقال الخلافة إلى معاوية وتحولها إلى ملوكية موروثة.
٨) الأيام العصيبة التي مرت بها الشيعة.
٩) استقرار ملوكية بني أمية.
١٠) الشيعة في القرن الثاني للهجرة.
١١) الشيعة في القرن الثالث للهجرة.
١٢) الشيعة في القرن الرابع للهجرة.
١٣) الشيعة في القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجري.
١٤) الشيعة في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة.
١٥) الشيعة في القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة.

١. بداية نشوء الشيعة

يجب ان نعلم أن بداية نشوء الشيعة، والتي سميت لأول مرة بشيعة علي (أول امام من أئمة أهل البيت ع) وعرفت بهذا الاسم، كان في زمن النبي الأكرم (ص)، فظهور الدعوة
الاسلامية وتقدمها وانتشارها خلال ثلاث وعشرين سنة، من البعثة النبوية، أدت إلى ظهور مثل هذه الطائفة بين صحابة النبي الأكرم (ص) ١:

ألف) وفي الأيام الأولى من بعثته (ص) أمر بنص من القرآن الكريم، ان يدعو عشيرته الأقربين، ٢ وصرح في جمعهم ان أول من يبايعني على هذا الامر سيكون خليفتي ووصيي من
بعدي، فكان علي (ع) أول من تقدم، وقبل الاسلام. والنبي قبل ايمانه، وتعهد بكل ما وعده به ٣، ويستحيل عادة على قائد

---

١) أول اسم ظهر في زمن النبي (ص)، اسم الشيعة، واشتهر كل من سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار بهذا اللقب. حاضر العالم الاسلامي ١: ١٨٨.

٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

٣) جاء في الحديث عن علي (ع): وقلت: ولاني لأحدثهم سنا أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع. تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٦٣ - تاريخ أبي الفداء ج ١: ١١٦ - البداية والنهاية ج ٣: ٣٩ - غاية المرام ٣٢٠.

نهضة، وفي أيامها الأولى ان يعين أحد أصحابه وزيرا وخليفة له على الآخرين، ولا يعرفه للخلص من أصحابه وأعوانه، أو ان يكتفي بهذا الامتياز ليعرفه وليعرفه، ولا يطلعه على مهمته طوال حياته ودعوته، أو ان يجعله بعيدا عن مسؤوليات الوزارة والخلافة، ويغض النظر عن مقام الخلافة، وما يجب ان يبدي لها من احترام وتقدير، ولا
يفرق بينه وبين الآخرين.

ب) ان النبي الأكرم (ص) وفقا للروايات المستفيضة والمتواترة عن طريق أهل السنة والشيعة، والتي يصرح فيها ان عليا عليه السلام مصون من الخطأ والمعصية في أقواله وأفعاله، ١ وكل ما يقوم به فهو مطابق للدعوة وللرسالة، وهو اعلم الناس بالعلوم الاسلامية وشريعة السماء ٢.

ج) قام الإمام علي (ع) بخدمات جمة للرسالة وتضحيات مدهشة ٣، كمنامه في فراش النبي
(ص) ليلة الهجرة فلو لم يكن الإمام علي (ع) مشاركا في إحدى الغزوات (بدر واحد والخندق وخيبر)، لما حقق الاسلام ولا

---

١) عن أم سلمة قالت: لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ونقل هذا الحديث، عن ١٥ طريقا من العامة و ١١ طريقا من الخاصة ورواته أم سلمة، وابن عباس، وأبو بكر، وعائشة، وعلي، وأبو سعيد الخدري، وأبو ليلى، وأبو أيوب الأنصاري، غاية المرام ٥٣٩ - ٥٤٠. قال رسول الله (ص): رحم الله عليا دار الحق معه حيث دار. البداية والنهاية ج ٧: ٣٦٠.

٢) عن علقمة قال: كنت عند رسول الله (ص)، فسئل عن علي فقال: قسمت الجنة عشرة أجزاء، أعطى علي تسعة والناس جزءا واحدا.

٣) عند ما قرر كفار مكة قتل محمد (ص) وحاصروا بيته، صمم النبي (ص) ان يهاجر إلى المدينة، فقال لعلي: هل أنت مستعد ان تبيت في فراشي حتى يظنوا بأنني نائم، فأكن في مأمن منهم، وافق علي (ع) على الاقتراح بكل سرور.

المسلمون انتصارا في إحداها. وكان القتل والفشل حليفهم ١.
د) موضوع غدير خم، والذي أعلن فيه النبي الأكرم (ص) الولاية العامة لعلي (ع) فجعله
على المسلمين ما كان له عليهم ٢.
من الطبيعي، ان هذه الخصائص والفضائل التي انفرد بها الإمام علي (ع)، والتي هي مورد
اتفاق الجميع ٣، والعلاقة الخاصة ٤، التي كان يبديها النبي الأكرم (ص). جعلت له مؤيدين محبين مخلصين، من صحابة النبي وأنصاره، كما أثارت لدى البعض الآخر الحقد
والحسد.
وفضلا عن هذا كله، فان كلمة شيعة علي وشيعة أهل البيت قد جاءت في كثير من أقوال النبي (ص) ٥.

---

١) راجع كتب التاريخ والحديث.
٢) حديث الغدير من الأحاديث المتفق عليه سنة وشيعة، وقد نقل هذا الحديث أكثر من مائة صحابي بأسانيد وعبارات مختلفة، وهي مدونة في كتب العامة والخاصة، لمزيد من التفصيل يراجع كتاب غاية المرام ص ٧٩ وكتاب العبقات مجلد الغدير، وكذا كتاب الغدير.
٣) تاريخ اليعقوبي طبع النجف الأشرف، المجلد الثاني صفحة ١٣٧ - ١٤٠ / تاريخ أبي الفداء المجلد الأول ص ١٥٦ / صحيح البخاري ج ٤: ١٠٧ / مروج الذهب ج ٢: ٤٣٧ ابن أبي الحديد ج ١: ١٢٧ و ١٦١.
٤) صحيح مسلم ج ٥: ١٧٦ / صحيح البخاري ج ٤: ٢٠٧ / مروج الذهب ج ٢: ٤٣٧ / تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٢٧ و ١٨١.
٥) عن جابر بن عبد الله قال، كنا عند النبي (ص)، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال والذي نفسي بيده، ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.
عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال النبي: هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.
وقد ورد هذان الحديثان، وأحاديث أخرى في كتاب الدر المنثور ج ١: ٣٧٩ وغاية المرام صفحة ٣٢٦.
٢. سبب انفصال الأقلية الشيعية عن أكثرية السنة، وظهور الاختلافات
كان شيعة علي (ع) وأصحابه يعتقدون اعتقادا راسخا ان الخلافة ستكون لعلي (ع) بعد وفاة النبي (ص) وذلك لما كان يتسم به (ع) من مقام

ومنزلة لدى الرسول (ص) والصحابة والمسلمين، وظواهر الأمور والحوادث تؤيد ذلك، عدا
ما حدث في أيام مرضه ١ (ص).
ولكن ما حدث هو غير ما كان يتوقعونه، ففي الوقت الذي التحق النبي (ص) بالرفيق الأعلى، ولم يغسل جسده الطاهر، ولم يدفن بعد، وحينما كان أهل البيت وعدد من الصحابة منصرفين في العزاء، واجراء المقدمات اللازمة، إذ وصلهم نبأ انصراف جماعة قليلة لتعيين الخليفة بعد الرسول (ص)، وهذه القلة التي غلبت الكثرة، قد بادرت بهذا الامر عجالة، دون ان يستشيروا أهل

---

١) لما مرض رسول الله (ص) مرض الموت، دعا أسامة بن زيد بن حارثة، فقال: سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش وان ظفرك الله بالعدو، فاقلل اللبث، وبث العيون وقدم الطلائع، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار الا كان في ذلك الجيش، منهم أبو بكر وعمر، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على جلة المهاجرين والأنصار، فغضب رسول الله (ص) لما سمع ذلك وخرج عاصبا رأسه، فصعد المنبر وعليه قطيفة، فقال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، لئن طعنتم في تأميري أسامة، فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله ان كان لخليقا بالإمارة، وابنه من بعده لخليق بها وأنهما لمن أحب الناس إلي، فاستوصوا خيرا شرح ابن أبي الحديد ج ١: ١٥٩.
قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة: ائتوني باللوح والدواة، أو بالكتف والدواة، اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقالوا: ان رسول الله ليهجر.
تاريخ الطبري ج ٢: ٤٣٦ / صحيح البخاري ج ٣ / صحيح مسلم ج ٥.
البداية والنهاية ج ٥: ٢٢٧ / ابن أبي الحديد ج ١: ١٣٣.
وقد تكررت مثل هذه الحادثة في مرض موت الخليفة الأول، وقد أوصى بخلافة عمر، وأغمي عليه في أثناء وصيته، فلم يعترض عمر على الامر، ولم ينسب إليه الهذيان، في حين انه أغمي عليه في أثناء الوصية، علما بان النبي (ص) معصوم، ولم يفقد وعيه حتى آخر لحظة من لحظات حياته. روضة الصفا ج ٢: ٢٦٠.

البيت، وأقرباء النبي (ص) وعشيرته وصحابته الا ان يروا أنفسهم قبال أمر واقع ١، وبعد
ان فرغ الإمام علي (ع)، ومن معه من الصحابة (كابن عباس والزبير وسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار) من دفن النبي (ص) اعلموا بالذي حدث، رفعوا علم المعارضة، فانتقدوا
القائمين بهذا الامر، وأبدوا اعتراضهم للخلافة الانتخابية، بإقامتهم جلسات متعددة، والجواب الذي سمعوه هو أن صلاح المسلمين كان في الذي حدث ٢.
فالانتقاد هذا والاعتراف أدى إلى انفصال الأقلية عن الأكثرية، واشتهر أصحاب الإمام علي
(ع) باسم شيعة علي فالقائمون بأمور الخلافة، كانوا يسعون وفقا للسياسة
آنذاك، الا يشتهر هؤلاء الأقلية بهذا الاسم، والا ينقسم المجتمع إلى أقلية وأكثرية، فكانوا يعتبرون الخلافة اجماعا، ويطلق على المعارض لها، متخلفا عن البيعة، ومتخلفا عن جماعة المسلمين، وأحيانا كان يوصف بصفات بذيئة أخرى ٣.
وفي الحقيقة ان الشيعة قد حكم عليها بالتخلف منذ الأيام الأولى، ولم تستطع ان تكسب
شيئا منذ ان أبدت معارضتها، والإمام علي (ع) لم يعلنها ثورة وحربا، رعاية لمصلحة الاسلام والمسلمين، ولفقدانه للأشياع بالقدر المطلوب، الا ان هؤلاء المعارضين لم يستسلموا للأكثرية من حيث العقيدة، وكانوا يرون ان الخلافة والمرجعية العلمية هي حق
مطلق للإمام علي (ع) ٤

---

١) شرح ابن أبي الحديد ج ١: ٥٨ و ١٢٣ - ١٣٥ - تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٠٢ - تاريخ الطبري ج ٢: ٤٤٥ - ٤٦٠.
٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٠ - ١٠٦ / تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٥٦ و ١٦٦.
مروج الذهب ج ٢: ٣٠٧ و ٣٥٢ / ابن أبي الحديد ج ١: ١٧ و ١٣٤.
٣) قال عمر بن حريث لسعد بن زيد قال: فخالف عليه أحد؟ قال: لا، الا مرتد أو من قد كاد ان يرتد، تاريخ الطبري ج ٢: ٤٤٧.
٤) قال رسول الله (ص): اني قد تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، الا انهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وقد روى هذا الحديث أكثر من ١٠٠ طريق عن ٣٥ شخصا من صحابة الرسول الأعظم (ص)، يراجع العبقات مجلد الثقلين - غاية المرام صفحة ٢١١.
قال رسول الله (ص): انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها. البداية والنهاية ج ٧: ٣٥٩.

فكان رجوعهم في القضايا العلمية والمعنوية إليه وحده، وكانوا يدعون إلى هذا الامر .١

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٠٥ - ١٥٠.
٣. موضوعا الخلافة والمرجعية العلمية
كان الشيعة يعتقدون ان ما يهم المجتمع أولا وقبل كل شئ هو وضوح وتبيان التعاليم الاسلامية ٢. ومن ثم نشرها في المجتمع، وبعبارة أخرى هي نظرة المجتمع إلى العالم والانسان نظرة واقعية، والوقوف على الواجبات والوظائف الانسانية (بالشكل الذي يكون فيه الصلاح الواقعي) والقيام بها، وان كانت مخالفة لأهوائهم وميولهم.
هذا من جهة ومن جهة أخرى فان قيام حكومة دينية ما هي الا لتنفيذ الاحكام الاسلامية في المجتمع، والحفاظ عليه، بحيث لا يعبد الناس الا الله جل وعلا. وان يحظوا بحرية تامة وعدالة فردية واجتماعية، وهاتان المهمتان يجب ان تناط إلى شخص يتسم بالعصمة والصيانة الإلهية، إذ من المحتمل ان يتعهد هذه المسؤولية أناس لم يسلموا من الانحراف الفكري والعقائدي، ولم
٢) كتاب الله والسنة النبوية وأئمة أهل البيت - عليهم السلام - خير دليل على تحريضهم لاكتساب العلم وقول النبي (ص) خير شاهد إذ يقول: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) البحار ج ١: ٥٥.

ينزهوا من الخيانة، وتتحول العدالة التي تمنح الحرية الاسلامية إلى ملوكية موروثة مستبدة، كملوكية كسرى وقيصر، وتتعرض التعاليم الاسلامية المنزهة إلى تحريف، كتعاليم
الأديان السماوية الأخرى، ولا تكون بمأمن من العلماء الذين قد ركبوا أهواءهم.
فالشخص الوحيد الذي قد نهج نهج الرسول (ص) في أعماله وأفعاله، وكان سديدا في سيرته، متبعا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) اتباعا كاملا هو الإمام علي ١ (ع).
وإذا كانت الأكثرية تدعي ان قريشا تعارض حكومة علي (ع) الحقة وخلافته، كان لزاما
عليهم ان يوجهوا المخالفين التوجيه الحسن، وان يرشدوهم إلى طريق الحق والصواب، كما
صنعوا مع ممتنعي الزكاة، فحاربوهم، ولم يتوانوا عن اخذ الزكاة منهم، لا ان يدحضوا الحق خوفا من مخالفة قريش.
نعم، ان الدافع الذي دفع الشيعة للمعارضة امام الخلافة الانتخابية، هو الخوف من عواقبه الوخيمة الا وهو فساد وسقم الطريقة التي ستتخذها الحكومة الاسلامية، وما يلازمها من انهدام الأسس العالية للدين، وقد أوضحت الحوادث المتتالية صحة هذه العقيدة بمرور الزمان والأيام، أكثر فأكثر، مما أدى بالشيعة إلى أن تكون ثابتة في عقيدتها، مؤمنة بأهدافها، علما بأنها قد كانت أقلية الا ان هذه الأقلية قد ذابت في الأكثرية ظاهرا، ولكنها بقيت تستلهم التعاليم الاسلامية من أهل البيت باطنا،
وكانت متفانية في نهجها وطريقها. وفي الوقت ذاته كانت تسعى في التقدم والرقي، والحفاظ على قدرة الاسلام وعظمته، فلم تبد مخالفتها علنا وجهارا، وكانت الشيعة تذهب إلى الجهاد سيرا مع الأكثرية، ولم يتدخلوا في الأمور العامة، والإمام علي (ع) كان يرشد الأكثرية لما فيه نفع الاسلام ٢، ومصلحة المسلمين.

---

١) البداية والنهاية ج ٧: ٣٦٠.
٢) تاريخ اليعقوبي صفحة ١١١ و ١٢٦ و ١٢٩.

٤. الطريقة السياسية للخلافة الانتخابية، ومخالفتها للفكر الشيعي
كان الشيعة يعتقدون ان شريعة الاسلام السماوية التي قد تعينت مضامينها في كتاب الله وسنة نبيه (ص) ستبقى خالدة إلى يوم القيامة دون ان يصيبها تغيير أو تحريف ١.
والحكومة الاسلامية لا يحق لها بأي عذر ان تتهاون في اجراء الاحكام اجراء كاملا.
فواجب الحكومة الاسلامية هو ان تتخذ الشورى في نطاق الشريعة ووفقا للمصلحة آنذاك،
ما يجب اتخاذه من قرارات، ولكن ما حدث من واقعة البيعة السياسية، وكذا حادث الدواة
والقرطاس، والذي حدث في أخريات أيام مرض النبي الأكرم (ص) لدليل واضح على أن
المدافعين عن الخلافة الانتخابية كانوا يعتقدون ان كتاب الله وحده يجب ان يحفظ ويحتفظ به كقانون، اما السنة وأقوال النبي الكريم (ص) فليس لها ذلك الاعتبار، وهم على اعتقاد ان الحكومة الاسلامية تستطيع ان تضع السنة جانبا إذا اقتضت المصلحة ذلك.
وهذه العقيدة تؤيدها الكثير من الروايات التي نقلت في خصوص الصحابة بعدئذ (الصحابة
ذو اجتهاد، فإذا ما أصابوا في اجتهادهم فإنهم

---

١) قوله تعالى في كتابه العزيز: (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، سورة حم السجدة الآية ٤٢.
ويقول في سورة يوسف (ان الحكم الا الله) أي ان الشريعة هي شريعة الله والتي تصل إلى الناس عن طريق النبوة، إذ يقول (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الأحزاب الآية ٤٠
وهو القائل أيضا (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) سورة المائدة الآية ٤٤.

مأجورون وإذا ما أخطأوا فهم معذورون)، وخير دليل على ذلك، ما حدث لخالد بن الوليد،
وهو أحد القواد للخليفة، إذ دخل ضيفا على أحد مشاهير المسلمين (مالك بن نويرة) ليلا. وتربص له فقتله، ووضع رأسه في التنور وأحرقه، وفي الليلة ذاتها واقع زوجة مالك، وبعد هذه الجناية التي تعرق لها الجباه، لم يجر الخليفة الحد عليه، متذرعا بعذر: الا وهو ان حكومته بحاجة إليه ١.
وكذا الامتناع من اعطاء الخمس لأهل البيت وأقرباء النبي الأكرم (ص) ٢ ومنع كتابة أحاديث النبي الكريم منعا باتا، وإذا ما عثر على حديث مكتوب عند شخص كان يحرق ٣
وكانت هذه السنة قائمة طوال خلافة الخلفاء الراشدين، وحتى زمن خلافة (عمر بن عبد
العزيز) ٤ الخليفة الأموي (٩٩ - ١٠٢) وقد تجلت هذه السياسة في خلافة الخليفة الثاني
(١٣ - ٢٥) للهجرة.
إذ ألغى بعض أحكام الشريعة مثل: حج التمتع ونكاح المتعة، وذكر (حي على خير العمل) ٥
في الأذان، وجعل الطلاق الثلاث نافذ الحكم،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١١٠ - تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٥٨.
(٢) الدر المنثور ج ٣: ١٨٦ / تاريخ اليعقوبي ج ٣: ٤٨ وفضلا عن هذا كله فان وجوب الخمس صريح في القرآن الكريم (واعلموا ان ما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) سورة الأنفال، الآية ٢١.
(٣) جمع أبو بكر في زمن خلافته خمسمائة حديث، تقول عائشة وجدت أبي مضطربا ذات ليلة حتى الصباح فقال لي في الصباح آتيني الأحاديث، فأحرقها جميعا.
كنز العمال ج ٥: ٢٣٧. كتب عمر إلى البلدان.
كنز العمال ج ٥: ٢٣٧. يقول محمد بن أبي بكر: ان الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس ان يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بحرقها، طبقات ابن سعد ج ٥: ١٤٠.
(٤) تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٥١ وغيره.
(٥) شرع النبي (ص) في حجة الوداع فعمل الحج للحجاج القادمين من مكان بعيد وفقا للآية (فمن تمتع بالعمرة) بشكل خاص، فمنع ذلك عمر في زمن خلافته، وكذلك المتعة كانت قائمة في زمن النبي (ص)، فمنعها عمر في أيام خلافته، وامر بإقامة الحد على المخالفين، واما ذكر (حي على خير العمل) فكان يذكر في عهد الرسول العظيم، في أذان الصلاة، ولكن عمر في خلافته قال إن هذه العبارة تقعد الناس عن الجهاد، فأبدلها بأخرى، وكذا موضوع الطلاق فما كان على عهد الرسول (ص) ان الطلاق إذا تعدد في مجلس واحد، فليس له اعتبار، ويعد طلاقا واحدا. ولكن عمر أجاز الطلاق الثلاث في مجلس واحد. فالمسائل هذه ونظائرها قد وردت في كتب الحديث والفقه والكلام لدى الفريقين

السنة والشيعة.

وغيرها ١، وفي زمن خلافته كان بيت المال يوزع بين الناس مع تباين ٢ والذي أدى إلى
ظهور طبقات مختلفة بين المسلمين، تثير الدهشة والقلق، وكان من نتائجها وقوع حوادث
دامية مفزعة، وفي زمنه كان معاوية في الشام يتمتع بسلطان لا يختلف عن سلطنة كسرى
وقيصر، وقد اسماه الخليفة بكسرى العرب، ولم يتعرض له بقول، ولم يردعه عن أعماله.
وبعد ان قتل الخليفة الثاني على يد غلام فارسي، ووفقا لأكثرية آراء الشورى البالغ عددهم ستة أعضاء والذي تم تشكيله بأمر من الخليفة، عين الخليفة الثالث، فعين أقرباءه الأمويين ولاة وأمراء، فجعل منهم الولاة في كل من الحجاز والعراق ومصر وسائر البلدان الاسلامية، فكانوا جائرين في حكمهم، عرفوا بشقاوتهم وظلمهم وفسقهم
وفجورهم، نقضوا القوانين الاسلامية الجارية، فالشكاوى كانت تنهال على دار الخلافة،
ولكن الخليفة الثالث كان متأثرا لما تربطهم به من صلة القربى، وخاصة مروان بن الحكم ٣ ولم يهتم بشكاوى الناس، وكان أحيانا يعاقب الشكاة ٤ فثار الناس عليه سنة ٣٥
للهجرة، وبعد محاصرة منزله، وصراع شديد قتلوه.

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٣١ / تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٦٠.
٢) أسد الغابة ج ٤: ٣٨٦ / الإصابة، المجلد الثالث.
٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٠ / تاريخ الطبري ج ٣: ٣٩٧. / تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٦٨.
٤) ثار جماعة من أهل مصر على عثمان، فأحس بالخطر، فندم، وطلب من علي بن أبي طالب العون والمساعدة، فقال علي لأهل مصر: ان معارضتكم هذه لم تكن الا لاحياء الحق، وقد ندم عثمان وتاب وهو القائل انني تائب مما مضى، وسأنجز لهم ما طلبوه خلال مدة أقصاها ثلاثة أيام، من عزل الولاة الجائرين، فكتب الإمام علي (ع) معاهدة من جانب عثمان، فعاد الجمع إلى بلادهم.
وفي أثناء الطريق، شاهدوا غلام عثمان، وهو راكب جمل عثمان متجها إلى مصر فأساؤوا الظن به، ففتشوه، فوجدوا لديه رسالة من عثمان لواليه على مصر. وقد حررت فيها ما مضمونه: عند وصول عبد الرحمن بن عديس إليك - وهو أحد المعارضين لعثمان - إجلده مائة جلدة، واحلق شعر رأسه ولحيته، واحكم عليه بالسجن لمدة مديدة، واعمل مثل هذا مع كل من عمرو بن حمق وسودان بن حمران وعروة بن نباع.
اخذت الرسالة من الغلام، وعادوا إلى عثمان ساخطين، فقالوا له: أنت أبطنت لنا الخيانة، فعرضت عليه الرسالة، فأنكرها عثمان، قالوا له: ان غلامك كان يحملها، أجاب:

قد قام بهذا العمل دون اذن مني، قالوا له: كان راكبا جملك، قال عثمان: قد سرق جملي. قالوا له: الرسالة بخط كاتبك، أجاب " كتبت دون علمي، قالوا: فعلى أية حال، الخلافة لا تليق بك، ويجب ان تستقيل من مقامك، لان الامر هذا لو كان على علم منك، فإنك خائن، وان لم يكن على علم منك، فلست جديرا بالخلافة وبهذا يثبت عدم صلاحيتك لهذه المهمة، فاما ان تتخلى عن الخلافة وتستقيل، واما ان تعزل الولاة الظالمين، فأجاب عثمان: لو أردتم ان أكون كما تريدون، اذن فمن الخليفة وصاحب الامر؟! انا أم أنتم؟! فنهضوا من مجلسه ساخطين عليه.

جاءت هذه الواقعة في كتاب تاريخ الطبري المجلد الثالث في صفحة ٤٠٢ وحتى ٤٠٩، ووردت ملخصة هنا من قبل المؤلف. (كلمة المترجم).

كان الخليفة يؤيد واليه على الشام تأييدا مطلقا وهو أحد أقاربه الأمويين (معاوية) وكان يدعم موقفه بتأييده المستمر له. وفي الحقيقة كان ثقل الخلافة في الشام، ولم يكن مركز الخلافة (المدينة) الا شكلا ظاهرا ١.

فخلافة الخليفة الأول قد استقرت بانتخاب أكثرية الصحابة، والخليفة الثاني عين من قبل الخليفة الأول، والخليفة الثالث انتخب من الأعضاء الستة للشورى الذين عينهم الخليفة الثاني.

فكانت سياسة هؤلاء الثلاثة في الأمور وشؤون الناس ان ينفذوا القوانين الاسلامية في المجتمع وفقا للاجتهاد والمصلحة آنذاك، ووفقا لما يرتأيه مقام الخلافة، فالقرآن يقرأ دون تفسير أو تدبر وأقوال الرسول العظيم (الحديث) تروى دون ان تكتب على قرطاس،

ولا تتجاوز حد الاذن واللسان فكانت الكتابة مختصة بالقرآن الكريم، والحديث لا يكتب

على الاطلاق ٢.

---

١) تاريخ الطبري ج ٣: ٣٧٧.

٢) صحيح البخاري ج ٦: ٩٨ / تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١١٣.

وبعد معركة اليمامة والتي انتهت في سنة ١٢ للهجرة بمقتل جمع من الصحابة كانوا من
حفظة القرآن، يقترح عمر بن الخطاب على الخليفة الأول ان يجمع القرآن في مصحف، ويبين
الهدف والغرض في اقتراحه بقوله: إذا ما حدثت معركة أخرى، واشترك فيها بقية حملة القرآن وحفظته، فسوف يذهب القرآن من بين أظهرنا، اذن يسلتزم جمع آيات القرآن في
مصحف، تكتب آياته، ١ فنفذوا هذا الاقتراح بالنسبة للقرآن الكريم.
ومع أن الأحاديث النبوية هي التالية للقرآن، وكانت تواجه نفس الخطر، ولم تكن بمأمن
من خطر نقل الحديث معنى، دون الالتفات إلى النص، وكذا الزيادة والنقصان، والتحريف
والنسيان، وما إلى ذلك من الاخطار التي كان يواجهه الحديث، فلم توجه عناية أو رعاية
لحفظه وصيانته، بل كان كتابة الحديث ممنوعا، وإذا ما حصلوا على شئ منه فكان يلقى
في النار.
ولم تمض فترة من الزمن حتى ظهر التضاد في المسائل الاسلامية الضرورية كالصلاة، ولم
يطرأ تقدم في بقية الفروع العلمية في هذه الفترة، في حين نرى القرآن الكريم يشجع المشتغلين بالعلم، وأحاديث النبي الكريم تؤيد ذلك، فلم ير لتلك الآيات والأحاديث مصداقا في الخارج، وانصرف أكثر الناس بالفتوحات المتعاقبة، وأعجبوا بالغنائم المتزايدة، والتي كانت تتدفق إلى الجزيرة العربية من كل صوب وحدب، ولم يكن هناك
اهتمام بعلوم سلالة الرسالة ومعدن الوحي، وفي مقدمتهم علي عليه السلام. والنبي (ص)
قد صرح معلنا ان عليا أعرف الناس بالعلوم الاسلامية، والمفاهيم القرآنية، ولم يسمحوا له بالمشاركة في جمع القرآن (وهم على علم من أن عليا بعد وفاة النبي (ص)

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١١١ / الطبري ج ٣: ١٢٩ - ١٣٢.

كان جليس داره يجمع القرآن) ولم يذكر اسمه في أنديتهم واجتماعاتهم ١.
قان هذه الأمور ونظائرها، أدت بشيعة علي إلى أن يقفوا موقفا أكثر وعيا وأرسخ عقيدة، وأشد نشاطا، ولما كان علي (ع) بعيدا عن ذلك المقام الذي يجعله مشرفا على التربية العامة للناس، انصرف إلى تربية الخاصة من شيعته وأنصاره.

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١١٣ / ابن أبي الحديد ج ١: ٩.
وقد ورد في روايات كثيرة انه أرسل على علي (ع) بعد انعقاد البيعة لأبي بكر، وطلب منه البيعة، فأجابه بأنني عاهدت نفسي الا اخرج من داري سوى وقت الصلاة حتى أكمل جمع القرآن، ويروى أيضا، ان عليا بايع أبا بكر بعد ستة أشهر، وهذا دليل على جمعه للقرآن، ويروى أيضا ان عليا بعد انتهائه من جمع القرآن، حمل القرآن على ناقة وجاء به إلى الناس ويروى أيضا، ان معركة اليمامة كانت في السنة الثانية من خلافة أبي بكر، وبعد انتهاء المعركة جمع القرآن، كل هذه تشير إليها كتب التاريخ والحديث التي تعرضت لموضوع جمع القرآن.
٥. انتهاء الخلافة إلى أمير المؤمنين (ع) وسيرته
بدأت خلافة علي (ع) في أواخر سنة خمس وثلاثين للهجرة، واستمرت حوالي أربع سنوات وتسعة أشهر، وكان في سيرته مماثلا لسيرة النبي الأكرم (ص) ٢، وأعاد معظم المسائل التي وجدت في زمن الخلفاء السابقين إلى حالتها الأولى، وعزل الولاة غير الكفوئين ٣.
وفي الحقيقة، أحدث انتفاضة ثورية، كانت تنطوي على مشاكل متعددة.
والإمام علي (ع) في الأيام الأولى من خلافته وقف مخاطبا الناس
٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٤.
٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٥ / مروج الذهب ج ٢: ٣٦٤.

قائلا الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم. والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة ولتسلطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرون سباقون كانوا سبقوا ١.

استمر الإمام علي (ع) في حكومته الثورية، فرفعت اعلام المعارضة من قبل المخالفين، كما هي طبيعة الحال لكل ثورة، إذ لابد من مناوئين، يرون مصالحهم في خطر، فأحدثوا

حربا داخلية دامية، بحجة الأخذ بثأر دم عثمان والتي استمرت طوال خلافة الإمام علي (ع) تقريبا. ويعتقد الشيعة ان المسببين لهذه الحروب لم يريدوا سوى منافعهم الخاصة، ولم يكن الثأر بدم عثمان الا ذريعة يتمسكون بها، ليحرضوا عوام الناس للمعارضة والنهوض أمام إمام الأمة وخليفتها، إذ ان هذه المعارضة لم تحدث عن سوء تفاهم ٢.

وما الأسباب والدوافع التي خلقت معركة الجمل الا غائلة الاختلاف الطبقي، والتي وجدت في زمن الخليفة الثاني أثر توزيع الأموال من بيت المال

---

١) نهج البلاغة خطبة رقم (١٥).

٢) بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) امتنع جمع قليل من شيعة علي من البيعة وكان في مقدمتهم من الصحابة سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار، وفي أوائل خلافة علي (ع) امتنع من البيعة جماعة، مثل سعيد بن العاص والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وغيرهم.

وعند دراسة حياة هذين الفريقين، والتأمل في أعمالهم طوال حياتهم، وما احتفظ به التاريخ من قصص، يتضح جليا كنه شخصيتهم وأهدافهم، فالفريق الأول كان من أصحاب النبي الأكرم (ص) المقربين، واشتهروا بزهدهم وعبادتهم وتضحيتهم للاسلام، قال رسول الله (ص): ان الله امرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم، قيل يا رسول الله من هم، قال: علي منهم (قال ذلك ثلاثة) أبو ذر وسلمان والمقداد.

سنن ابن ماجة ج ١: ٥٣.

عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص): ما عرض على عمار أمران الا اختار الأرشد منهما، سنن ابن ماجة ج ١: ٥٢.

بطرق متباينة، وبعد خلافة علي (ع) كانت الأموال توزع بين الناس بالسوية ١.
كما كان يفعله النبي (ص) في حياته، والطريقة هذه أثارت غضب الزبير وطلحة فمردا على النفاق، فخرجا من المدينة إلى مكة بحجة الحج، فاتفقا مع أم المؤمنين (عائشة) والتي كانت في مكة، ولم يكن بينها وبين علي صفاء ومودة، اتفقا ان يطالبوا بدم عثمان، فأضرموا نار الحرب ٢.
علما بان طلحة والزبير كانا في المدينة عندما حوصرت دار الخليفة الثالث، فلم يدافعا عنه، ولم ينصراه، ٣ وبعد مقتله، كانا من الأوائل الذين بايعوا عليا أصالة عن أنفسهم ونيابة عن المهاجرين ٤.
واما أم المؤمنين عائشة فقد كانت ممن حرضوا الناس لقتل الخليفة الثالث ٥، وعندما سمعت نبأ مقتله لأول مرة، قالت: بعدا وسحقا، وفي الحقيقة ان المسببين الأصليين لمقتل الخليفة كانوا من الصحابة، وذلك بارسال الرسائل إلى البلدان لغرض إثارة الناس على الخليفة.
واما السبب الذي أحدث حرب صفين، والتي استمرت سنة ونصف السنة، فهو طمع معاوية في
الخلافة، فأجج نارها متذرعا بدم عثمان، فأريقت الدماء، وقتل ما يقارب من مائة الف، وكان موقف معاوية من هذه الحرب موقف المهاجم، وليس موقف المدافع، لان الثأر يكون
دفاعا.
وكان شعار هذه الحرب، المطالبة بدم عثمان، علما بان الخليفة الثالث قد طلب المساعدة والعون من معاوية لرد الهجوم، وتحرك جيش معاوية من الشام متجها إلى المدينة، ولكنه تباطأ في سيره حتى قتل عثمان، وعندئذ

---

١) مروج الذهب ج ٢: ٣٦٢ / نهج البلاغة. خطبة رقم ١٢٢ / اليعقوبي ٢: ١٦٠.
ابن أبي الحديد ج ١: ١٨٠.
٢) اليعقوبي ج ٢ / أبي الفداء ج ١: ١٧٢ / مروج الذهب ج ٢: ٣٦٦.
٣) اليعقوبي ج ٢: ١٥٢.
٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٤ / تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٧١.
٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٢.

رجع إلى الشام يطالب بدم عثمان ١.
وبعد ان استشهد الإمام علي (ع)، تناسى معاوية قتلة الخليفة، ولم يعاقبهم. وبعد حرب صفين اندلعت نار حرب النهروان فثار جمع من الناس وفيهم بعض الصحابة بايعاز من معاوية ممن كان في حرب صفين، فثاروا على علي (ع)، فرحلوا إلى البلدان الاسلامية، فقتلوا كل من كان يدافع عن علي (ع) ففتكوا بالنساء الحوامل، مثلوا بهن وبأجنتهن ٢.
والإمام علي (ع) قد أخمد هذه الغائلة، ولكن بعد فترة استشهد في مسجد الكوفة أثناء الصلاة على يد الخوارج.

---

١) فكتب إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجه إليه في اثني عشر ألفا، ثم قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحة امره، فأتى عثمان، فسأله عن المدة فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله. ولكنك أردت ان اقتل فتقول: انا ولي الثأر، ارجع، فجئني بالناس! فرجع، فلم يعد إليه حتى قتل. تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٥٢ / مروج الذهب ج ٣: ٢٥ / الطبري ص ٤٠٢.
٢) مروج الذهب ج ٢: ٤١٥.
٦. ما حصلت عليه الشيعة طوال خلافة الإمام علي (ع) في خمس سنوات
الإمام علي (ع) طوال خلافته الأربع سنوات وتسعة أشهر، وان لم يوفق من إعادة الأوضاع المضطربة إلى حالتها الطبيعية، الا انه قد وفق من ثلاث جهات أساسية:
١) استطاع ان يظهر شخصية النبي الكريم (ص) المضيئة بسيرته العادلة للناس، وخاصة الشباب، فقد كان يواسي أفقر الناس في عيشه، امام تلك العظمة التي كان يتصف بها معاوية، إذ كان لا يقل عن كسرى وقيصر،

فالإمام علي لم يقدم أحدا من أصدقائه وأقربائه وعشيرته على الآخرين، ولم يرجح الغني على الفقير، ولا القوي على الضعيف.
٢) مع كثرة المشاكل المنهكة للقوى، فقد استطاع ان يضع في متناول أيدي المسلمين الذخائر القيمة من المعارف الإلهية والعلوم الاسلامية الحقة.
واما ما يقوله المخالفون لعلي (ع): انه كان رجلا شجاعا، ليس له علم بالسياسة، إذ كان يستطيع في بداية خلافته ان يرضى مخالفيه موقتا عن طريق المداهنة، وبعد ان يستتب له الامر كان باستطاعته ان يحاربهم ويقضي عليهم.
ولكن هؤلاء قد غفلوا عن ملاحظ هامة وهي ان خلافة علي كانت نهضة ثورية، وجدير بالنهضات، الثورية، ان تكون بعيدة كل البعد عن المداهنة والرياء، وقد حدث مثيله في زمن النبي (ص) في أوائل بعثته، فطلب الكفار والمشركون منه الصلح عدة مرات وطلبوا
منه الا يتعرض لآلهتهم، وهم ملزمون بعدم التعرض لدعوته أيضا، ولكن النبي (ص) رفض
هذا الاقتراح، في حين انه كان يستطيع ان يقيم معهم الصلح، ويحكم موقفه، ثم ينهض بوجه أعدائه، وفي الحقيقة ان الدعوة الاسلامية لن تسمح بإضاعة حق لإقامة حق آخر. أو
ان تزيل باطلا بباطل آخر. وفي القرآن آيات كثيرة في هذا الخصوص ١.
علما بان أعداء علي (ع) ومخالفيه، لم يرتدعوا عن القيام بأي جرم وجناية ونقض للقوانين الاسلامية الصريحة (دون استثناء) بغية الوصول إلى أهدافهم، فكانوا يبررون مواقفهم وأعمالهم بأنهم من صحابة النبي (ص) ومن مجتهدي الأمة، ولكن الامام عليا (ع)
كان ملتزما بالأحكام الاسلامية.
ويروى عن علي (ع) ما يقارب من إحدى عشر الف كلمة قصيرة في

---

١) شأن نزول الآية وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم سورة ص الآية ٥. والآية ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا سورة الإسراء الآية ٧٣. والآية ودوا لو تدهن فيدهنون سورة القلم الآية التاسعة، ويراجع المباحث الروائية في التفاسير.

المسائل العقلية والاجتماعية والدينية ١ وخطبه وكلماته البليغة ٢ مليئة بالمعارف الاسلامية ٣، وهو الذي أسس قواعد اللغة العربية، ووضع الأسس والمقومات للأدب العربي،
وهو أول من تبحر في الفلسفة الإلهية ٤، وتكلم وفقا لطريقة الاستدلال الحر والبرهان المنطقي، وتعرض لمسائل فلسفية لم يتعرض لها فلاسفة العالم حتى ذلك الوقت، فاهتم بهذا الشأن اهتماما بالغا، وحتى في أحرج ساعات الحرب ٥.
٣) هذب وربى العديد من رجال الدين وعلماء الاسلام ٦ وكان من بينهم جمع من الزهاد
وأهل المعرفة مثل: أويس القرني وكميل بن زياد وميثم التمار ورشيد الهجري، ويعتبر هؤلاء من المنابع الأصيلة للعرفان من بين العرفاء الاسلاميين، ويعتبر البعض الآخر منهم المصادر الرئيسية والأولية لعلم الفقه والكلام والتفسير وقراءة القرآن وغيرها.

---

١) كتاب الغرر والدرر للآمدي، وكتب الحديث.
٢) مروج الذهب ج ٢: ٤٣١ ابن أبي الحديد ج ١: ١٨١.
٣) الأشباه والنظائر للسيوطي في النحو ٢: / ابن أبي الحديد ج ١: ٦.
٤) يراجع نهج البلاغة.
٥) يروى ان أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين! أتقول ان الله واحد، فحمل الناس عليه وقالوا يا اعرابي اما ترى ما في أمير المؤمنين من تقسم القلب، فقال أمير المؤمنين (ع): دعوه فان الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال يا اعرابي ان القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فاما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد، فهذا لا يجوز لان مالا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد، اما ترى انه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع والجنس فهذا مالا يجوز، لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك، واما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، وقول القائل انه عزو جل أحدي المعنى يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عزو جل.
بحار الأنوار ٢: ٦٥ (كمباني).
٦) ابن أبي الحديد ج ١: ٦ - ٩.

٧. انتقال الخلافة إلى معاوية وتحولها إلى ملوكية موروثة
بعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام، تصدى لمنصب الإمامة الحسن بن علي (ع)،
وذلك وفقا لوصية الإمام علي (ع) ومبايعة الناس له. ويعتبر الامام الثاني للشيعة الاثني عشرية، ولكن معاوية لم يستقر ويهدأ لهذا الأمر، فجهز جيشه واتجه به إلى العراق مقر الخلافة، معلنا الحرب مع الحسن بن علي (ع).
أفسد معاوية رأي أصحاب الحسن (ع) بمختلف الطرق والدسائس، ومنح الأموال الطائلة لهم
واجبر الإمام الحسن (ع) على الصلح معه، وان تصير الخلافة إليه، على شرط ان تكون للحسن (ع) بعد وفاة معاوية، والا يتعرض إلى شيعته، فصارت الخلافة لمعاوية وفقا لشروط ١.
استولى معاوية على الخلافة (سنة ٤٠ للهجرة)، فاتجه إلى العراق، فخطب فيهم قائلا: يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج! وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون ٢.
وقال أيضا: الا ان كل دم أصيب في هذه مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ٣.

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٩٠ وسائر كتب التاريخ.
٢) ابن أبي الحديد ج ٤: ١٦٠ / الطبري ج ٤: ١٢٤ / ابن الأثير، ج ٣: ٢٠٣.
٣) المصادر السابقة.

ومعاوية بكلماته هذه يشير إلى أنه يريد ان يفصل السياسة عن الدين، فهو لا يريد الزام أحد بأحكام الدين، وانما كان اهتمامه بالحكومة فحسب، واستحكام مقوماتها، وبديهي ان
مثل هذه الحكومة ملوكية وليست خلافة واستخلافا لمنصب الرسول الكريم (ص).
وقد حضر
البعض مجلسه، فسلموا عليه بسلام الملوك ١، وكان يعبر في بعض مجالسه الخاصة، عن
حكومته بالملوكية، علما بأنه كان يعرف نفسه خليفة في خطبه. والملوكية التي تقام على القوة تتبعها الوراثة، وفي النتيجة كان الأمر كما أراد ونوى، فاستخلف ابنه يزيد، وجعله خليفة له من بعده، وكان شابا لا يتصف بشخصية دينية، إذ قام باعمال وجرائم يندى لها الجبين ٣.
فمعاوية مع بيانه السالف، كان يعني انه لم يرغب في أن يصل الحسن (ع) إلى الخلافة بعده أي انه كان يفكر في موضوع الخلافة بشئ آخر، وهو دس السم إلى الحسن (ع) ٤ فهو
بهذا الامر، قد مهد السبيل إلى ابنه يزيد، ومع الغائه معاهدة الصلح، كان يهدف إلى اضطهاد الشيعة، ولن يسمح لهم بالحياة المطمئنة، أو ان يستمروا كما في السابق في نشاطهم الديني، ووفق في هذا المضمار أيضا ٥.
وصرح معاوية في خصوص مناقب أهل البيت، بأن كل ناقل لحديث في هذا الشأن لم يكن بمأمن
في حياته وماله وعرضه ٦، وامر ان تعطى الهدايا

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٩٣.
٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٢٠١.
٣) كان يزيد صاحب طرب وجوار وكلاب وقرود ومنادمة على الشراب وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ، فجاء في بعض الأيام مسابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر مروج الذهب ج ٣: ٦٧.
٤) مروج الذهب ج ٣: ٥ / أبي الفداء ج ١: ١٨٣.
٥) النصائح الكافية ص ٧٢ نقلا عن كتاب الاحداث.
٦) روي أبو الحسن المدائني في كتاب الاحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة جاء فيه: انه برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تراب وأهل بيته، كتاب النصائح الكافية تأليف محمد بن عقيل طبع النجف سنة ١٣٨٦ هجري. ص ٧٧، وأيضا النصائح الكافية ص ١٩٤.

والجوائز لكن من يأتي بحديث في مناقب سائر الصحابة والخلفاء، وكانت النتيجة ان توضع
اخبار كثيرة في مناقب الصحابة ١، وامر ان يسب الإمام علي (ع) في جميع الأقطار الاسلامية من على المنابر (وهذا الامر كان ساريا حتى زمن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي سنة ٩٩ - ١١٠ هجري).
فقتل جماعة من خاصة شيعة علي (ع) بمساعدة عماله، وكان بعضهم من الصحابة، ورفعت
رؤوسهم على الرماح، تنقل من بلد لآخر، وكلف عامة الشيعة بسب علي (ع)، والتبري منه،
فكان القتل حليف من خالف وأبى ٢.

٨. الأيام العصيبة التي مرت بالشيعة

من أشد الأيام التي مرت بها الشيعة قساوة، هو زمن حكومة معاوية بن أبي سفيان، والتي استمرت زهاء عشرين عاما، ولم تكن الشيعة بمأمن، وكان أغلب رجال الشيعة يشار
إليهم بالبنان - ولم تكن لدى الحسن والحسين عليهما السلام، اللذين عاصرا معاوية، أدنى وسائل تمكنهم من القيام، والقضاء على الأوضاع المؤلمة. والإمام الحسين (ع) عندما نهض في الأشهر الأولى من حكومة يزيد، استشهد ومن كان معه من أولاد وأصحاب،
علما بأنه لم يجرأ على القيام طوال السنوات العشر التي عاشها في زمن معاوية.

---

١) النصائح الكافية ص ٧٢ - ٧٣.
٢) النصائح الكافية صفحة ٥٨، ٦٤، ٧٧، ٧٨.

فبعض إخواننا أهل السنة يذهبون إلى التوجيه والتأويل في سفك الدماء هذه، وما شابهها
من اعمال إجرامية، كان يقوم بها بعض الصحابة، وخاصة معاوية، مبررين أعمالهم ومواقفهم هذه، بأنهم من صحابة الرسول (ص) ووفقا للأحاديث المروية عنه (ص)، ان الصحابة مجتهدون معذورون، وان الله جل وعلا راض عنهم، لكن الشيعة ترفض هذا بأدلة:
أولا: يستحيل على قائد كالنبي (ص) الذي نهض لا حياء الحق والحرية والعدالة الاجتماعية، واتبعه جمع من الناس، فضحوا بما لديهم في سبيل تحقق هذا الهدف المنشود،
وعند تحققه، يترك العنان لهم، ويمنحهم الحرية المطلقة، امام الاحكام المقدسة، كي يقوموا بأي عمل شاؤوا، وهذا يعني ان ينهار البناء الشامخ بتلك الأيدي التي ساهمت في
اقامته وتشييده.
ثانيا: ان الروايات التي تقدس الصحابة وتنزههم، وتصحح أعمالهم غير المشروعة وتوجهها، وتعتبرهم من الذين قد كفر الله عنهم سيئاتهم، وانهم مصونون وما إلى ذلك،
هذه الروايات قد وضعت من قبل هؤلاء الصحابة أنفسهم، والتاريخ يشهد ان الصحابة، لم
يكن أحدهم ليحترم الآخر. ولم يغض النظر عن أعماله القبيحة، وانما كان يشهر به ويعرفه للملاء. فقد قام بعضهم بالقتل الجماعي واللعن والسب وفضح الآخرين، ولم تكن
هناك أية مسامحة أو اغماض فيها بينهم.
ووفقا لما ذكرنا فان الصحابة يشهدون ان هذه الروايات غير صحيحة، وإذا ما تحققت صحتها فان المراد منها معنى آخر، غير التنزيه والتقديس القانوني للصحابة.
ولو قدر ان الله سبحانه وتعالى قد مدحهم ورفع شأنهم في بعض آياته ١، فان هذا يدل على
ما قدموه من خدمات في سابق حياتهم، وتنفيذا

---

١) سورة التوبة الآية ١٠٠.

لأوامر الله تعالى، فطبيعي ان يتحقق رضى الله تعالى، ولم يكن المراد من أنهم يستطيعون ان يقوموا بكل ما تراودهم نفوسهم في المستقبل، وان كان خلافا لأحكام الله
تعالى.

٩. استقرار ملوكية بني أمية

توفي معاوية (سنة ٦٠ للهجرة)، واستولى على عرش الخلافة ابنه يزيد وفقا للبيعة التي اخذها أبوه من الناس، وأصبح زعيما لحكومة اسلامية.

والتأريخ يشهد بأن يزيد لم يكن ليتصف بأية شخصية اسلامية، فقد كان شابا لا يبالي بأحكام الاسلام حتى في زمن أبيه، كان فاسقا فاجرا، لا يتناهى عن شرب الخمر، متبعا لأهوائه وشهواته، قام باعمال إجرامية طوال السنوات الثلاث التي حكم فيها، لم يسبق لها مثيل منذ ظهور الاسلام، مع ما انطوت عليه من احداث وفتن.

ففي السنة الأولى، قتل الحسين بن علي (ع) سبط النبي المرسل (ص)، ومن كان معه من
أولاده وأقربائه وأصحابه، قتلة مفجعة، وطاف بالنساء والأطفال لأهل بيت العصمة والطهارة مع رؤوس الشهداء في البلدان ١.

وفي السنة الثانية، أمر جيشه بالإبادة الجماعية للناس في مدينة الرسول (ص)، وأباح دماءهم وأموالهم وأعراضهم لثلاثة أيام ٢.

وفي السنة الثالثة، أمر بهدم الكعبة المقدسة وأحرقها ٣، وبعد وفاة يزيد،

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٢١٦ / أبي الفداء ج ١: ١٩٠ / مروج الذهب ج ٣: ٦٤ وكتب التاريخ الآخرى.
٢) اليعقوبي ج ٢: ٢٤٣ / أبي الفداء ج ١: ١٩٢ / مروج الذهب ج ٣: ٧٨.
٣) اليعقوبي ج ٢: ٢٢٤ / أبي الفداء ج ١: ١٩٢ / مروج الذهب ج ٣: ٨١.

تسلط على رقاب الناس، آل مروان من بني أمية، هذا ما تتناقله كتب التأريخ، وكانت لحكومة هذه الزمرة والتي شملت أحد عشر شخصا، واستمرت مدة سبعين عاما، أيام عصيبة
على الاسلام والمسلمين، فلم تكن سوى إمبراطورية عربية مستبدة في مجتمع إسلامي، وكانت تدعى بالخلافة الاسلامية، حتى آل الامر بالخليفة آنذاك خليفة الرسول (ص)، ويعتبر المدافع الوحيد عن الدين، ان يقرر بناء غرفة على الكعبة، كي يتسنى له الجلوس فيها للنزهة وفي أيام الحج خاصة ١.
والخليفة آنذاك قد رمى القرآن بالسهام، وقال في شعر له مخاطبا القرآن: في اليوم الذي تحضر فيه امام الرب، أنبئه ان الخليفة مزقك تمزيقا ٢.
من الطبيعي ان الشيعة كانوا يختلفون اختلافا أساسيا مع أكثرية أهل السنة حول مسألتين، الخلافة الاسلامية، والمرجعية الدينية، كانت تعاني أياما قاسية في هذه المرحلة المظلمة، ولكن الظلم والجور من قبل حكام الوقت، والمظلومية والتقوى والورع
الذي كان يتصف به أئمة أهل البيت (ع) كانت تجعلهم أكثر رسوخا في عقائدهم، وخاصة
بعد استشهاد الحسين (ع) الامام الثالث للشيعة، مما ساعد في انتشار الفكر الشيعي في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة مثل العراق واليمن وإيران.
ومما يشهد على صحة هذا الادعاء، ما حدث في زمن الامام الخامس للشيعة، والقرن الأول
الهجري لم يكتمل بعد، ولم تمض على مقتل الحسين فترة لا تزيد على الأربعين سنة، ولاضطراب الأوضاع وظهور الاختلال في حكومة بني أمية، اتجه الشيعة من جميع الأقطار
الاسلامية إلى الامام الخامس

---

١) الوليد بن يزيد، اليعقوبي ج ٣: ٧٣.
٢) الوليد بن يزيد، مروج الذهب ج ٣: ٢٢٨.
أتوعد كل جبار عنيد * * * فها انا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر * * * فقل يا رب مزقني الوليد

واهتموا بأخذ الحديث والمعارف الاسلامية منه ١.
وفي أواخر القرن الأول الهجري، قام جماعة من الامراء، بإنشاء مدينة قم في إيران ٢، وقد أسكنوا فيها الشيعة، ولكن الشيعة حسب أوامر أئمتهم كانوا يعيشون دون تظاهر بعقيدتهم، التزاما بمبدأ التقية، وطالما نهض رجال من السادة العلويين أثر كثرة الضغوط التي كانت تظهر من قبل الحكام الجائرين، ولكن قيامهم هذا كان نتيجة الفشل
والقتل، وقدموا في سبيل عقيدتهم ونهضتهم هذه المزيد من النفوس ولم تبال الحكومة بابادتهم والقضاء عليهم.
أخرجوا جثمان زيد زعيم الشيعة الزيدية من قبره، وصلبوه لمدة ثلاث سنين، ومن ثم أحرقوه، وذروا رمادة في الهواء ٣، حتى أن أكثرية الشيعة تعتقد ان مقتل الامام الرابع والخامس قد تم على أيدي بني أمية ٤، وذلك بدس السم إليهما، وكذا وفاة الامام الثاني
والثالث كان على أيديهم.
ان الفجائع التي ارتكبها الأمويون كانت إلى حد مما جعلت أكثرية أهل السنة مع اعتقادها بالخلفاء عامة وانهم مفروضو الطاعة، جعلتهم ان يقسموا الخلفاء إلى قسمين: الخلفاء الراشدين، وهم الخلفاء الأربعة الأوائل بعد وفاة الرسول الكريم (ص) وهم (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) والخلفاء غير الراشدين أولهم معاوية.
والأمويون طوال حكومتهم، وعلى أثر ظلمهم وجورهم، أثاروا سخط الأمة وغضبها إلى أبعد
الحدود، وبعد سقوط دولتهم ومقتل آخر خليفة لهم، فر ولدا الخليفة مع جمع من العائلة
الأموية من دار الخلافة ولم يجدوا في أي

---

١) يراجع مبحث معرفة الامام في هذا الكتاب.
٢) معجم البلدان كلمة (قم).
٣) مروج الذهب ج ٣: ٢١٧ - ٢١٩ / اليعقوبي ج ٣: ٦٦.
٤) كتاب البحار ج ١٢ وسائر المصادر الشيعية.

مكان ملجأ يتجهون إليه، فتاهوا في صحارى النوبة والحبشة وبجاوة ومات الكثير منهم أثر الظما والجوع، توجهوا إلى جنوب (اليمن) فمكثوا هناك زمنا، كانوا يحصلون على مال من الناس عن طريق الاستجداء والصدقة والعطف عليهم. ومن ثم انتقلوا إلى مكة
مرتدين زي الحمالين وانصهروا في ذلك المجتمع ١.

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٣: ٨٤.
١٠. الشيعة في القرن الثاني للهجرة
ظهرت دعوة باسم أهل بيت النبوة في خراسان، يتزعمها أبو مسلم المروزي وذلك في أواخر الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة، أثر النهضات والحروب الدامية التي ظهرت في جميع البلدان الاسلامية، كرد فعل للظلم والجور والمعاملة السيئة التي كان يقوم بها بنو أمية، وأبو مسلم هذا قائد فارسي، قام ضد الحكومة الأموية، وحاز على تقدم حتى أطاح بالدولة الأموية ٢.
والنهضة أو الثورة هذه وان كانت تستلهم من الدعايات الشيعية، وكانت تتصف أيضا - إلى حد ما - بثار شهداء أهل البيت وقامت بأخذ البيعة لرجل لم يعرف من أهل البيت، مع هذا كله لم تكن بايعاز من أئمة الشيعة، لا بالشكل المباشر ولا بغير المباشر، والدليل على ذلك هو ان أبا مسلم لما عرض البيعة للخلافة على الامام السادس في المدينة، كان رد الامام عنيفا إذ أحرق الكتاب المرسل إليه على السراج، وقال للرسول عرف صاحبك
(٢) اليعقوبي ج ٣: ٧٩ / أبي الفداء ج ١: ٢٠٨ وكتب التاريخ الأخرى.

بما رأيت.
وبالنتيجة قبض بنو عباس على الخلافة باسم أهل البيت ٢، وأبدوا عنايتهم ورعايتهم للعلويين في بداية أمرهم قضوا على الأمويين وأبادوهم ابادة كاملة، وذلك انتقاما لشهداء العلويين، ونبشوا قبور خلفاء بني أمية، وأخرجوا منها الأجساد، وعرضوها على النيران ٣، ولم تمض فترة حتى اتخذوا سيرة بني أمية نهجا لهم، ولم يتوانوا عن القيام بأية اعمال بشعة منافية للشريعة، فظلموا وجاروا على الناس.
سجن أبو حنيفة وهو أحد رؤساء المذاهب الأربعة، في زمن المنصور ٤، ولاقى أنواع التعذيب، وضرب أبو حنبل أحد رؤساء المذاهب الأربعة، بالسياط ٥ وقضى على الامام السادس للشيعة الإمامية بالسم ٦، بعد الأذى والتعذيب. وكان يقدم العلويون جماعات لضرب أعناقهم، أو ان يدفنوا وهم احياء، أو ان يوضعوا أحياء في الجدران، وأسس الأبنية الحكومية.
واما هارون الرشيد الخليفة العباسي، فقد توسعت في زمنه الإمبراطورية الاسلامية، وكان ينظر أحيانا الشمس مخاطبا إياها بقوله: اشرقي في أي مكان شئت فإنك لم تشرقي
خارج ملكي.
فمن جهة كان جيش الخليفة يحارب ويتقدم في أقصى الشرق والغرب في العالم، من جهة أخرى
يشاهد على جسر بغداد والذي لا يبعد عن قصره سوى خطوات، الجباة يأخذون من المارة حق
العبور دون علم الخليفة واذنه،

---

١) اليعقوبي ج ٣: ٨٦ / مروج الذهب ٣: ٢٦٨.
٢) اليعقوبي ج ٣: ٨٦ / مروج الذهب ج ٣: ٢٧٠.
٣) اليعقوبي ج ٣: ٩١ - ٩٦ / أبي الفداء ج ١: ٢١٢.
٤) تاريخ أبي الفداء ج ٢: ٦.
٥) اليعقوبي ج ٣: ١٩٨. / أبي الفداء ج ٢: ٣٣.
٦) كتاب البحار ج ٢١٢ حياة الإمام الصادق (ع).

ويذكر ان الخليفة نفسه، أراد عبور الجسر ذات يوم، طولب بحق العبور ١.
ومما يذكر عن الأمين الخليفة العباسي، انه وهب إلى مطرب ثلاثة ملايين درهم فضة أزاء
غناه لبيتين غزل، فرمى المطرب نفسه على قدمي الخليفة قائلا: تمنحني هذه الأموال الطائلة يا أمير المؤمنين؟ فأجابه الخليفة ليس الامر بمهم نستعيضها من ناحية من نواحي البلاد ٢.
كانت الأموال الطائلة تتدفق إلى بيت مال المسلمين من جميع الأقطار الاسلامية، وتصرف
للهو الخليفة ولعبه، كانت تعد الجواري والفتيات الحسناوات والغلمان في بلاط الخلفاء
بالآلاف.
لم يتغير وضع الشيعة بعد انقراض حكومة بني أمية، ومجئ دولة بني العباس، سوى تغيير
اسم للأعداء الظلمة والجائرين.

---

١) قصة جسر بغداد.
٢) كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (قصة الأمين).

١١. الشيعة في القرن الثالث للهجرة

استطاع الشيعة ان يتنفسوا الصعداء، في أوائل القرن الثالث الهجري، والسبب في ذلك يعود إلى:
أولا: ترجمة الكثير من الكتب الفلسفية والعلمية من اليونانية والسريانية وغيرهما إلى العربية، فتسابق الناس على تحصيل العلوم العقلية والاستدلالية، علما بان المأمون الخليفة العباسي (١٩٥ - ٢١٨) المعتزلي كان يرغب في الاستدلال العقلي في المذاهب، ويبدي اهتمامه له، وكانت النتيجة ان ينتشر البحث الاستدلالي في الأديان، وتعطى الحرية الكاملة لأصحاب

المذاهب، فانتهز علماء الشيعة ومتكلموهم هذه الحرية الفكرية، فلم يتوانوا في النشاط العلمي، ونشر مذهب أهل البيت عليهم السلام ١.
ثانيا: منح المأمون الامام الثامن ولاية عهده بمقتضى سياسته، فأصبح الشيعة ومحبو أهل البيت، بعيدين عن التعرض إلى حد ما - من قبل الولاة - وأصحاب المناصب، واصبحوا
يتمتعون بشئ من الحرية، الا ان الفترة هذه لم تدم كثيرا، وتعرض الشيعة للملاحقة الشديدة، والقتل والتشريد، وعادت السنة التي كانت سائدة، وخاصة في زمن المتوكل العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧) للهجرة، إذ كان يعادي عليا وشيعته عداء خاصا، وهو الذي أمر
بهدم مرقد الإمام الحسين (ع) ثالث أئمة الشيعة في كربلاء ٢.

---

١) كتب التاريخ.
٢) تاريخ أبي الفداء، وكتب التاريخ الآخرى.
١٢. الشيعة في القرن الرابع للهجرة
ظهرت عوامل في القرن الرابع الهجري، ساعدت على انتشار مذهب التشيع وتقويته، منها ضعف الخلافة العباسية، وظهور ملوك آل بويه.
كان لملوك آل بويه، وهم شيعة، التأثير البالغ في مركز الخلافة ببغداد، وكذا في الخليفة، ٣ وهذه القدرة جعلت الشيعة ان تقف امام المخالفين، والذين طالما حاربوا الشيعة لما كان لهم من قدرة خلال خلافتهم، وتمكن الشيعة ان ينشروا عقايدها بكل حرية.
والمؤرخون متفقون على أن الجزيرة العربية، أو معظمها كانت تعتنق
٣) يراجع كتب التاريخ.

مذهب الشيعة، سوى المدن الكبيرة منها، علما بان بعض المدن مثل، هجر وعمان وصعدة،
كانت شيعية، ومدينة البصرة كانت تعتبر مركزا لأهل السنة، وكانت في صراع ديني مع
الكوفة مركز التشيع وكان يسكن فيها بعض الشيعة، وكذا في كل من مدينة طرابلس ونابلس
وطبرية وحلب وهرات، كان فيها من الشيعة، وكذلك في مدينة الأهواز وسواحل الخليج
الفارسي من إيران ١.
وفي أوائل هذا القرن، استولى ناصر الأطروش على شمال إيران، بعد كفاح دام سنوات، فاستقر في ناحية طبرستان وأسس دولته، واستمرت لأولاده من بعده، وكان الحسن بن زيد
العلوي قد حكم هذه المنطقة قبل الأطروش ٢.
وفي هذا القرن استولى الفاطميون وهم من الفرقة الإسماعيلية على مصر، وأسسوا حكومتهم
واستمرت أكثر من قرنين (٢٩٦ - ٥٢٧).
وكان يظهر صراع بين الشيعة والسنة أحيانا في مدن كبيرة كبغداد والبصرة ونيسابور، وكانت الغلبة في بعضها للشيعة.

---

١) الحضارة الاسلامية ج ١: ٩٧.
٢) مروج الذهب ج ٤: ٣٧٣ / الملل والنحل ج ١: ٢٥٤.
١٣. الشيعة في القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجري
توسعت الشيعة خلال القرن الخامس حتى أواخر القرن التاسع بتلك النسبة التي كانت عليها في القرن الرابع وظهر ملوك اعتنقوا مذهب التشيع، فصاروا يدعون له.
رسخت الدعوة الإسماعيلية في قلاع الموت، واستقلت في دعوتها قرنا ونصف قرن وسط إيران ٣. وحكم السادة المرعشيون سنين متمادية في
٣) يراجع كتاب الكامل وروضة الصفا وحبيب السير.

مازندران ١.
اختار الملك خدابنده وهو أحد ملوك المغول مذهب الشيعة، وخلفه في الحكم ملوك من
هذه الطائفة لأعوام متعاقبة، وساهموا في نشر وترويج هذه العقيدة، وكذا سلاطين آق قوينلو وقره قوينلو إذ كانت مدينة تبريز ٢ مركز حكومتهم، وكانت تنبسط سيطرتهم حتى فارس وكرمان، وحكمت الدولة الفاطمية في مصر لسنوات متعاقبة.
من الطبيعي ان القدرة الدينية لأهل السنة مع الملوك كانت متغيرة متفاوتة، وبعد سقوط الدولة الفاطمية ومجئ دولة الأيوبيين، تغيرت الظروف، وفقد الشيعة في مصر والشام الحرية الفكرية على الاطلاق، وقتل الكثير من الشيعة ٣.
منهم الشهيد الأول محمد بن محمد الملكي أحد نوابغ الفقه الشيعي سنة ٧٨٦ للهجرة في
دمشق بتهمة التشيع ٤.
وقتل أيضا الشيخ شهاب الدين السهروردي في حلب بتهمة الفلسفة ٥.
فالشيعة خلال هذه القرون الخمسة، كانوا في ازدياد من حيث النفوس والعدد، وكانت الزيادة تابعة لموافقة ومخالفة السلاطين من حيث القدرة والحرية الفكرية. ولم يعلن في هذه الفترة في أية دولة اسلامية مذهب التشيع، مذهبا رسميا لها.

---

(١) الكامل وأبي الفداء ج ٣.
٢) تاريخ حبيب السير.
٣) تاريخ حبيب السير وأبي الفداء وغيرهما.
٤) روضات الجنات ورياض العلماء نقلا عن ريحانة الأدب ج ٢: ٣٦٥.
٥) الروضات وكتاب المجالس ووفيات الأعيان.

١٤. الشيعة في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة
نهض شاب في سنة ٩٠٦ للهجرة، وهو في الثالثة عشرة من عمره، من عائلة شيخ صفي الدين
الأردبيلي المتوفى سنة ٧٣٥ هجري. وكان أحد مشايخ الطريقة في الشيعة، نهض مع ثلاثمائة من الدراويش الذين كانوا من مريدي آبائه، وذلك لايجاد دولة شيعية مستقلة مقتدرة، فسار من مدينة أردبيل وشرع بفتح البقاع وإزالة نظام ملوك الطوائف من إيران، وبعد حروب دامية مع الملوك المحليين وخاصة مع ملوك آل عثمان الذين كانوا ينوبون عن الإمبراطورية العثمانية، استطاع ان يجعل من إيران دولة موحدة بعد أن كانت
ممزقة، يحكم كل بقعة منها فئة خاصة، وجعل المذهب الشيعي، مذهبا رسميا لها ١.
وبعد وفاة الملك إسماعيل الصفوي أعقبه ملوك آخرون من السلالة ذاتها، حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وكل من هؤلاء الملوك كان يؤيد المذهب الشيعي، ففي زمن
شاه عباس الكبير والذي يعتبر ذروة القدرة لهذه السلالة، استطاع ان يوسع بقعتهم، فازدادت نفوسهم، فبلغت ضعف ٢ ما عليه الآن في إيران (سنة ١٣٨٤ هجري).
والفرقة
الشيعية، في القرنين ونصف القرن الأخير تقريبا، بقيت على حالتها في سائر البقاع الاسلامية مع بقاء الازدياد الطبيعي لها.

---

(١) روضة الصفا وحبيب السير وغيرهما.
٢) روضة الصفا وحبيب السير.

١٥. الشيعة في القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة
ان التقدم في المذهب الشيعي خلال القرون الثلاثة الأخيرة كان بشكله الطبيعي كما في السابق، والوقت الحاضر الذي هو أواخر القرن الرابع عشر الهجري، يعتبر التشيع مذهبا رسميا في إيران، ومعظم شعوب اليمن والعراق من الشيعة، وتتواجد الشيعة في كل الدول
الاسلامية في العالم، قلت أم كثرت، ويعد الشيعة في مختلف الأقطار في العالم، بما يقارب المائة مليون.
انشعاب الشيعة
ا) انشعاب بعض الفرق وانقراضها.
٢) الزيدية.
٣) الإسماعيلية وانشعاباتها.
٤) النزارية والمستعلية والدروزية والمقنعة.
٥) الشيعة الاثنا عشرية، واختلافها مع الزيدية والإسماعيلية.
٦) موجز عن تاريخ الشيعة الاثني عشرية.

١. انشعاب بعض الفرق وانقراضها
يشتمل كل مذهب على مسائل وأمور تعتبر الأسس الأولية لذلك المذهب، وهناك مسائل
ثانوية. واختلاف أهل المذاهب في كيفية المسائل الأصلية والرئيسية ونوعيتها مع الاحتفاظ بالأصول المشتركة بينها، يسمى انشعابا.
توجد الانشعابات في جميع الأديان، وخاصة في الأديان السماوية، اليهودية والمسيحية والمجوسية والاسلام، ويظهر الانشعاب في مذاهبها أيضا. والمذهب الشيعي لم يطرأ عليه، ولم يظهر فيه أي انشعاب في زمن أئمته الثلاثة (الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام)، ولكن بعد استشهاد الإمام الحسين (ع)، اعترف أكثرية الشيعة بامامة علي
بن الحسين (ع) السجاد، وذهب الأقلية منهم والذين عرفوا بالكيسانية، إلى الاعتقاد بامامة محمد بن

الحنفية إماما رابعا لهم، وهو المهدي الموعود عندهم، ويعتقدون انه قد غاب في جبل رضوى، وسيظهر يوما.
وبعد وفاة الإمام السجاد (ع) اعتقد أكثرية الشيعة بامامة ابنه محمد الباقر (ع)، وذهب الأقلية منهم إلى التمسك بمذهب زيد الشهيد وهو الولد الآخر للإمام السجاد (ع)، واشتهروا بالزيدية.
وبعد وفاة محمد الباقر (ع) آمن شيعته بولده الإمام جعفر الصادق (ع) وبعد وفاته، ذهب الأكثرية إلى أن الامام السابع هو ولده الإمام موسى الكاظم (ع)، واعتقد فريق ان إسماعيل ابن الإمام الأكبر هو الامام السابع، والذي وافاه الاجل في زمن أبيه الصادق، وانفصل هؤلاء عن الأكثرية الشيعية، وعرفوا بالإسماعيلية، وذهب البعض إلى امامة عبد الله الأفطح ابنه الآخر، وذهب الآخرون إلى امامة محمد وتوقف بعض في إمامته، واعتبروه آخر الأئمة.
وبعد استشهاد الإمام موسى الكاظم (ع)، ذهب الأكثرية إلى امامة ابنه الرضا (ع)، إماما ثامنا، وتوقف جماعة في امامة الامام السابع، واشتهروا ب (الواقفية).
ولم يظهر انشعاب بعد الامام الثامن وحتى الامام الثاني عشر، وهو عند الأكثرية المهدي الموعود، وإذا ما كانت هناك حوادث أو وقائع فإنها لم تكن سوى أيام معدودة
ولم يحدث انشعاب، وعلى فرض حدوث انشعاب، لم يدم كثيرا، وانتهى إلى الانصهار، كما
حدث بعد وفاة الامام العاشر، إذ ادعى ولده جعفر، الإمامة وتبعه جمع، الا انهم تفرقوا وتشتتوا بعد فترة قصيرة، ولم يتابع جعفر دعوته هذه، وهناك اختلاف في الآراء بين رجال الشيعة في المسائل العلمية والكلامية والفقهية، إذ لا يمكن اعتبارها انشعابا في المذهب.
انقرضت الفرق المذكورة التي انشعبت وظهرت امام الأكثرية الشيعية، في زمن قصير، عدا
الفرقة الزيدية والإسماعيلية اللتان استقامتا،

ولا يزال معتنقو هذين المذهبين يعيشون في مناطق مختلفة من العالم، كاليمن والهند ولبنان ومناطق أخرى، فعلى هذا نكتفي بذكر هاتين الطائفتين مع الأكثرية الشيعية وهم الاثنا عشرية.

٢. الزيدية

تعتبر الزيدية من تابعي زيد الشهيد ابن الإمام السجاد (ع).

ثار زيد سنة ١٢١ للهجرة بوجه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وبايعه جماعة، وقتل في حرب وقعت في مدينة الكوفة، بينه وبين مؤيدي الخليفة.

يعد زيد لدى أصحابه، الامام الخامس من أئمة أهل البيت (ع)، واستخلفه بعده ابنه يحيى بن زيد الذي ثار على الخليفة الأموي الوليد بن يزيد وجاء بعده محمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله اللذان قاما وثارا على الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي وقتلا، فهؤلاء هم من أئمة الزيدية.

ومنذ ذلك الوقت، كانت أمور الزيدية غير منتظمة، حتى ظهور ناصر الأطروش وهو من نسل أخي زيد، في خراسان، وعلى أثر المطاردات التي قامت بها الدولة آنذاك، اضطر ان

يفر إلى مازندران، ولم يكن أهالي هذه المنطقة قد اعتنقوا الاسلام، وبعد دعوة دامت ثلاث عشرة سنة، استطاع ان يدخل جمعا كثيرا في الاسلام، فاعتنقوا مذهب الزيدية واستطاع بعدها وبمساعدة هؤلاء ان يسيطر على ناحية طبرستان وصار فيهم إماما وقائدا، واستخلفه من بعده أولاده، يسوسون الناس في تلك الديار.

وتعتقد الزيدية ان كل فاطمي، عالم، زاهد، شجاع، سخي، يثور

لاحقاق الحق يستطيع ان يكون إماما.
كانت الزيدية في الابتداء مثل زيد، تعتبر الخليفتين الأولين أبا بكر وعمر من الأئمة، ولكن بعدها أسقط جماعة منهم اسم هذين الخليفتين من أسماء أئمتهم، وابتدأوا
بالامام علي (ع).
وحسب ما يقال ان الزيدية تتبع المعتزلة في الاسلام، وتوافق فقه أبي حنيفة في الفروع. وهناك اختلاف يسير بينهم في بعض المسائل.
٣. الإسماعيلية وانشعاباتها
الباطنية: كان للامام السادس للشيعة ولد يدعى إسماعيل وهو أكبر ولده، توفي في زمن أبيه، وشهد الأب وفاة ابنه، وطلب الشهادة من حاكم المدينة أيضا على وفاة ولده، الا ان هناك فريقا يعتقد بعدم وفاة إسماعيل، وانه اختار الغيبة، وسوف يظهر ثانية وهو المهدي الموعود، ويتضح ان اشهاد الامام السادس على وفاة ولده كان على علم وعمد،
وذلك خوفا من المنصور الخليفة العباسي، واعتقد جماعة ان الإمامة الحقة هي لإسماعيل، ومع موته، انتقلت إلى محمد، واعتقد الآخرون ان إسماعيل وان أدركه الموت
في زمن أبيه، الا انه امام، ومحمد بن إسماعيل ومن جاء بعده من هذه السلالة أئمة أيضا.
انقرض الفريقان الأولان بعد زمن وجيز، وبقيت الفرقة الثالثة حتى وقتنا الحاضر، وقد انشعبت انشعابات عدة.
لدى الإسماعيلية فلسفة تشبه فلسفة عبدة النجوم، وفيها شئ من التصوف الهندي، ويذهبون إلى أن المعارف والأحكام الاسلامية، لها ظاهر وباطن، فلكل ظاهر باطن ولكل
تنزيل تأويل، وتعتقد ان الأرض لا تخلو من

حجة، وحجة الله على نوعين: ناطق وصامت فالناطق هو النبي الأكرم (ص). والصامت هو
الولي أو الامام، وهو وصي النبي (ص). وعلى أية حال، فان الحجة هي المظهر الكامل للربوبية.
أساس الحجة عندهم يدور دائما على العدد (٧)، بهذا الترتيب، ان كل نبي عندما يبعث يختص بالنبوة الشريعة والولاية، ويأتي بعده سبعة أوصياء، لكل منهم الوصاية،
ويعتبر جميعهم في نفس المنزلة والشأن، سوى الوصي السابع الذي يختص بالنبوة أيضا،
ويتصف بثلاثة مناصب، النبوة والوصاية والولاية، وبعده سبعة أوصياء، وللسابع منهم ثلاثة مناصب وهكذا.
فهم يقولون، ان آدم عليه السلام بعث بالنبوة والولاية، وكان له سبعة أوصياء،
وسابعهم نوح النبي، وكان يختص بالنبوة الوصاية والولاية، والنبي إبراهيم هو الوصي السابع لنوح، والنبي موسى سابع الأوصياء لإبراهيم، والنبي عيسى سابع الأوصياء لموسى، ومحمد (ص) سابع الأوصياء لعيسى، ومحمد بن إسماعيل الوصي السابع لمحمد (ص)،
بهذا الترتيب: محمد (ص) وعلي والحسين وعلي بن الحسين والسجاد ومحمد الباقر وجعفر
الصادق وإسماعيل ومحمد بن إسماعيل (الامام الثاني الحسن بن علي لا يعدونه من الأئمة)، وبعد محمد بن إسماعيل سبعة من نسله وولده، أسماؤهم مخفية مستورة وبعدهم
سبعة من ملوك الفاطميين لمصر، أولهم عبيد الله المهدي مؤسس حكومة الفاطميين بمصر.
تعتقد الإسماعيلية، بأن هناك اثني عشر نقيبا موجودين دائما على الأرض، فضلا عن وجود حجة الله، فهم حواريو الحجة وخاصته، ولكن لبعض منهم وهم (الدروزية) الباطنية،
تعتبر وتعد ستة من الأئمة نقباء، والستة لآخرين من غيرهم.
ظهر شخص مجهول الهوية سنة ٢٧٨ هجري، في مدينة الكوفة، (قبل ظهور عبيد الله المهدي
بسنوات) وكان خوزستاني الأصل، وكان يقضي نهاره

صائما، وليله قائما عابدا، ويسد رمقه من كسبه وعمله، كان يدعو لمذهب الإسماعيلية، فاستطاع ان يكسب جماعة، ليكونوا له أنصارا وأعوانا، فانتخب منهم اثني عشر شخصا، على أنهم النقباء، ثم خرج من الكوفة متجها إلى الشام، وما عرف عنه
شئ.
استخلف هذا الرجل المجهول في العراق، رجلا كان يدعى احمد ويعرف بالقرمط، فبث
تعاليم الباطنية، وكما يشير المؤرخون بأنه ابتدع صلاة جديدة، بدلا من الصلوات الخمس في الاسلام، وألغى غسل الجنابة، وأباح شرب الخمر. وظهر في نفس العصر، زعماء
آخرون يدعون إلى الباطنية، جلبوا جماعة من الناس حولهم.
فكان هؤلاء يتعرضون لأنفس وأموال من لا يعتنق مذهب الباطنية، واستمروا في حركتهم هذه
في العراق والبحرين واليمن والشام، قتلوا الأبرياء، ونهبوا الأموال، وسلبوا قوافل الحجيج، سفكوا دماء الآلاف منهم، ونهبوا أمتعتهم وراحلتهم.
استولى أبو طاهر القرمطي أحد زعماء الباطنية على البصرة سنة ٣٢١ هجري، فقتل الناس، ونهب الأموال، ثم اتجه إلى مكة مع جمع من الباطنية سنة ٣١٧ هجري، وبعد صراع
مع افراد الشرطة، دخل مكة، فقتل أهلها، والحجاج الواردين إليها، فسالت الدماء في بيت الله الحرام والكعبة، قسم ستار الكعبة بين أنصاره، قلع باب الكعبة، اقتلع الحجر الأسود من مكانه، نقله إلى اليمن بقي هناك عند القرامطة مدة اثنين وعشرين عاما.
على أثر هذه الأعمال، أبدى عامة المسلمين تذمرهم وتنفرهم من الباطنية، واعتبروهم خارجين عن دين الاسلام، حتى عبيد الله المهدي أحد ملوك الفاطميين، الذي كان قد ظهر في إفريقية، وادعى لنفسه المهدوية، وانه المهدي الموعود، وامام الإسماعيلية، قد تبرى أيضا من القرامطة آنذاك.
وحسب ما يقره المؤرخون ان المعيار الديني للباطنية هو تأويل

الأحكام الظاهرة للاسلام إلى مراحل باطنية صوفية، ويعتبرون ظاهر الشريعة خاصا للأميين من الناس، الذين لم يتدرجوا طريق الكمال، ومع هذا كله، فقد كانت تصدر قوانين وأحكام معينة من أئمتهم وزعمائهم بين حين وآخر.

٤. النزارية والمستعلية والدروزية والمقنعة

ظهر عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦ للهجرة في إفريقية، وادعى الإمامة على طريقة الإسماعيلية، وأسس الدولة الفاطمية، واختار خلفاؤه مصر دار خلافتهم، فحكم سبعة منهم على التوالي حكومة وإمامة طبق مذهب الإسماعيلية دون ان يحدث انشعاب أو انقسام. وبعد الخليفة السابع وهو (المستنصر بالله سعد بن علي) تنازع ولداه نزار و المستعلي على الخلافة والإمامة، وبعد صراع وحروب دامية، كانت الغلبة للمستعلي، فألقى القبض على أخيه نزار، وسجنه وبقي في السجن حتى توفي فيه.

وعلى أثر هذه المنازعة، انقسم اتباع الفاطميين إلى قسمين: نزارية ومستعلية.

النزارية: هم من اتباع الحسن بن الصباح، وكان من المقربين للمستنصر، وبعد المستنصر،

اخرج من مصر بأمر من المستعلي، لدفاعه وحمايته عن نزار. فجاء إلى إيران وبعد فترة ظهر في قلعة الموت من نواحي قزوين، فاستولى على هذه القلعة وقلاع أخرى مجاورة، فصار

سلطانا عليها، ودعا إلى نزار في البداية، وبعد وفاة حسن سنة ٥١٨ هجري، جاء بزرك اميد رودباري، وبعده ابنه كيا محمد حكما على طريقة الحسن الصباح، وجاء بعده ابنه حسن على ذكره السلام رابع ملوك قلعة الموت، فغير طريقة الحسن الصباح وكانت

نزارية، وانتمى إلى الباطنية.

فتح هولاكو خان بعد حملته على إيران قلاع الإسماعيلية وقتل جميع الإسماعيليين، وهدم
قلاعهم، وبعد سنة ١٢٥٥ هجري، ثار آقا خان المحلاتي وكان من النزارية على محمد شاه
القاجار، وفشل في نهضته التي قام بها في مدينة كرمان وهرب إلى بمبئي، فنشر الدعوة الباطنية النزارية بإمامته وزعامته هناك، ولا تزال دعوتهم باقية حتى الان، وتدعي النزارية الآن بال (آقا خانية).

المستعلية: استقرت الإمامة لأتباع المستعلي الفاطمي في خلفاء الفاطميين بمصر حتى انقرضت سنة ٥٥٧ هجري. وظهرت بعد فترة فرقة (البهرة) في الهند على الطريقة نفسها،
ولا تزال موجودة.

الدروزية: الطائفة الدروزية التي تقطن الان في جبال دروز في الشام، كانت في بداية الامر تابعة للخلفاء الفاطميين، حتى أيام الخليفة السادس الفاطمي، دعت إلى نشتجين الدروزي والتحقت بالباطنية.

تقف الدروزية عند الخليفة الحاكم بالله ويعتقد آخرون انه قتل، الا انها تدعي انه غاب عن الانظار، وعرج إلى السماء، وسوف يعود مرة ثانية بين الناس.

المقنعة: كانت من اتباع عطاء المروي المعروف بالمقنع في بادئ الأمر، وحسب ما يذكره المؤرخون انه كان من اتباع أبي مسلم الخراساني، وبعد وفاة أبي مسلم، ادعى ان
روح أبي مسلم قد حلت فيه، وادعى النبوة بعد ذلك، وبعدها ادعى الألوهية، وحوصر سنة
١٦٢ في قلعة كيش من بلاد ما وراء النهر، وعندما تيقن بمحاصرته وقتله، اشعل نارا، ودخل فيها مع عدة من أصحابه واحترق، اختار أصحاب عطاء بعد زمن مذهب الإسماعيلية
والتحقوا بالفرقة الباطنية.

٥. الشيعة الاثنا عشرية، واختلافها مع الزيدية والإسماعيلية

ان الأقلية الشيعية التي مر ذكرها تنشعب عن الأكثرية الشيعية الامامية، وتسمى بالاثني عشرية أيضا، وكما ذكرنا آنفا، كان بداية نشوئهم هو الاعتراض والانتقاد لمسألتين أساسيتين من المسائل الاسلامية، علما بأنهم لم يعارضوا القوانين التي كانت وفقا لتعاليم الرسول الأكرم (ص) بين المسلمين. والمسألتان هما: الحكومة الاسلامية والمرجعية العلمية. وتعتقد الشيعة بان تلك المسألتين من حق أهل البيت خاصة.

تؤمن الشيعة الاثنا عشرية، ان الخلافة الاسلامية بما فيها من ولاية باطنية وقيادة معنوية وهما جزءان لا ينفكان عنها، من حق علي وأولاده عليهم السلام، وبموجب تصريح

النبي الكريم (ص) وسائر أئمة أهل البيت (ع)، انهم اثنا عشر إماما، وتؤمن أيضا ان التعاليم الظاهرية للقرآن والتي تعتبر من أحكام الشريعة، تشتمل على الحياة المعنوية الكاملة ولها أصالتها واعتبارها، ولا يعتريها أي نسخ حتى قيام الساعة ويجب ان تؤخذ هذه الأحكام والقوانين عن طريق أهل البيت، لا غير، ومن هنا يتضح:

ان الاختلاف الأصلي بين الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية، هو ان الشيعة الزيدية غالبا لا تحصر الإمامة في أهل البيت، ولا تقتصر في عدد الأئمة على الاثني عشر، ولا تتبع فقه أهل البيت، على خلاف الشيعة الإمامية. والفارق الأساسي بين الشيعة الأمامية والشيعة الإسماعيلية هو ان الإسماعيلية تعتقد بأن الإمامة تدور على (سبع) ولم تختم النبوة في محمد

(ص)، ولا تمتنع من تغيير أو تبديل أحكام الشريعة، وحتى ارتفاع أصل التكليف، خاصة
على قول الباطنية، على خلاف مذهب الشيعة الإمامية الذي يعتقد بخاتمية النبوة في محمد (ص) وانه خاتم الأنبياء وله اثنا عشر وصيا، وتعتبر ظاهر الشريعة غير قابل للنسخ، ويثبتون للقرآن ظاهرا وباطنا.
اما طائفتا الشيخية والكريمخانية، واللتان ظهرتا في القرنين الأخيرين بين الشيعة الإمامية ، فلم نعدهما انشعابا، لأن اختلافهما معا يدور حول توجيه وتفسير بعض المسائل النظرية، وليس في اثبات أو نفي أصل المسائل.
وكذا فرقة علي اللهية بالنسبة للشيعة الإمامية، ويسمون ب الغلاة أيضا، فهم مثل الباطنية للشيعة الإسماعيلية، يعتقدون بالباطن فقط، وبما انهم يفتقرون إلى منطق دقيق، فلم نعدهم في حساب الشيعة.

٦. موجز عن تاريخ الشيعة الاثني عشرية

كما أشرنا في الفصول المتقدمة، ان أكثرية الشيعة هم الاثنا عشرية، وهم أصحاب علي وأنصاره، الذين رفعوا راية المعارضة والانتقاد في موضوع الخلافة والمرجعية العلمية بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) وذلك لاحياء حقوق أهل البيت، وبهذا انفصلوا عن أكثرية
الناس.
كانت الشيعة مضطهدة في زمن الخلفاء الراشدين (سنة ١١ – ٣٥ هجري)، ولم تكن لهم صيانة
أو حماية لأنفسهم وأموالهم طوال حكومة بني أمية وخلافتهم (٤٠ – ١٣٢ هجري)، وكلما
ازداد عليهم الضغط والاضطهاد، كانوا أشد عزما في إرادتهم، وأكثر رسوخا في عقيدتهم، وكانوا يستفيدون من مظلوميتهم في سبيل عقيدتهم وتقدمها ونشرها.

ففي الفترة ما بين الدولتين الأموية والعباسية، حيث تسلم خلفاء بني العباس الحكم، كانت فترة ضعف وانهيار، استطاع الشيعة ان يتنفسوا الصعداء، وذلك في أواسط القرن الثاني للهجرة، ولكن سرعان ما عاد التضييق والاضطهاد عليهم، وازداد شيئا فشيئا حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

وفي أوائل القرن الرابع الهجري، استعاد الشيعة قدرتهم بمجئ سلاطين آل بويه، وكانوا من الشيعة، وحصلت على حرية فكرية، وشرعت بنضالها، واستمرت حتى نهاية القرن الخامس

الهجري، وفي أوائل القرن السادس الهجري، الذي يقترن مع حملة المغول، وعلى أثر المشاكل العامة، وكذا استمرار الحروب الصليبية، فالحكومات الاسلامية رفعت الاضطهاد

والضغوط عن الشيعة، وخاصة بعد اعتناق بعض سلاطين المغول في إيران دين الاسلام، وساهمت حكومة سلاطين مرعش في مازندران في قدرة الشيعة وتوسعها، مما جعل الشيعة

يتمتعون بكثرة عددهم في كل بقعة من بقاع الممالك الاسلامية وخاصة في إيران، حيث كان

الملايين من الشيعة. واستمرت الحالة هذه حتى أواخر القرن التاسع الهجري، وفي بداية القرن العاشر الهجري، أثر ظهور الدولة الصفوية في إيران المتسعة الارجاء آنذاك، اعترف رسميا بمذهب الشيعة، ولا يزال حتى الان أواخر القرن الرابع عشر الهجري، يعتبر

مذهبا رسميا للبلاد وفضلا عن هذا كله فان عشرات الملايين من الشيعة تعيش حاليا في جميع بقاع العالم.

الفصل الثاني: الفكر الديني لدى الشيعة

١) معنى الفكر الديني.
٢) المصادر الرئيسية للفكر الديني في الاسلام.
٣) الطرق التي يعرضها الاسلام للفكر الديني.
٤) الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثة.
٥) الطريق الأول، الظواهر الدينية، أقسام الظواهر الدينية، القرآن وأحاديث الرسول الأكرم (ص) وأهل البيت (ع).
٦) حديث الصحابة.
٧) بحث آخر في الكتاب والسنة.
٨) ظاهر القرآن وباطنه.
٩) تأويل القرآن.
١٠) تتمة البحث عن الحديث.
١١) الشيعة والعمل بالحديث.
١٢) التعلم والتعليم العام في الاسلام.
١٣) الشيعة والعلوم النقلية.

١. معنى الفكر الديني

يطلق هذا الاصطلاح على التحقيق والبحث في موضوع من المواضيع الدينية للحصول على
نتيجة معينة.
كما أن المراد من الفكر الرياضي مثلا، هو الفكر الذي يعطي النتيجة لنظرية رياضية معينة، أو يحل مسألة رياضية.

٢. المصادر الرئيسة للفكر الديني في الاسلام
من الطبيعي ان الفكر الديني كسائر الأفكار، يعتمد على مصادر كي يستلهم منها مواده وأسسه، كما هو الحال في الفكر الرياضي لحل مسألة ما، فأنه لابد من الاستعانة بمجموعة من النظريات والفرضيات، وبالنتيجة ينتهى إلى المعلومات الخاصة به، والمصدر
الوحيد الذي يعتمد عليه الاسلام، (من جهة ارتباطه بالوحي السماوي) هو القران الكريم، إذ انه المصدر الرئيسي للنبوة الشاملة للنبي الأكرم (ص)، وما يحتويه من الدعوة إلى الاسلام،

فالقرآن لا ينفي المصادر الأخرى للفكر الصحيح والحجج الواضحة كما سنتعرض لها.

٣. الطرق التي يعرضها الاسلام للفكر الديني

فالقرآن الكريم يضع ثلاثة طرق امام متبعيه للوصول إلى المفاهيم الدينية والمعارف الاسلامية، ويوضح لهم، ان الظواهر الدينية والحجج العقلية، والادراك المعنوي لا يتأتى الا من الخلوص في العبادة.

ان الله سبحانه يخاطب الناس عامة في القرآن، ويعرض أمورا دون إقامة حجة أو دليل، انطلاقا من قدرة هيمنته كخالق، ويطالب بقبول الأصول والأسس الاعتقادية، كالتوحيد والنبوة والمعاد، والاحكام العملية، كالصلاة والصوم وغيرها كما يأمر بالنهي والامتناع أحيانا، وإذا لم تكن الآيات لتعطي الحجية، لم يكن ليطالب الناس بقبولها واتباعها، اذن لابد من القول بان هذه الآيات الواضحة الدلالة طريق لفهم المفاهيم الدينية والمعارف الاسلامية وادراكها، ونسمي هذا البيان اللفظي بالظواهر الدينية مثل آمنوا بالله ورسوله وأقيموا الصلاة

ونرى القرآن من جهة أخرى في كثير من الآيات يدعو إلى الحجية العقلية، وذلك بدعوة

الناس إلى التفكير والتدبر في الآفاق والأنفس، وهو يسلك الاستدلال العقلي في بيان الحقائق.

وحقا ان القرآن هو الوحيد من الكتب السماوية الذي يعرف للانسان العلم والمعرفة بطريقة استدلالية. فالقرآن ببيانه هذا يعتبر الحجة العقلية والاستدلال المنطقي من الأمور المسلمة، أي انه لا يطالب بتقبل المعارف

الاسلامية دون نقاش، ثم ينتقل إلى الاحتجاج العقلي، ويستنتج منها المعارف الاسلامية، انطلاقا من الاعتماد الكامل على واقعيته إذ يقول، محصوا في الاحتجاج العقلي، واستنبطوا منه صحة المعارف، ومن ثم القبول والرضا.

وما يسمع من كلام عن الدعوة الاسلامية، يمكن التأمل فيه، والاستفسار عنه، والاصغاء إلى قول الخالق. وبالتالي، فان التصديق والايمان يجب ان يحصل عليه بدليل أو حجة، وليس المراد الايمان مسبقا، ثم إقامة الأدلة وفقا له، فالفكر الفلسفي طريق يدعمه القرآن الكريم ويصادق عليه، ومن جهة أخرى نرى القرآن الكريم وبأسلوبه الرائع، يوضح

لنا ان جميع المعارف الحقيقية تنبع من التوحيد ومعرفة الله حقيقة، وما كمال معرفة الله جل وعلا، الا لأولئك الذين جعلهم الله من خير عباده، وخصصهم لنفسه، وهم الذين

قد قطعوا علائقهم وارتباطهم بهذا العالم، ونسوا كل شئ، وإثر الاخلاص والعبودية، وجهوا قواهم إلى العالم العلوي، ونوروا قلوبهم بنور الله سبحانه، ونظروا ببصيرتهم حقائق الأشياء، وملكوت السماوات والأرض، لانهم قد وصلوا إلى مرحلة اليقين، أثر اخلاصهم وعبوديتهم، وعند حصولهم هذه المنزلة (اليقين)، انكشفت لهم ملكوت السماوات

والأرض، والحياة الخالدة في العالم الخالد.

ويتضح هذا الادعاء مع الالتفات إلى الآيات الكريمة التالية:

قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه انه لا اله الا انا فاعبدون ١.

وقوله تعالى: سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين ٢.

ويقول تعالى: قل انما انا بشر مثلكم يوحى إلي انما إلهكم اله واحد

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥، ويفهم من الآية ان العبادة في الدين، فرع للتوحيد، وعليه يبنى.

(٢) سورة الصافات الآية ١٥٩، ان الوصف فرع من المعرفة والادراك، ويفهم من الآية ان المخلصين فحسب يعرفون الله حق معرفته، والله منزه عن وصف الآخرين له.

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ١.
ويقول سبحانه: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ٢.
وقوله: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. (٣)
وقوله كلا ان كتاب الأبرار لفي عليون وما أدريك ما عليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون ٤.
وقوله تعالى أيضا: كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ٥.
اذن إحدى طرق استيعاب المعارف الإلهية وادراكها هي تهذيب النفس والاخلاص في العبودية.

---

(١) سورة الكهف الآية. ١١، يستنبط من الآية ان الطريق للقاء الله هو التوحيد والعمل الصالح، ولا طريق سواه.
(٢) سورة الحجر الآية ٩٩. ويستفاد من الآية ان عبادة الله تؤدي إلى اليقين.
(٣) سورة الأنعام الآية ٧٥. يفهم من الآية ان إحدى لوازم اليقين مشاهدة ملكوت السماوات والأرض.
٤) سورة المطففين الآية ٢١. يستفاد من الآيات ان عاقبة (الأبرار) في كتاب يدعى (عليين) المرتفع جدا، ويشاهده المقربون لله تعالى، علما ان لفظ (يشهده) صريح بان المراد ليس الكتاب المخطوط، بل عالم تقرب وارتقاء.
(٥) سورة التكاثر الآية ٥. يستفاد من الآية ان علم اليقين موروث لمشاهدة عاقبة حالة الأشقياء وهو الجحيم (جهنم).
٤. الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثة
اتضح مما سبق، ان القرآن الكريم يعرض ثلاثة طرق لفهم المعارف الدينية: الظواهر الدينية والعقل. والإخلاص في العبودية، والذي مؤداه

انكشاف الحقائق. والمشاهدة الباطنية لها، ولكن يجب ان نعلم أن هذه الطرق الثلاثة، تتفاوت فيما بينها من جهات عدة:

الأولى: ان الظواهر الدينية، بيانات لفظية، تستفاد من أبسط الألفاظ، وفي متناول أيدي الناس، وكل يستفيد ١ منها حسب قدرته وفهمه واستيعابه، على خلاف الطريقين الآخرين، إذ يختصان بجماعة خاصة، ولم يكونا لعامة الناس.

الثانية: ان طريق الظواهر الدينية، لهو الطريق الموصل إلى أصول المعارف الاسلامية وفروعها، ويمكن الحصول على المسائل الاعتقادية والأخلاقية، وكذا الكليات للمسائل العملية (فروع الدين)، ولكن جزئيات الأحكام ومصالحها الخاصة بها لم تكن في متناول

العقل، وخارجة عن نطاقها، وهكذا طريق تهذيب النفس، لان نتيجتها انكشاف الحقائق، وهو

علم لدني (من قبل الله تعالى)، ولا يسعنا ان نحدد نتائجها والحقائق التي تنكشف عن هذه الموهبة الإلهية، وهؤلاء لما انفصلوا عن كل شئ ونسوه، سوى الله تعالى، فإنهم تحت رعاية الله بصورة مباشرة، وكل ما يريده (لا كل ما يريدونه) ينكشف لهم.

---

(١) ومن هنا يتضح لنا قول النبي الأكرم (ص) في رواية ينقلها العامة والخاصة: (انا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم). البحار ج ١: ٣٦.

٥. الطريق الأول: الظواهر الدينية أقسامها
وكما سبقت الإشارة إليه، ان القرآن الكريم والذي يعتبر مصدرا أساسيا للفكر الديني الاسلامي، قد أعطى للسامعين حجية واعتبار ظواهر الألفاظ، وان هذه الظواهر للآيات قد
جعلت أقوال النبي الأكرم (ص) في المرحلة الثانية بعد القرآن، وتعتبر حجة كالآيات القرآنية، ويؤيده قوله تعالى:
وأنزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ١.
وقوله جل شأنه: هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ٢.
وقوله أيضا: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ٣).
فإذا لم تكن أقوال النبي الأكرم (ص) وأفعاله وحتى صمته واقراره، حجة كالقرآن الكريم، لم نجد مفهوما صحيحا للآيات المذكورة، لذا فان أقواله صلى الله عليه وآله حجة لازمة الاتباع، للذين قد سمعوه (ص)،

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.
(٢) سورة الجمعة الآية ٢.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.

أو قد نقل إليهم عن طريق رواة ثقات، وكذلك ينقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم عن طرق
متواترة قطعية ان أقوال أهل بيته كأقواله، وبموجب هذا الحديث والأحاديث النبوية القطعية الأخرى، تصبح أقوال أهل البيت تالية لأقوال النبي الأكرم (ص)، وواجبة الاتباع، وان أهل البيت لهم المرجعية العلمية في الاسلام ولم يخطأوا في تبيان المعارف والاحكام الاسلامية، فأقوالهم حجة يعتمد عليها سواء كان مشافهة أو نقلا.
يتضح من هذا التفصيل ان الظواهر الدينية والتي تعتبر مصدرا في الفكر الاسلامي على قسمين: الكتاب والسنة، والمراد بالكتاب، ظواهر الآيات القرآنية الكريمة، والمقصود بالسنة، الأحاديث المروية عن النبي الأكرم (ص) وأهل البيت (ع).

٦. حديث الصحابة
اما الأحاديث التي تنقل عن الصحابة، فإذا كانت متضمنة أقوال الرسول الكريم (ص) أو أفعاله، ولم تخالف أحاديث أهل البيت، تؤخذ بنظر الاعتبار، وإذا كانت متضمنة لرأي الصحابي فحسب فليست لها حجية، ويعتبر الصحابي كسائر المسلمين، علما بأن الصحابة
أنفسهم كانوا يعتبرون الصحابي كبقية المسلمين، ويعاملونه معاملتهم.
٧. بحث آخر في الكتاب والسنة
يعتبر كتاب الله (القرآن الكريم) هو المصدر الأساسي للفكر الاسلامي، وهو الذي يعطي
الاعتبار والحجية للمصادر الدينية الأخرى، لذا يجب ان يكون قابلا للفهم لعامة الناس.
وفضلا عن هذا فان القرآن الكريم يعلن انه نور موضح لكل شئ، وفي مقام التحدي، يطالب بتدبر آياته، إذ ليس فيه أي اختلاف أو تناقض، وإذا كان باستطاعتهم معارضته، والاتيان بمثله لفعلوا ذلك.
وواضح ان القرآن لو لم يكن مفهوما لدى العامة فان مثل هذه الآيات لا اعتبار لها.
وليس هناك مجال للظن ان هذا الموضوع (القرآن يفهمه عامة الناس) يتنافى مع الموضوع
السابق (ان النبي الأكرم (ص) وأهل بيته، هم مراجع علمية للمعارف الاسلامية، والتي هي حقيقة يدل عليها القرآن الكريم).
ان بعضا من المعارف الاسلامية، وهي الاحكام والقوانين التشريعية، فان القرآن الكريم يشير إلى الكليات منها، ويتوقف تفصيلها بالرجوع إلى السنة (حديث أهل البيت (ع) مثل احكام الصلاة والصوم والمعاملات وسائر العبادات.
والبعض الآخر كالاعتقادات والأخلاق، وان كانت مضامينها وتفاصيلها يفهمها العامة، لكن ادراك وفهم معانيها، يستلزم اتخاذ نهج أهل البيت، مع الاستعانة بالآيات، فإنها تفسر بعضها بعضا، ولا يمكن الاستعانة برأي خاص، والذي أصبح من العادات والتقاليد،
وباتت النفس تستأنس به.

يقول الإمام علي (ع): كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به وينطق بعضه ببعضه، ويشهد بعضه على بعض ١.
يقول النبي الأكرم (ص): القرآن يصدق بعضه بعضا ٢ وكذا قوله (ص) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٣.
هناك أمثلة بسيطة لتفسير القرآن بعضه ببعض، وذلك في قوله تعالى في قصة لوط وأمطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ٤.
وفي آية أخرى جاءت كلمة ساء بكلمة حجارة كما في الآية الكريمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ٥.
يتضح من الآية الثانية ان المراد من الآية الأولى فساء مطر هو حجارة سجيل، والذي يتابع أحاديث أهل البيت بدقة وكذا الروايات المنقولة عن مفسري الصحابة والتابعين، لا يتردد بان طريقة تفسير القرآن بالقرآن تنحصر في طريقة أئمة أهل البيت (ع).

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٣٣.
(٢) الدر المنثور ج ٢: ٦.
(٣) تفسير الصافي صفحة ٨ / البحار ج ١٩: ٢٨.
(٤) سورة الشعراء الآية ١٧٣.
(٥) سورة الحجر الآية ٧٤.

٨. ظاهر القرآن وباطنه

اتضح ان القرآن الكريم بألفاظه وبيانه، يوضح الأغراض الدينية، ويعطي الاحكام اللازمة للناس في الاعتقادات والعمل بها، ولكن لا تنحصر

أغراض القرآن بهذه المرحلة، فان في كنه هذه الألفاظ وهذه الأغراض، تستقر مرحلة معنوية، وأغراض أكثر عمقا، والذي يدركه الخواص بقلوبهم الطاهرة المنزهة.
فالنبي العظيم، وهو المعلم الإلهي للقرآن يقول، ظاهر أنيق وباطن عميق ١ ويقول أيضا للقرآن بطن وظهر ولبطنه بطن، إلى سبعة بطون ٢، وقد ورد الكثير عن باطن القرآن، في
أقوال أهل البيت (ع) ٣.
فالأصل في هذه الروايات، هو التشبيه الذي قد ذكره الله تعالى في سورة الرعد الآية ١٧. يشبه فيه الإفاضات السماوية بالمطر الذي يهطل من السماء بقوله:
انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال.
وتشير هذه الآية إلى أن استيعاب الناس وقدرتهم على اكتساب المعارف السماوية والتي تنير النفوس، وتمنحها الحياة متفاوتة.
فهناك من لا يعطي الأصالة لهذا العالم الذي سرعان ما يزول الا للمادة والحياة المادية، ولا يرجو سوى ما تشتهيه نفسه من الحياة المادية، ولا يخشى الا الحرمان منها، وهؤلاء على اختلاف في مراتبهم.
وغاية ما يمكن قبوله من المعارف السماوية، هو الاعتقاد بمجمل من المعتقدات، وأداء احكام الاسلام العملية ظاهرا، ومن ثم عبادة الله جل شأنه

---

(١) تفسير الصافي صفحة ٤.
(٢) سفينة البحار / تفسير الصافي ص ١٥ / الكافي / معاني الأخبار / وروايات أخرى.
(٣) البحار ج ١: ١١٧.

املا في الثواب وخوفا من العقاب.
وهناك أناس أثر صفاء فطرتهم لا يرون السعادة بالركون إلى لذائذ هذه الحياة بأيامها القليلة الزائلة، وما الفائدة والضرر، والبهجة والبؤس في الحياة هذه الا ظن مغر، وما أولئك الذين كانوا بالأمس سعداء، واصبحوا اليوم قصصا تروى، سوى دروس عبر لهم.
تلقى في أذهانهم باستمرار وعلى الدوام.
وهؤلاء بالطبع يتجهون بقلوبهم المنزهة إلى العالم الأبدي وينظرون إلى هذا العالم بما فيه من مظاهر مختلفة، بأنها دلالات واشارات لا غير، وليست فيها أية أصالة أو استقلال.
وعندما تفتح لهم أبواب من المعرفة والادراك المعنوي للآيات والظواهر الأرضية والسماوية، وتشرق في نفوسهم أنوار غير متناهية من عظمة وجلال الخالق سبحانه، وتعجب
نفوسهم وقلوبهم الطاهرة برموز الخليقة اعجابا، فتعرج أرواحهم في الفضاء غير المتناهي للعالم الأبدي بدلا من انغماسها في مصالحها المادية الخاصة.
وعندما يستمعون عن طريق الوحي الإلهي، ان الله تعالى قد نهى عن عبادة الأوثان، وظاهر الآية مثلا التعظيم امام الأصنام، فإنهم يدركون ان العبادة تختص بالله
سبحانه، وليس لأحد سواه، لأن حقيقة العبادة هي العبودية المطلقة، وأكثر من هذا فهم يدركون على أن الخوف والرجاء لا يكون الا من الله ولله وحده، ويجب الا يستسلموا لأهواء النفس، ولا يجوز التوجه الا لله تعالى.
وعندما يتلى عليهم حكم وجوب الصلاة، وظاهر الحكم إقامة العبادة الخاصة، لكن بحسب
الباطن يدركون ان هذه العبادة يجب ان تتحقق بقلوبهم وبكل وجودهم، وأكثر من هذا يجب
ان ينسوا أنفسهم، فهم لا شئ تجاه الخالق، ويتفانوا في عبادة الله وحده.

وكما هو واضح ان المعنى الباطني المستفاد من المثالين السابقين، لم يكن مدلولا لفظيا للامر أو النهي بذاته – للذي جعل مجال فكره متسعا – يرجح النظر إلى العالم والكون على النظر في نفسه، وما تنطوي عليه من أنانية وحب للذات.
ومع هذا البيان، يتبين معنى ظاهر القرآن وباطنه، وكذلك يتضح ان باطن القرآن لا يلغي ولا يبطل ظاهره، بل إنه بمنزلة الروح التي تمنح الجسم الحياة، وبما ان الاسلام دين عام شامل وأبدي، يهتم أولا وقبل كل شئ باصلاح المجتمع البشري، ولا يتخلى عن الاحكام الظاهرية والتي مؤداها اصلاح المجتمع وكذا لا يتخلى عن الاعتقادات البسيطة والتي تعتبر حارسة للأحكام المشار إليها.
وكيف يمكن لمجتمع ان ينال السعادة بالاقتناع ان الانسان يكفيه ان يكون منزها، وليس
هناك ثمة اعتبار للعمل، ويعيش في حياة محاطة بعدم التنظيم والاستقرار؟
وكيف يمكن لفكر سقيم وأقوال سقيمة ان تخلق قلوبا طاهرة زكية، أو ان يظهر من قلب
زكي، أقوال قيمة؟
ويقول تعالى في كتابه العزيز: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات.
ويقول أيضا: (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ١).
ويستفاد مما ذكرنا ان للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا، وباطنه أيضا ذو مراتب مختلفة، والحديث هو المبين لمفاهيم القرآن الكريم.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨.

٩. تأويل القرآن
ومما كان مشهورا عند إخواننا أهل السنة في صدر الاسلام، هو امكان الرجوع عن ظاهر
القرآن الكريم، إذا وجد دليل، وان تحمل الآية على خلاف الظاهر، هذا ما يسمى ب التأويل فكلمة التأويل في القرآن الكريم، كانت تفسر بهذا المعنى.
ومما يشاهد في كتب أهل السنة، ان المناظرات الدينية المختلفة، كانت تؤيد باجماع علماء المذاهب، أو بدليل آخر، فإذا ما خالفت ظاهر آية من الآيات القرآنية، كانوا يلجأون إلى تأويل الآية، حملا لخلاف ظاهرها، وأحيانا كان يلجأ كل من الطرفين المتخاصمين، لقولين متضاربين، إلى الآيات القرآنية، والاحتجاج بها، وكل منهما كان يؤول آية الطرف المتخاصم.
قلما تسرب هذا النوع من الاحتجاج إلى الشيعة، وقد ذكر في بعض كتبهم في علم الكلام
ومما يستفاد من الآيات القرآنية وأحاديث أهل البيت بعد تدبرها ان القرآن الكريم مع صراحته ووضوح بيانه، لا يريد ان تكون الآيات مبهمة وتبقى لغزا دون حل، وكل ما جاء
إلى الناس من احكام ومسائل، فهي بألفاظ تناسب ذلك الموضوع.
وما يذكره القرآن بكلمة تأويل لم يكن مدلولا للفظ بل حقائق وواقعيات أعلى شأنا من فهم عامة الناس، وهي الأساس للمسائل الاعتقادية والاحكام العملية للقرآن.
نعم ان لكل آيات القرآن تأويلا، ولا يدرك تأويله عن طريق التفكر مباشرة، ولا يتضح ذلك من ألفاظه، وينحصر فهمه وادراكه للأنبياء

والصالحين من عباد الله، الذين نزهوا أنفسهم من كل رجس، فإنهم يستطيعون ادراكه عن
طريق المشاهدة، نعم ان تأويل القرآن سوف ينكشف يوم تقوم الساعة.
نحن نعلم جيدا ان احتياج المجتمع المادي، دفع الانسان إلى الكلام، ووضع الكلمات وكذا كيفية الاستفادة من الألفاظ، فالانسان في حياته الاجتماعية مضطر ان يبدي ما في
ضميره من مفاهيم إلى أبناء نوعه، ويستمد العون في هذا عن طريق الصوت والأذن، وقلما
استفاد من الإشارة أو حركة العين، ومن هنا نجد ان التفاهم لا يحصل بين افراد صم عمي،
لان ما يقوله الأعمى لا يسمعه الأصم، وما يقوم به الأصم من الإشارات لا يراها الأعمى، فعلى هذا فان وضع الكلمات، وتسمية الأشياء ما هو الا لرفع الاحتياجات المادية، وقد اصطنعت الكلمات للأشياء والأوضاع والأحوال المادية التي تقع في متناول
الحس، أو على مقربة من المحسوس، وكما نشاهد في موارد، إذا كان المخاطب فاقدا لإحدى
الحواس، وأردنا التكلم معه عن طريق ذلك الحس المفقود، نلجأ إلى نوع من التمثيل والتشبيه، فعلى سبيل المثال، إذا أردنا ان نصف لشخص أعمى منذ الولادة، النور والضياء، وإذا أردنا ان نصف لطفل لم يبلغ سن البلوغ، لذة العمل الجنسي، فإننا نقوم بنوع من المقارنة والتشبيه المناسب.
فعليه إذا افترضنا ان هناك في الكون واقعيات ليست بمادة (وواقع الامر هكذا) فهناك من البشر في كل عصر، لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع، لهم القدرة على ادراكها ومشاهدتها، وهذه الأمور لا يمكن توضيحها للآخرين عن طريق البيان اللفظي والفكر الاعتيادي، ولا يسعنا الإشارة إليه الا بالتمثيل والتشبيه. فالله تعالى يقول في
كتابه العزيز انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وانه في أم الكتاب لدينا
لعلي حكيم ١ أي لا يتوصل إليه الفهم

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣، ٤.

الاعتيادي، ولا يبلغه.
ويقول أيضا: انه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لا يمسه الا المطهرون ١.
ويقول أيضا في شأن النبي الأكرم (ص) وأهل بيته (ع): انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ٢.
وفقا لدلالات هذه الآيات، فان القرآن الكريم يصدر من ناحية تعجز افهام الناس من الوصول إليها، والتوغل فيها، فلا يدركها الا من كان من المخلصين وعباده المقربين، وأوليائه الصالحين، فأهل بيت النبي الأكرم (ص) خير مصداق لذلك.
ويقول عز من قائل: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله، كذلك كذب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ٣. أي ترى الأشياء بالعيان يوم القيامة.
ويقول أيضا في آية أخرى: هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ٤.

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧٧ - ٧٩.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٣) سورة يونس الآية ٣٩.
(٤) سورة الأعراف الآية ٥٣.

١٠. تتمة البحث عن الحديث
ان اعتبار أصالة الحديث، والذي يؤيده القرآن الكريم، تقره الشيعة وسائر المذاهب الاسلامية، ولكن أثر التفريط الذي حصل من الولاة والحكام في صدر الاسلام في حفظه،
والافراط الذي حدث من الصحابة والتابعين في نشر الأحاديث، كانت عاقبة الحديث مؤسفة
مؤلمة.
فمن جهة منع خلفاء الوقت من كتابة الحديث وتدوينه، إذ كانوا يحرقون الأوراق التي دونت فيها الأحاديث، ما وسعهم ذلك، وأحيانا كانوا يمنعون من نقل الأحاديث، هذا ما
أدى إلى أن الكثير من الأحاديث أصابها التغيير والتحريف والنسيان ونقلت الأحاديث بمضامينها.
ومن جهة أخرى، قام صحابة النبي الأكرم (ص) الذين حضروا مجلسه، واستمعوا إلى حديثه،
وكانوا مورد احترام خلفاء الوقت وعامة المسلمين، قاموا بنشر الأحاديث حتى آل الامر إلى أن يصبح الحديث ذا أهمية أكثر من القرآن، فأحيانا كان الحديث ينسخ الآية ١.
وكان يتفق ان نقلة الأحاديث، يتحملون مصاعب الطريق والسفر لاستماع حديث واحد.
وقد تزيا البعض من غير المسلمين بزي الاسلام، وتلبس به، وذهب بعض من أعداء الاسلام
إلى وضع الأحاديث وتغييرها، حيث أسقطوا الحديث

---

(١) موضوع نسخ القرآن بالحديث أحد مواضيع علم الأصول، ويؤيده جمع من علماء أهل السنة ، ويتضح من قضية (فدك) ان الخليفة الأول يؤيد ذلك أيضا.

من الاعتبار، والوثوق به ١.
ولهذا السبب فكر علماء الاسلام ومفكروهم لوضع حل لهذه المعضلة، فوضعوا علمين: علم
الرجال وعلم الدراية، ليميزوا الحديث الصحيح من السقيم.
والشيعة فضلا عن انهم يسعون لتنقيح سند الحديث، يرون وجوب مطابقة الحديث للقرآن
الكريم في صحة اعتباره.
وقد ورد في اخبار كثيرة ٢ وبأسانيد قطعية عن طريق الشيعة عن النبي الأكرم (ص)، وأئمة
أهل البيت (ع)، ان الحديث الذي يخالف القرآن لا اعتبار له، والحديث المعتبر هو ما وافق القرآن، فوفقا لهذه الأخبار الشيعية، لا يعمل بالأحاديث التي تخالف القرآن،
اما الاخبار التي ٣ لا يعلم مدى مخالفتها أو موافقتها، فإنها توضع جانبا، دون رد أو قبول، ويعتبر مسكوتا عنه، ويستدل على هذا الامر بأحاديث أخرى لأئمة أهل البيت (ع)،
ولا يخفى ان هناك فئة من الشيعة، مثل ما عند أهل السنة، يعملون بأي حديث يقع في متناول أيديهم.

---

(١) ما يؤيد هذا القول مصنفات كثيرة وضعها العلماء في الأحاديث الموضوعة، وكذا في كتب الرجال اشتهر جماعة من الرواة بأنهم كذابون وضاعون.
(٢) البحار ج ١: ١٣٩.
(٣) البحار ج ١: ١٧١.

١١. الشيعة والعمل بالحديث

الأحاديث التي سمعت من النبي الأكرم (ص) أو أئمة أهل البيت (ع) دون واسطة، حكمها حكم القرآن الكريم، اما الأحاديث التي وصلت إلينا

بواسطة، فان الشيعة تعمل بها كالآتي:
فيما يتعلق بالمسائل الاعتقادية، والذي يصرح به القرآن يستلزم العلم والقطع بالخبر المتواتر، أو الخبر الذي تتوفر في صحته الشواهد القطعية، فإنه يعمل به، وعدا هذين النوعين، والذي يسمى الخبر الواحد، فلا اعتبار له.
ولكن في استنباط ١ الأحكام الشرعية، نظرا للأدلة القائمة، فضلا عن الخبر المتواتر والخبر القطعي، فأنه يعمل أيضا بالخبر الواحد الذي يكون موثقا.
اذن فالخبر المتواتر والخبر القطعي مطلقا عند الشيعة، يكون حجة ولازم الاتباع، اما الخبر غير القطعي (الخبر الواحد) فإنه حجة بشرط ان يكون موثقا في نوعه، وينحصر ذلك
في الأحكام الشرعية.

---

(١) مبحث حجية الخبر الواحد في علم الأصول. ١٢. التعلم والتعليم العام في الاسلام
تحصيل العلم إحدى الوظائف الدينية في الاسلام، وخير دليل على ذلك، قول النبي الأكرم (ص) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ووفقا للاخبار التي تؤيد بالشواهد القطعية، ان المراد من العلم، هو معرفة أصول الدين الثلاثة (التوحيد – النبوة – المعاد) مع ما يلازمها، ومعرفة الاحكام والقوانين الاسلامية بصورة مفصلة، كل حسب احتياجه.
وواضح ان تحصيل العلم في أصول الدين، وان كان مع دليل مجمل، فهو ميسور للجميع، ولكن تحصيل العلم مع تفاصيل الاحكام والقوانين الدينية، لا يتحقق الا من الاستفادة والاستنباط الفني من المصادر الأصلية،

الكتاب والسنة (الفقه الاستدلالي) وهذا ما لا يتيسر للجميع، فهناك من يستطيع ان يقوم بهذه المهمة.

والاسلام لا يشرع حكما فيه حرج، فعلى هذا فان تحصيل العلم للأحكام والشرائع الدينية

عن طريق الدليل يعتبر واجبا كفائيا، يختص بالبعض الذي له الكفاءة والقدرة، اما عامة الناس، فيجب عليهم الرجوع، وفقا للقاعدة العامة، وجوب الرجوع الجاهل إلى العالم، (قاعدة الرجوع إلى الخبرة)، وهو مراجعة من يسمون ب المجتهدين الفقهاء ويطلق على هذه المراجعة كلمة (التقليد) ولكن هذا الرجوع والتقليد ليس في أصول الدين ١.

ومما تجدر الإشارة إليه، ان الشيعة، لا تجيز التقليد الابتدائي من المجتهد الميت، والشخص الذي لا يعلم مسألة ما عن طريق الاجتهاد، فإنه وفقا لوظيفته الدينية يجب ان يقلد المجتهد، ولا يستطيع الرجوع إلى فتوى المجتهد المتوفى، ما لم يكن قد قلد في هذه

المسألة مجتهدا حيا، وبعد وفاة المرجع والمقلد بقي على تقليده، وهذه المسألة هي إحدى العوامل المهمة التي تجعل الفقه الاسلامي الشيعي يمتاز بالحيوية، فيسعى جماعة للحصول على درجة الاجتهاد، والتحقيق في المسائل الفقهية.

ولكن إخواننا أهل السنة أثر الاجماع الذي حصل في القرن الخامس الهجري، الداعي بلزوم اتباع مذهب من الفقهاء الأربعة وهم: أبو حنيفة والمالكي والشافعي وأحمد بن حنبل، فهم لا يجيزون الاجتهاد الحر، وكذا التقليد من غير هؤلاء الأربعة، وفي النتيجة بقي فقههم كما كان عليه قبل حوالي الف ومائتي سنة، وأخيرا انعزل جماعة من المنفردين عن الاجماع المذكور، واتجه نحو الاجتهاد الحر.

---

(١) يراجع في هذا الموضوع مبحث الاجتهاد والتقليد من علم الأصول.

١٣. الشيعة والعلوم النقلية
العلوم الاسلامية التي دونها علماء الاسلام، تنقسم إلى قسمين: عقلية ونقلية، فالعلوم النقلية، هي التي يعتمد عليها في النقل، مثل اللغة والحديث والتأريخ وما شابهها، والعلوم العقلية مثل الفلسفة والرياضيات.
ولا شك ان الدافع الأصلي لظهور العلوم النقلية في الاسلام، هو القرآن الكريم، عدا علمين مثل علم التأريخ والأنساب وعلم العروض. اما سائر العلوم فهي وليدة هذا الكتاب
الإلهي.
دون المسلمون هذه العلوم بتتبعهم الديني، وأهم ما فيها هو، الأدب العربي وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة، وعلم اللغة، وما يتعلق بالظواهر الدينية، مثل فن علم القراءة والتفسير والحديث والرجال والدراية والأصول والفقه.
والشيعة لهم دورهم ومشاركتهم المهمة في تأسيس وتنقيح هذه العلوم، ويمكن القول بأن
المؤسس والمبتكر لكثير منها هم الشيعة، كما نجد ذلك في علم النحو، فقد صنفه أبو الأسود الدؤلي وهو أحد صحابة النبي (ص) وعلي (ع) بعد أن أملاه عليه الإمام علي (ع). ويعتبر الصاحب بن عباد الشيعي من كبار مؤسسي ١ علم الفصاحة والبلاغة، وكان من
وزراء آل بويه. وأول كتاب صنف في علم اللغة هو كتاب العين ٢، لمؤلفه العالم المعروف

---

(١) الوفيات لابن خلكان ص ٧٨ - أعيان الشيعة ج ١١: ٢٣١.
(٢) الوفيات ص ١٩٠ - وعيان الشيعة وسائر الكتب والتراجم.

الخليل بن أحمد البصري الشيعي، وهو واضع علم العروض، وأستاذ سيبويه النحوي في علم النحو.
وتنتهي قراءة عاصم للقرآن إلى علي (ع) بواسطة، واما عبد الله بن عباس والذي يعتبر من أفضل الصحابة في التفسير، فتلميذ للإمام علي (ع)، ولا ينكر أحد ما بذله أهل البيت
وشيعتهم من جهد في علم الحديث والفقه، وان اتصال الفقهاء الأربعة وغيرهم بالامام الخامس والسادس للشيعة فمعروف، وما حصل عليه الشيعة من تقدم في أصول الفقه في زمن
الوحيد البهبهاني (المتوفى سنة ١٢٠٥ هجري قمري) وبالأخص على يد الشيخ مرتضى الأنصاري، (المتوفى سنة ١٢٨١ هجري قمري) يثير الاعجاب. ولا يقارن بأصول الفقه لدى
أخواننا أهل السنة.
الطريق الثاني: للمباحث العقلية
١) التفكر العقلي والفلسفي والكلامي.
٢) مدى قدم الشيعة في التفكير الفلسفي والكلامي في الاسلام.
٣) الشيعة تسعى دائما في الفلسفة وسائر العلوم العقلية.
٤) لماذا استقرت الفلسفة عند الشيعة؟
٥) خمسة من نوابغ علماء الشيعة.

١. التفكر العقلي والفلسفي والكلامي
قد أشرنا سابقا ١، ان القرآن الكريم يؤيد التفكر العقلي، ويعتبره جزء من التفكر الديني. والتفكر العقلي بعد أن يصادق على صدق نبوة النبي الأكرم (ص)، يجعل الظواهر
القرآنية بما فيها الوحي السماوي، وأقوال النبي (ص)

---

(١) الفصل الأول من الكتاب.

وأهل البيت (ع) من موارد الحجج العقلية. والحجج العقلية التي يثبت بها الانسان نظرياته، مع ما لديه من فطرة إلهية تنقسم إلى قسمين: البرهان والجدل.
والبرهان: حجة، ومقدماته الواقعيات، وان لم تكن مشهودة أو مسلمة، وبعبارة أخرى، أمور يدركها الانسان اضطرارا مع ما عنده من فطرة إلهية، ويصادق عليها، كما نعلم (ان عدد الثلاثة أصغر من عدد الأربعة)، فهذا النوع من التفكر، يدعى التفكر العقلي، وإذا تحقق وحصل ذلك في الكليات من العالم والكون، كالتفكر في بدء الخلقة، وعاقبة
العالم والعالمين، فهو ما يسمى بالتفكر الفلسفي.
والجدل: حجة، إذا حصلت مقوماته من المشهودات والمسلمات، كما هو متعارف بين معتنقي
الأديان والمذاهب، إذ انهم يثبتون آراء ونظريات مذهب مع الأصول المسلمة لذلك المذهب.
والقرآن الكريم يستفيد من الطريقتين، وهناك آيات كثيرة في هذا الكتاب السماوي لكل
من هاتين الطريقتين.
أولا: يأمر بالتدبر والتفكر المطلق في الكليات لعالم الطبيعة وفي النظام العام للعالم، وكذا في النظام الخاص، مثل نظام السماء والنجوم والليل والنهار والأرض والنبات والحيوان والانسان وغيرها، ويثني على التتبعات العقلية الحرة ثناء جميلا.
ثانيا: يأمر بالتفكر العقلي الجدلي، ويسمى عادة بالمباحث الكلامية، بشرط ان يتم ذلك بأحسن وجه ممكن وذلك لاظهار الحق بدون لجاجة وأن يكون مقرونا بالأخلاق الحسنة، كما في قوله تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ١.

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

٢. مدى قدم الشيعة في التفكير الفلسفي والكلامي في الاسلام
منذ اليوم الذي انفصلت الأقلية الشيعية عن الأكثرية السنية، كانت الشيعة تقيم الاحتجاج مع مخالفيها في النظريات التي كانت تتبناها، والخاصة بها.
صحيح ان الاحتجاج ذو طرفين، والمتخاصمان شريكان في دعواهم، ولكن الشيعة كانت تقف
موقف الهجوم، والآخرون كانوا في موقف الدفاع، فالذي يقف موقف الهجوم يجب ان يكون قد
هيأ الوسائل الكافية للمخاصمة، ومن ثم الحملة والهجوم.
وكذا في التقدم الذي حظت به المباحث الكلامية بصورة تدريجية، في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، فقد وصل في رقيه إلى القمة مع انتشار مذهب الاعتزال، فعلماء الشيعة ومحققوهم، والذين هم تلاميذ مدرسة أهل البيت (ع)، كانوا في المقدمة من المتكلمين.
فضلا من أن متكلمي أهل السنة ١، من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم، يصلون في تدرجهم هذا
إلى الامام الأول للشيعة، وهو الإمام علي (ع)، واما أولئك الذين عرفوا آثار الصحابة، واطلعوا عليها، يعلمون جيدا ان من بين جميع هذه الآثار التي تنسب إلى الصحابة (وقد دونت أسماء اثني عشر ألفا) لم نجد أثرا واحدا يشتمل على التفكر الفلسفي. وينفرد الإمام علي (ع) بخطابه وبيانه المبهر في معرفة الله تعالى، بأنه يتصف بالتفكيرات الفلسفية

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، أوائل المجلد الأول.

العميقة جدا.
لم تكن للصحابة ولا التابعين الذين جاؤوا بعد الصحابة، والعرب بصورة عامة في ذلك اليوم، أية معرفة بالتفكر الفلسفي الحر، ولم نجد في أقوال العلماء في القرنين الأولين للهجرة، نماذج من التدقيق والتتبع، بينما نجد الأقوال الرصينة لأئمة الشيعة، وخاصة الامام الأول والثامن، تحتوي على كنوز من الأفكار الفلسفية، كما علموا تلاميذهم هذا اللون من التفكير.
نعم كان العرب بعيدين عن التفكر الفلسفي، حتى شاهدت نموذجا منها في ترجمة بعض
الكتب الفلسفية اليونانية، المترجمة إلى العربية في أوائل القرن الثاني للهجرة، وبعدها، ترجمت كتب متعددة في أوائل القرن الثالث الهجري من اليونانية والسريانية وغيرها إلى العربية، وآنذاك أصبحت طريقة التفكر الفلسفي في متناول أيدي العموم، ومع
هذا الوصف، فان الكثيرين من الفقهاء والمتكلمين، لم يبدوا اهتماما بالفلسفة وسائر العلوم العقلية، والتي وردت إليهم حديثا، وان كانت هذه المخالفة في بداية الامر ذات أهمية، بفضل الالتفات الخاص الذي كانت تبديه السلطة الحاكمة آنذاك لمثل هذه
العلوم.
ولكن بعد زمن تغيرت الأوضاع والأحوال، فمنعت دراسة هذه العلوم، والقي في البحر بعض
الكتب الفلسفية، وما كتاب رسائل اخوان الصفا وهو من نتاج فكري لعديد من مؤلفين،
الا مذكر بتلك الفترة، فهو خير دليل على كيفية الأوضاع المضطربة في ذلك الزمن، وبعد
هذه الفترة، أي في أوائل القرن الرابع الهجري، ظهرت الفلسفة ونمت، على يد أبي نصر
الفارابي. وفي أوائل القرن الخامس للهجرة، وأثر مساعي الفيلسوف المشهور أبي علي سينا اتسعت الفلسفة اتساعا بالغا، وفي القرن السادس أيضا، نقح الشيخ
السهروردي فلسفة الاشراق، وقد قتل بهذه التهمة، وبأمر من الحاكم صلاح الدين الأيوبي، وبعدها ارتحلت قصة الفلسفة من بين الكثيرين، ولم ينبغ فيلسوف شهير، حتى جاء القرن السابع الهجري، فظهر في الأندلس

أطراف الممالك الاسلامية، ابن رشد الأندلسي وسعى في تنقيح الفلسفة.
٣. الشيعة يسعون دائما بحقل الفلسفة وسائر العلوم العقلية
الشيعة – كما أشرنا – كانوا عاملا مؤثرا في ايجاد الفكر الفلسفي، ويعتبرون عاملا مهما في تقدم هذا الفكر، وكانوا يسعون دوما في نشر العلوم العقلية، ومع وفاة ابن رشد ذهبت الفلسفة من بين الأكثرية من أهل السنة، ولكنه لم يرحل من بين الشيعة، وبعدها اشتهر فلاسفة كبار مثل الخواجة نصير الدين الطوسي وميرداماد وصدر المتألهين وسعى كل من هؤلاء، الواحد بعد الآخر في تحصيل العلوم الفلسفية وتدوينها.
وكذلك في سائر العلوم العقلية ظهر كل من الخواجة الطوسي والبيرجندي وغيرهم. كل
هذه العلوم وخاصة الفلسفة الإلهية، تقدمت تقدما باهرا أثر المساعي الدائبة لعلماء الشيعة ومفكريهم، ويتضح ذلك، بمقارنة آثار كل من الخواجة الطوسي وشمس الدين تركه وميرداماد وصدر المتألهين مع مؤلفات القدماء.
٤. لماذا استقرت الفلسفة عند الشيعة؟
فكما ان العامل المؤثر في وجود ونشأة الفكر الفلسفي والعقلي بين الشيعة هو آثار أئمة الشيعة وعلمائهم، والتي بواسطتهم أصبحت من الذخائر

العلمية الشيعية لدى الآخرين، فان بقاء واستقرار هذه اللون من الفكر، يرجع إلى وجود تلك الذخائر العلمية، التي يهتم بها الشيعة ويبدون لها احتراما وتقديسا، ولكي يتضح الامر، يكفينا مقارنة الذخائر العلمية لأهل البيت (ع) مع الكتب الفلسفية التي صنفت مع مرور الزمن، فإننا سنرى بوضوح، ان الفلسفة كانت تقترب من الذخائر العلمية
في أكثر الموارد، وحتى مجئ القرن الحادي عشر، فأنها كانت متقاربة جدا، بل منطبقة،
ولم يكن هناك فارق سوى اختلاف في التعبير.

٥. خمسة من نوابغ الشيعة

١) ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ للهجرة.

هو أول عالم شيعي، استخرج ورتب الموضوعات الفقهية والاعتقادية من الروايات الشيعية
التي كانت مدونة في الأصول، (الأصل هو ما جمعه المحدث من روايات أهل البيت (ع) في
مصنف خاص) فسمى كتابه، الكافي وينقسم على أقسام ثلاثة:
الأصول والفروع والروضة (المتفرقات)، ويشتمل على ١٦١٩٩ حديثا، ويعتبر هذا الكتاب
من أشهر كتب الحديث التي عرفت في عالم التشيع، وهناك ثلاثة كتب، تأتي بعد الكافي
من حيث الأهمية وهي:
كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة. وكتاب التهذيب وكتاب الاستبصار لمؤلفهما الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة.

٢) أبو القاسم جعفر بن حسن بن يحيى الحلي المعروف بالمحقق

المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة.
يعتبر من نوابغ علم الفقه، ومن أشهر مشاهير فقهاء الشيعة، وما كتاب المختصر النافع ١ وكتاب الشرائع الا من أروع ما حرره في الفقه، ومنذ ٧٠٠ سنة وحتى الان لا يزال مورد اعجاب وتقدير الفقهاء، وفي متناول أيديهم.
ومن الكتب التي تأتي بعد الكافي هو كتاب اللمعة الدمشقية لمؤلفه المحقق الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي استشهد سنة ٧٨٦ للهجرة، بتهمة تشيعه، وقد دون كتابه
هذا بمستوى رفيع، في السجن، خلال سبعة أيام.
ويعتبر كتاب كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي من أجود مؤلفاته.
٣) الشيخ مرتضى الأنصاري التستري المتوفى سنة ١٢٨١ للهجرة.
نقح علم أصول الفقه، وحرر طرق الأصول العلمية، والتي تعتبر من أهم أقسام هذا الفن، ولا تزال مدرسته (طريقته) قائمة، وموضع تقدير العلماء منذ ١٠٠ عام.
٤) الخواجة نصير الدين الطوسي.
المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة.
وهو أول من أظهر علم الكلام، بصيغته الفنية الكاملة، ومن أشهر مؤلفاته وأجودها كتاب
تجريد الكلام، ولا يزال ومنذ أكثر من ٧٠٠ سنة، لم يفقد اعتباره بين رواد هذا الفن، وقد طبع الكتاب مع شروح وحواش عديدة من قبل العامة والخاصة.
فهو فضلا عن نبوغه في علم الكلام، يعتبر من نوابغ عصره في علم

---

(١) وقد نشرت هذا الكتاب مؤسسة البعثة في طبعتها الأخيرة.

الفلسفة والرياضيات أيضا، وخير شاهد على ذلك، هو الكثير من مؤلفاته المهمة في مختلف العلوم العقلية، وقد قام بانشاء مرصد أيضا.

٥) صدر الدين محمد الشيرازي،

المولود سنة ٩٧٩، والمتوفى سنة ١٠٥٠ للهجرة.

هو أول فيلسوف قام بتصنيف وترتيب المسائل الفلسفية كالمسائل الرياضية (بعد سيرها قرونا متمادية في العصر الاسلامي) بعد أن كانت مبعثرة، فحصلت النتائج التالية:

أولا: فسح المجال للفلسفة بأن تطرح وتحل فيها مئات من المسائل الفلسفية، والتي لم يكن لها المجال ان تطرح في السابق.

ثانيا: أتيح المجال لعرض مجموعة من المسائل العرفانية، (والتي كانت حتى ذلك الوقت
تعتبر مواضيع خارجة عن نطاق العقل، وفوق مستوى الفكر الانساني) وبحثها وتمحيصها
بأيسر السبل.

ثالثا: اتضحت كثير من الظواهر الدينية، والعبارات الفلسفية العميقة لأئمة أهل البيت (ع)، والتي بقيت لقرون متتالية تتصف باللغز الذي لا يحل، وكانت تعتبر من المتشابهات غالبا، وبهذا اتصلت الظواهر الدينية بالعرفان والفلسفة في أكثر الموارد، وسلكت سويا، طريقا واحدا.

وهناك من قام بهذه المهمة قبل صدر المتألهين أيضا، مثل الشيخ السهروردي مؤلف كتاب حكمة الاشراق من فلاسفة القرن السادس، وشمس الدين محمد تركه من فلاسفة
القرن السادس الهجري، حيث قاما بدراسات مثمرة، الا انهما لم يوفقا كاملا، وقد حظي
بهذه الموفقية صدر المتألهين.

وفق صدر المتألهين أثر اتخاذ هذه الطريقة ان يثبت نظرية الحركة الجوهرية، واكتشف البعد الرابع والنظرية النسبية (خارج عن نطاق الذهن والفكر)، وصنف ما يزيد على خمسين كتابا ورسالة. ومن أهم كتبه في الفلسفة، كتاب (الاسفار) في أربعة مجلدات.

الطريق الثالث: الكشف
١) الانسان وادراكه للعرفان.
٢) ظهور العرفان في الاسلام.
٣) ارشاد الكتاب والسنة إلى معرفة النفس، ومناهجها.
١. الانسان ودركه للعرفان
في الوقت الذي تسعى الأكثرية من الناس في أمور معاشهم، ورفع احتياجاتهم اليومية للحياة، غير مبالين بالمعنويات، الا ان هناك غريزة في وجودهم، تدعى غريزة حب الذات،
نراها تنمو عندهم، تجبرهم على ادراك مجموعة من القضايا المعنوية.
كل انسان (على الرغم من أن السوفسطائيين والشكالين يسمون كل حقيقة وواقعية خرافة)
يؤمن بواقعيات ثابتة، ونراه أحيانا، ينظر بفطرته وضميره المنزه، إلى الواقعيات الثابتة في الكون، هذا من جهة، ومن جهة

أخرى، يحس بفناء اجزاء هذا العالم، فإنه يرى العالم وظواهره كالمرآة التي تعكس الواقعيات الثابتة الخلابة، وعند احساس لذاتها، تجعل اللذائذ الأخرى حقيرة في نظره، وبالتالي تجعله ينصرف عن الحياة الفتانة الفانية.

هذا هو مدى جاذبية العرفان، التي تسلك بالمؤمن إلى العالم العلوي، وتقر في قلبه عظمة الله وجلاله، فينسى كل شئ، ويغفل عنه، وتحرضه على أن ينبذ كل ما يتمناه ويرجوه في هذه الحياة، وتدعوه إلى عبادة الله الذي لا يرى، وهو أوضح من كل ما يرى

ويسمع.

وفي الحقيقة ان هذه الجاذبية الباطنية، هي التي أوجدت في عالم الانسان، سبل عبادة الله تعالى. والعارف هو الذي يعبد الله سبحانه عن حب واخلاص، لا عن امل وثواب ولا

عن خوف وعذاب. من هنا يتضح ان العرفان ليس مذهبا في قبال المذاهب الأخرى، بل العرفان طريق من طرق العبادة (عبادة للحب والاخلاص، لا للخوف والرجاء) وهو طريق

لدرك وفهم حقائق الأديان، في قبال طريق الظواهر الدينية وطريق التفكر العقلي.

كل الأديان الإلهية، وحتى الوثنية، لها اتباعها، فهم يسلكون هذا الطريق أيضا، فلكل من الوثنية واليهودية والمسيحية والمجوسية والاسلام، لها أناس عارفون وغير عارفين.

٢. ظهور العرفان في الاسلام

من بين صحابة النبي الأكرم (ص) (وقد جاء ذكر ما يقارب من اثني عشر ألفا من كتب الرجال) ينفرد الإمام علي (ع) ببيانه البليغ عن حقائق العرفان، ومراحل الحياة المعنوية، إذ يحتوي على ذخائر جمة، ولم نجد مثيله

في الآثار التي بأيدينا من بقية الصحابة، وأشهر أصحاب الإمام علي (ع) وتلاميذه سلمان الفارسي وأويس القرني وكميل بن زياد ورشيد الهجري وميثم التمار والعرفاء عامة في الاسلام يجعلون هؤلاء أئمة وهداة لهم.

وهناك طائفة أخرى تأتي في الدرجة الثانية، وهم طاووس اليماني ومالك بن دينار و إبراهيم الأدهم وشقيق البلخي الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري، وكانوا يعرفون بالزهاد وأولياء الله الصالحين، دون ان يتظاهروا بالعرفان والتصوف، وعلى أية حال، فإنهم لم ينكروا ارتباطهم ومدى تأثرهم بالطائفة الأولى.

وهناك طائفة ثالثة ظهرت في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة مثل بايزيد البسطامي والمعروف الكرخي وجنيد البغدادي وغيرهم، الذين سلكوا طريق العرفان، وتظاهروا بالعرفان والتصوف، ولهم أقوال تدل على مدى المكاشفة والمشاهدة لديهم، وان كانت هذه الأقوال تتصف بظاهرها اللاذع، الا انها قد أثارت عليهم الفقهاء

والمتكلمين في ذلك العصر، وسببت المشاكل والفتن فأدت إلى أن يزج بعضهم في السجون،

والبعض الآخر يقدم إلى أعواد المشانق.

مع هذا الوصف، أبدوا التعصب لطريقتهم امام المخالفين، فبهذا كانت الطريقة تتسع وتنتشر يوما بعد يوم، ونجدها قد وصلت إلى ذروتها في القدرة والانتشار، في القرنين السابع والثامن الهجريين، حيث كانت تتسم بالرفعة والعلو تارة، والسقوط والانحطاط تارة أخرى، ولا تزال تمارس حياتها حتى اليوم ١.

والظاهر أن أكثر مشايخ العرفان الذين جاء ذكرهم في كتب العرفان،

---

(١) يراجع كتب التراجم وتذكرة الأولياء والطرائق وغيرها.

كانوا على مذهب أهل التسنن، والطريقة التي نشاهدها اليوم (والتي تشتمل على مجموعة
من عادات وتقاليد، لم نجد في الكتاب والسنة أساسا لها) تذكرنا بتلك الأيام، وان كان البعض من تلك العادات والتقاليد انتقلت إلى الشيعة.
وكما يقال، ان هؤلاء كانوا يعتقدون ان الاسلام يعوزه منهج للسير والسلوك، والمسلمون
استطاعوا ان يصلوا إلى طريقة معرفة النفس، وهي مقبولة لدى الباري عزو جل، مثل ما في
الرهبانية عند المسيحيين، إذ لم يوجد أساس له في الدعوة المسيحية، فأوجدها النصارى
وحبذها جمع وانتهجها ١.
ويستنتج مما ذكر، ان كلا من مشايخ الطريقة، جعل كل ما رآه صلاحا من عادات وتقاليد،
في منهج سيره وسلوكه، وامر متبعيه بذلك، وبمرور الزمن أصبح منهاجا وسيعا مستقلا،
مثل مراسم الخضوع والخشوع، وتلقين الذكر والخرقة والاستفادة من الموسيقى والغناء
عند إقامة مراسم الذكر، حتى آل الامر في بعض الفرق منها ان تجعل الشريعة في جانب،
والطريقة في جانب آخر، والتحق متبعو هذه الطريقة بنهج الباطنية، ولكن المعايير للنظرية الشيعية، استنادا على مصادر أساسية للاسلام (الكتاب والسنة) تقر خلاف ذلك، ومن المستحيل ان النصوص الدينية قد تغافلت عن هذه الحقيقة، أو ان اهملت جانبا من جوانب هذا النهج والطريق، ويستحيل عليها أيضا ان تغض النظر عن شخص (اي كان) من
واجبات أو محرمات.

---

(١) قوله تعالى في سورة الحديد الآية ٢٧: ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله.

٣. ارشاد الكتاب والسنة إلى معرفة النفس، ومناهجها
ان الله تعالى جل شأنه، يأمر الناس في آيات متعددة في كتابه المجيد، ان يتدبروا القرآن، ويعملوا به، ولا يقنعوا أنفسهم بالفهم والادراك السطحي للقرآن، وبين في كثير من آياته ان عالم الطبيعة بما فيها (دون استثناء) آيات ودلالات له جل جلاله.
فلو تأملنا وتدبرنا معنى الآية والدلالة، يتضح ان الآية والدلالة هي التي تشير إلى شئ آخر لا إلى نفسها، فعلى سبيل المثال، ان الذي يرى الضوء الأحمر، المشعر بالخطر،
فأنه مع مشاهدته للضوء يتبادر إلى ذهنه الخطر ذاته، ولا يلتفت إلى الضوء نفسه، وإذا ما فكر في الضوء نفسه، أو ماهية الزجاج أو لونه، فذهنه يصور له الضوء أو الزجاج أو اللون، ولا يصور له مفهوم الخطر.
اذن إذا كان العالم وظواهره، آيات ودلالات لخالق العالم، فان وجودها ليست مستقلة، ولو شوهدت بأي شكل أو أية صورة، فأنما ترشد إلى وجوده سبحانه، والذي ينظر إلى العالم
والعالمين بهذا المنظار، ووفقا لتعاليم القرآن الكريم وهدايته، لا يرى الا الله سبحانه، وبدلا من أن يرى جمال العالم، فإنه يرى جمالا أزليا غير متناه، والذي يتجلى من هذه الزاوية (زاوية العالم)، وعندئذ يهب حياته، وينسى ذاته، ويفنى في حب الله جل شأنه.
وهذا الادراك - كما يتضح - لا يحصل عن طريق الحواس، كالعين والأذن، ولا عن طريق
الخيال والعقل، لأن هذه لم تكن سوى آيات ودلالات، فهي في غفلة عن هذه الدلالة والهداية.
وهذا الطريق، الذي لابد لسالكه ان ينسى كل شئ سوى الله تعالى،

عندما يستمع إلى قوله في كتابه المجيد: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعلمون ١.

سيعلم ان الطريق الرئيسي الذي ينتهي به إلى الهداية الواقعية والكاملة، هو طريق النفس الانسانية، والمرشد الحقيقي له، هو الله تعالى، فقد كلفه بمعرفة نفسه، وان يسير في هذا السبيل، بتركه للسبل الأخرى ليرى الله من هذه الطريق، فإنه سيدرك مطلوبه الحقيقي.

والنبي الكريم (ص) يقول: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

ويقول أيضا: أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه.

واما طريقة السير والسلوك، وهي طريقة الكثير من الآيات القرآنية التي تأمر بذكر الله تعالى، كقوله: (فاذكروني أذكركم) ٢ وغيرها من الآيات في الكتاب، والأقوال في السنة، فقد جاءت مفصلة، ويختتمها بقوله: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ٣.

وهل من الممكن ان يتصور، ان الاسلام، يعرف لنا الطريق إلى الله تعالى، ولا يحث الناس

على تتبعه، أو ان يعرفه ويغفل عن تبيان نهجه أو ان يهمله، في حين نجده يقول عز من قائل:

ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ٤.

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٥.
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٢.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.
(٤) سورة النحل الآية ٨٩.

الفصل الثالث: المعتقدات الاسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية

١) النظر إلى الكون عن طريق المخلوقات والواقعيات – ضرورة وجود الله تعالى.
٢) نظرة أخرى عن طريق ارتباط الانسان بالمعالم، خاتمة الفصل وحدانية الله تعالى.
٣) الذات والصفات.
٤) معاني صفات الله تعالى.
٥) مزيد من التوضيح في معاني الصفات.
٦) صفات الفعل.
٧) القضاء والقدر.
٨) الانسان والاختيار.

معرفة الله: ١. النظر إلى الكون عن طريق المخلوقات والواقعيات – ضرورة وجود الله
ان أول خطوة يخطوها الادراك والشعور لدى الانسان واللذان وجدا منذ وجوده – تبين له
حقيقة وجود الخالق والمخلوق، لأن أولئك الذين يشكون في وجودهم وفي كل شئ، ويعتبرون
العالم ظنا وخيالا، فإننا نعلم، ان الانسان منذ وجوده يلازمه الادراك والشعور،
يرى نفسه والعالم أجمع، أي انه لا يشك (بوجوده ولا يشك بأشياء اخر غيره) وما زال الانسان انسانا، فان هذا الادراك والشعور يكمن فيه، وليس هناك مجال للشك والتردد.
هذه الواقعية والوجود الذي يثبته الانسان امام السوفسطائيين والمشككين، أمر ثابت لا يعتريه البطلان، وفي الحقيقة ان كلام السوفسطائيين والمشككين، بنفي واقعية قائمة في حد ذاتها، كلام باطل، لا يبني على الصحة اطلاقا، لذا فان العالم والكون ينطوي على واقعية ثابتة.

ولكن كل من هذه الظواهر التي تنطوي على واقعية، والتي نشاهدها عيانا، تفقد واقعيتها وتصير إلى الفناء، سواء في القريب أو البعيد من أدوار حياتها.
ومن هنا يتضح ان العالم المشهود وأجزاءه، لم تكن عين الواقعية (والتي لا يمكن انكارها)، بل تعتمد وتستند إلى واقعية ثابتة، وبتلك الواقعية، تتصف بالواقعية، وتتصف بالوجود، وما دامت مرتبطة ومتصلة بها، فهي موجودة باقية، وما ان انقطعت عنها
زالت وفنت ١، ونحن نسمي هذه الواقعية الثابتة التي لا يعتريها البطلان ب (واجب الوجود)
أو الله سبحانه.

---

(١) وفي كتابه العزيز إشارة إلى هذا البرهان بقوله تعالى قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض سورة إبراهيم الآية ١٠.
٢. نظرة أخرى عن طريق ارتباط الانسان بالعالم – خاتمة الفصل وحدانية الله تعالى
ان الأسلوب الذي اتبع في الفصل السابق، لاثبات وجود الله تعالى أسلوب بسيط ساذج، وواضح ان الانسان مع فطرته التي أودعها الله إياه، ينتهجها، وليس هناك أي رادع أو مانع، ولكن معظم الناس، مع ارتباطهم المستمر بالماديات، وتفانيهم في اللذائذ المحسوسة، يصعب عليهم الرجوع إلى الفطرة، وهي الفطرة الإلهية البينة.
فعلى هذا فان الاسلام بشرائعه المنزهة، يعلن ان شريعته عامة، والكل سواسية امام الدين ومقاصده، فهو يثبت وجود الله تعالى مع هؤلاء الناس عن

طريق وأسلوب آخر، وهو الفطرة الواضحة، والتي غفل عنها البشر، فيخاطب البشر بها، ويعرف الله جل شأنه عن طريقها.
فالقرآن الكريم، يتخذ طرقا شتى لأجل معرفة الله تعالى للبشر كافة، فهو يلفت الانظار، ويوجه الأفكار غالبا إلى خلقة العالم، والنظام والتنسيق القائم فيه، ويدعو إلى ملاحظة ودراسة الآفاق والأنفس، ذلك بان الانسان في حياته المحدودة، لا يتخلف ولا يخرج عن الطبيعة والنظام الحاكم فيها مهما سلك من سبل، واستغرق من
حالات، ولن يغض النظر عن المشاهد الخلابة، سواء في الأرض أو في السماء، بما أوتي من
شعور وادراك.
ان عالم الوجود ١ بما يتصف من سعة فان كل جزء منه، بل وجميع اجزائه معرضة للتغيير
والتبديل المستمرين، وتظهر في كل لحظة بشكل جديد غير سابقتها.
ووفقا للقوانين التي لا تقبل الاستثناء، يتحقق ما يجب تحققه، والكون بما فيه من أبعد مجرة إلى أصغر ذرة، والتي تؤلف العالم أجمع، ينطوي على نظام واضح بين، تجري
وفقا لقوانين مدهشة ومحيرة للعقول، وتسير عملها من أدنى حالة إلى أكملها، كي توصلها إلى الهدف الأسمى وهو الكمال.
وفوق الأنظمة الخاصة، توجد أنظمة أعم، وهي النظام العام للكون، الذي يربط اجزاءه العديدة التي لا تحصى بعضها ببعض، ويوفق بين الأنظمة الجزئية، ويربطها بعضها بالبعض
الآخر، فهي في سيرها المستمر لن تتصف بالاستثناء أو الاختلال.

---

(١) يقول جل ثناؤه (ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار، وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون. سورة الجاثية الآية (٣ - ٦).

فنظام الخلقة مثلا إذا اسكنت الانسان على الأرض، جعلت خلقته تتناسب مع المحيط الذي
يعيش فيه، وجعلت المحيط بشكل يتناسب وذلك المخلوق، كالمربية العطوف التي تربي النشأ
بكل عطف وحنان، فالعالم بما فيه من شمس وقمر ونجوم وماء وتراب وليل ونهار، والفصول
السنوية، والسحاب والرياح والأمطار، والكنوز التي تحت الأرض وفوقها، وبالتالي كل ما
تملك من قوة سخرت لراحة الانسان وسعادته، وأننا نلاحظ هذا الارتباط والتعاون في كل
مظهر من مظاهر الطبيعة، ومن كل ما يجاورنا من قريب أو بعيد، وحتى في البيت الذي نعيش فيه.
ومثل هذا الاتصال والارتباط قائم في جميع اجزاء الأجهزة الداخلية لكل مظهر من مظاهر
هذا العالم، فالطبيعة لما منحت الانسان الخير مثلا، منحته الأرجل للحصول عليه، واليد لتناوله، والفم لأكله، والأسنان لمضغه، وربطته بسلسلة من الوسائل المرتبطة بعضها بالبعض الآخر كالسلاسل، والتي ترتبط بالهدف الغائي وهو البقاء والكمال لهذا المخلوق.
ولم يشك أحد من علماء العالم ان الارتباطات اللامتناهية، والتي حصل عليها أثر الدراسات العلمية لآلاف السنين، ما هي الا طليعة وبداية مختصرة لأسرار الخلقة، والتي تتبعها دراسات لا نهاية لها، وكل كشف جديد، بمثابة انذار للبشرية عن مجهولات لا حصر
لها، وهل يمكن القول بأن هذا الكون الرحب، مع استقلال اجزائه، يمتاز بوحدة واتصال
ومع ما فيه من اتقان مدهش، يدل على علم وقدرة غير متناهية، وهل يمكن القول بأنه وجد
دون خالق، ولم يكن هناك سبب أو هدف من ايجاده؟!
وهل يمكن التصديق بأن كل هذه الأنظمة سواء الجزئية منها أو الكلية، وكذا النظام العام القائم في الكون، مع ما يتصف به من ارتباط محكم غير متناه، والذي يسير وفق نظام دقيق خاص، ولا يقبل التغيير والاستثناء، كل هذا قد جاء دون حساب، وانما مجرد
المصادفة هي التي لعبت دورها في خلقه وايجاده؟ أم

ان كلا من هذه الظواهر والأجواء سواء الصغيرة منها أو الكبيرة في العالم، قد اتخذت لها نهجا قبل حدوثها وخلقتها، وبعد ان وجدت سلكت ذلك السبيل والنهج؟
أم ان هذا الكون مع وحدته الكاملة الشاملة، والاتصال والارتباط القائم بينها، فهو ككل، لا يعدو مجموعة متكاملة واحدة، قد أنشئت وخلقت نتيجة لعوامل متعددة مختلفة،
ويسير وفقا لقوانين متباينة؟
من الطبيعي ان الشخص الذي يرجع كل ظاهرة لمسبب وكل معلول لعلة، ويتفق أحيانا ان
يبحث عن مسبب مجهول أياما عديدة، ليصل في النهاية إلى العلة، ويتابع التقدم العلمي، هذا الشخص الذي عند مشاهدة عدة أحجار بصورة منتظمة منسقة، ينسبها إلى علم
وقدرة قامت بصنعها، وبذلك ينفي المصادفة مطلقا، ويحكم بوجود تخطيط هادف، لم يكن
ليحكم على وجود العالم دون مسبب، ولا يدعي ان المصادفة هي التي أوجدت هذا النظام
والتنسيق.
لذا فان الكون، بما فيه من أنظمة مهيمنة، مخلوقة خالق عظيم، هو الذي أوجدها بعلمه وقدرته غير المتناهية، ويسيرها إلى غاية. وما العوامل البسيطة التي تنشئ الحوادث البسيطة، في العالم الا منتهية إليه، فهي تحت قدرته وهيمنته وتسخيره، وكل ما في الكون محتاج إليه، وهو غير محتاج لأحد أو لشئ، ولم يكن معلولا لعلة، ولا مسببا لسبب.

وحدانية الله تعالى
كل واقعية من واقعيات العالم، تعتبر واقعية محدودة، أي انها تتمتع بالوجود على وجود فرض فرض وجود السبب والشرط وتعتبر أيضا وفقا لفرض وتقدير فرض عدم السبب والشرط عدما، ولحقيقة وجودها حد محدود، إذ لا توجد خارج ذلك الحد، فالله جل شأنه
هو المنزه عن الحد والمحدودية لأن واقعيته مطلقة، فهو موجود بأي تقدير، ولم يكن محتاجا لأي سبب وشرط ولا مرتبطا بأية علة.
ولا يسعنا ان نفترض عددا لأمر غير محدود وغير متناه، فإذا ما افترض ثان، فإنه غير الأول، وفي النتيجة، الاثنان محدودان متناهيان، وسيضع كل منهما حدا فاصلا للآخر، فلو افترضنا على سبيل المثال حجما غير محدود وغير متناه، لا يسعنا افتراض حجم آخر
إزاءه، ولو قدر ان افترضنا هذا فان الثاني هو الأول، فعلى هذا، فان الله تعالى أحد لا شريك له (١).

---

(١) يروى ان أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (ع)، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول ان الله واحد، فحمل الناس عليه وقالوا: اما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فان الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال:
يا اعرابي ان القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوز ان على الله عزو جل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له يدخل في باب الاعداد، اما ترى انه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع والجنس فهذا ما لا يجوز، لأنه تشبيه وجل ربنا تعالى عن

٣. الذات والصفات
لو نظرنا إلى الانسان مثلا من زاوية العقل، سنرى له ذاتا، وهذه الذات هي عين انسانيته الخاصة به، ويمتاز بصفات أيضا، وهذه الصفات التي تعرف كنه ذاته، فمثلا انه ابن لفلان، عالم قادر، طويل، جميل، أو صفات أخرى مغايرة.
فبعض هذه الصفات، كالأولى، لا تنفصل عن الذات، وبعضها الآخر، كالعلم مثلا، يمكن ان
تنفصل عن الذات أو تتغير، وعلى أية حال، فان كلا من هذه الصفات، ليست بالذات، كما أن
كل واحدة منها غير الأخرى.
وهذا الموضوع (الذات مغايرة للصفات، والصفات تختلف فيما بينها) خير دليل على أن
الذات التي تتصف بصفة، والصفة التي تعين وتعرف الذات، كلاهما محدودتان ومتناهيان،
لأن الذات إذا كانت غير محدودة وغير متناهية، لكانت تشمل الصفات وكذا الصفات كانت
كل واحدة منها تشتمل على الأخرى، فتصبح في النتيجة كلها شيئا واحدا، فمثلا لو كانت الذات الانسانية هذه تنحصر في القدرة، وكانت القدرة والعلم وكذا طول القامة،

ذلك، واما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل انه عزو جل أحدي المعنى يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عزو جل. بحار الأنوار ج ٢: ٦٥.
ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: معرفته (الله) عين ذاته، أي ان اثبات وجود الله تعالى، وهو وجود غير متناه وغير محدود، كاف في اثبات وحدانيته، لأن الثاني لا يتصور لغير المتناهي.

والجمال كل واحدة منا عين الأخرى، لكانت كل هذه المفاهيم لا تعدو المفهوم الواحد.
يتضح مما سبق، لا يمكن اثبات صفة (بالمعنى السابق) لذات الله عزو جل، لأن الصفة لا تتحقق من غير تحديد لها، وذاته المقدسة منزهة من أي تحديد (حتى من هذا التنزيه الذي يعتبر في الحقيقة اثبات صفة له).
٤. معاني صفات الله تعالى
نعلم أن في العالم كثيرا من الكمالات التي تظهر بشكل صفات، فهذه الصفات المثبتة متى ما ظهرت في شئ، تسعى في تكامل المتصف، وتمنحه قيمة أكثر، كما يتضح ذلك من
مقارنة جسم حي كالانسان مع جسم غير حي كالحجر.
مما لا شك فيه ان هذه الكمالات قد منحها الله تعالى، وإذا ما كان هو مفتقدا لها لما منحها (فاقد الشئ لا يعطيه)، وجعلها تتدرج في طريق الكمال، فعلى هذه يجب ان يقال،
وفقا لحكم العقل السليم، ان الخالق، يتصف بالعلم والقدرة وكل كمال واقعي.
وفضلا عن هذا، فإن آثار العلم والقدرة وبالتالي آثار الحياة واضحة في نظام الخلقة.
وبما ان ذات الله غير محدودة وغير متناهية، فالكمالات هذه ان اعتبرت صفات له، فإنها
في الحقيقة عين ذاته، وكذا كل واحدة منها هي عين

الأخرى (١)، وأما الاختلاف الذي يشاهد بين الذات والصفات، وبين الصفات نفسها فتنحصر
في المفهوم، وفي الحقيقة ليس هناك سوى مبدأ واحد غير قابل للانقسام.
فالاسلام يلزم متبعيه كي لا يقعوا في مثل هذا الاشتباه (المحدودية بالتوصيف، أو نفي أصل الكمال) يضعهم بين النفي والاثبات ٢ ويأمره بهذا الاعتقاد ان الله عالم لا كعلم غيره، وله القدرة، وليس كقدرة الآخرين، فهو يسمع لا بأذن، ويرى لا بعين، وهكذا

---

(١) عن الإمام الصادق (ع) انه قال: لم يزل الله جل وعز ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور. البحار ج ٢: ١٥٢.

(٢) عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: ان الله نور لا ظلمة فيه وعلم لا جهل فيه، وحياة لأموت فيه. البحار ج ٢: ١٢٩.

وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: ان للناس في التوحيد ثلاثة مراتب، اثبات بتشبيه ومذهب النفي ومذهب اثبات بلا تشبيه، فمذهب الاثبات بتشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث اثبات بلا تشبيه. البحار ج ٢: ٩٤.

٥. مزيد من التوضيح في معاني الصفات

الصفات نوعان: صفات كمال وصفات نقص. فالصفات الكمالية - كما أشرنا إليها - معان اثباتية، تمنح المتصف بها قيمة وجودية أكثر، وآثارا وجودية أوسع، ويتضح ذلك من مقارنة موجود حي عالم قادر، مع موجود آخر غير حي، غير عالم وغير قادر، واما صفات النقص، فهي صفات تغايرها.

عندما نمعن النظر في صفات النقص، نجدها بحسب المعنى منفية،

تفتقر إلى الكمال، والى نوع من قيم الوجود، مثل: الجهل والعجز والقبح والسقم وأمثالها.
وحسب ما تقدم ان نفي صفات النقص تعني صفات الكمال، كما أن نفي الجهل يعني العلم،
ونفي العجز يعني القدرة، ومن هنا نجد القرآن الكريم يثبت كل صفة كمالية لله تعالى بشكل مباشر، وينفي كل صفة نقص عنه، كما في قوله تعالى: وهو العليم القدير، وهو الحي، لا تأخذه سنة ولا نوم، واعلموا انكم غير معجزي الله.
ومما تجدر ملاحظته ان الله تعالى واقعية مطلقة، ليس له حد ونهاية، فعلى هذا فان أية صفة كمالية تطلق عليه، لا تعني المحدودية، فإنه ليس بمادة وجسم ولا يحدد بزمان أو مكان، ومنزه من كل صفة حالية حادثة، وكل صفة تثبت له حقيقة فهي بعيدة عن المحدودية
وهو القائل: ليس كمثله شئ ٢.

---

(١) يقول الامام السادس: لا يوصف الله تعالى بزمان أو مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال. البحار ج ٢: ٩٦.
(٢) سورة الشورى الآية ١١.
٦. صفات الفعل
فالصفات (فضلا عما سبق) تنقسم انقساما آخر، وهي صفات الذات وصفات الفعل.
فالصفة أحيانا تكون قائمة بالموصوف، مثل الحياة والعلم والقدرة، فتتحقق هذه في الانسان الحي القادر، ونستطيع ان نفترض انسانا متصفا بهذه

الصفات، فلو لم نفترض غيره، نرى تارة انه لا يتحقق بالموصوف فحسب، فإذا أراد الموصوف
ان يتصف بصفة لابد من تحقق شئ آخر مثل الكتابة، الخطابة، الطلب، ونظائرها، لأن الانسان انما يستطيع الكتابة عندما يتوفر لديه القلم والدواة والورق مثلا، ويستطيع
ان يكون خطيبا عند تحقق مستمع، ويستطيع ان يكون طالبا عندما يتوفر المطلوب، ولا يكفي ان نفترض للانسان تحقق هذه الصفات.
من هنا يتضح ان الصفات الحقيقية لله تعالى (كما سبقت الإشارة إليه عين الذات) هي من
النوع الأول واما النوع الثاني، والذي يستلزم تحققه لشئ آخر، فان كل شئ غير مخلوق
له، ويأتي بعده في مرحلة الوجود، وكل صفة يوجدها مع وجوده، لا يمكن ان تعتبر صفة
لذاته أو عين ذاته تعالى.
فالصفات التي يتصف بها تعالى عن تحقق الخلقة، هي الخالقية، الربانية، والمحيي، المميت، والرزاق، وأمثالها، لم تكن عين ذاته، بل زائدة على الذات وصفات للفعل.
والمقصود من صفات الفعل هو ان تتخذ معنى الصفة من الفعل لا من الذات، مثل الخالقية،
أي يتصف بهذه الصفة بعد تحقق الخلقة للمخلوقات، فهو قائم منذ قيامها (اي موجود منذ
وجودها)، ولا علاقة لها بذاته تعالى، كي تتغير من حال إلى حال عند تحقق الصفة.
تعتبر الشيعة صفتي الارداة والكلام، والذي يفهم من معنى اللفظ (الإرادة بمعنى الطلب، والكلام بمعنى الكشف اللفظي عن المعنى) من صفات الفعل ١ والغالبية من أهل السنة
يعتبرونها بمعنى العلم، وصفات لذاته تعالى.

---

(١) قال أبو عبد الله عليه السلام: لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته ولا معلول ولم يزل قادرا بذاته ولا مقدور، قلت جعلت فداك، فلم يزل متكلما، قال الكلام محدث كان الله عزو جل وليس بمتكلم ثم أحدث الكلام البحار ج ٢: ١٤٧. قال الرضا عليه السلام: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل واما من الله عزو جل فارادته احداثه لا غير ذلك لأنه لا يروى ولا يهم ولا يتفكر. البحار ج ٢: ١٤٤.

٧. القضاء والقدر
ان قانون العلية في الكون، سار ومهيمن، بحيث لا يقبل الاستثناء، ووفقا لهذا القانون كل مظهر من مظاهر هذا العالم، يرتبط بعلل عند وجودها، (الأسباب والشروط اللازمة للتحقق)، ومع توفر كل تلك الشروط (والتي تدعى العلة التامة) يتحتم وجود تلك الظاهرة
(المعلول المفروض). ولو فرضنا عدم تحقق تلك الأسباب كلها أو بعضها، فإنه يستحيل
تحقق وجود تلك الظاهرة.
مع الامعان في هذه النظرية، يتضح لنا موضوعان:
الأول: لو قدر ان نقارن بين ظاهرة المعلول مع العلة التامة بأجمعها، وكذلك مع الاجزاء لتلك العلة التامة، تكون النسبة بينها وبين العلة التامة، نسبة الضرورة (الجبر) ولكانت النسبة بينها وبين كل من اجزاء العلة التامة (والتي تعتبر علة ناقصة) نسبة الامكان، لأن جزء العلة بالنسبة إلى المعلول يعطي امكان التحقق والوجود، ولا يعطي ضرورة الوجود.
على هذا فالكون وجزء من اجزائه يستلزم علة تامة في تحقق وجوده، والضرورة مهيمنة عليها بأسرها، وقد نظم هيكلها من مجموعة حوادث ضرورية وقطعية، فمع الوصف هذا، فان
صفة الامكان في أجزائها (الظواهر التي ترتبط مع غير العلة التامة لها) محفوظة.

فالقرآن الكريم في بيانه يسمي هذا الحكم الضروري بالقضاء الإلهي، لأن الضرورة هذه تنبع من وجود الخالق، ولهذا يكون حكما وقضاء عادلا حتميا غير قابل للتخلف، إذ لا يقبل لاستثناء أو التبعيض.

ويقول جل شأنه: الا له الخلق والأمر ١.

ويقول: إذا قضى أمرا يقول له كن فيكون ٢.

ويقول: والله يحكم لا معقب لحكمه ٣.

الثاني: ان كلا من اجزاء العلة، لها مقدارها الخاص بها تمنحها إلى المعلول، وتحقق المعلول وظهوره يطابق مجموع المقادير التي تعينها العلة التامة، فمثلا العلل التي تحقق التنفس للانسان، لا تحقق التنفس المطلق، بل يتنفس الانسان مقدارا معينا من الهواء المجاور لفمه وأنفه وفي زمان ومكان معينين، ووفق طريقة معينة، ويتم ذلك عن طريق مجرى التنفس، حيث يصل الهواء إلى الرئتين، وهكذا الرؤية والابصار، فان العلل الموجودة لها في الانسان (والذي هو جزء منها) لم تحقق ابصارا من دون قيد أو شرط،

بل يحقق ابصارا معينا من كل جهة، بواسطة الوسائل اللازمة له، وهذه الحقيقة سارية في كل ظواهر الطبيعة، والحوادث التي تتفق فيها لا تتخلف.

والقرآن الكريم يسمي هذه الحقيقة ب القدر وينسبها إلى خالق الكون ومصدر الوجود، بقوله تعالى: انا كل شئ خلقناه بقدر ٤.

ويقول: وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ٥.

وكما أن كل ظاهرة وحادثة في نظم الخلقة تعتبر ضرورية الوجود وفقا للقضاء الإلهي، ويتحتم وجوده، فكذلك وفقا للقدر فان كل ظاهرة أو حادثة عند تحققها لا تتخلف عن

المقدار المعين لها من قبل الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١١٧.

(٣) سورة الرعد الآية ٤١.

(٤) سورة القمر الآية ٤٩.

(٥) قال أبو عبد الله (ع): ان الله إذا أراد شيئا قدره وإذا قضاه أمضاه. البحار ج ٣: ٣٥.

٨. الانسان والاختيار
كل ما يقوم به الانسان من فعل، يعتبر ظاهرة من ظواهر عالم الخلقة، ويرتبط تحققه كسائر الظواهر بالعلة ارتباطا كاملا، وبما ان الانسان هو جزء من عالم الخلقة، ويرتبط مع سائر الأجزاء الأخرى من العالم، فإنها بدورها تؤثر في أفعال الانسان.
وعلى سبيل المثال، فان قطعة الخبز التي يريد الانسان تناولها، يستلزم الوسائل كاليد والفم والعلم والقدرة والإرادة، ويستلزم أيضا وجود الخبز في الخارج، وفي متناول يده، وعدم المانع والحاجز، وشروط أخرى، من زمان أو مكان، ومع فقدان إحداها يتعذر
تحقق الفعل، ومع تحقق كل تلك العوامل (تحقق العلة التامة) فان تحقق الفعل ضروري.
وكما أشرنا آنفا، فان ضرورة الفعل بالنسبة إلى مجموع اجزاء العلة التامة تعتبر نسبة امكان، ولا يتنافى مع نسبة الفعل إلى الانسان الذي هو أحد أجزاء العلة التامة.
ان الانسان له اختيار الفعل وضرورة نسبة الفعل إلى مجموع اجزاء العلة، لا يستلزم الضرورة بالنسبة إلى فعل بعض من أجزائها وهو الانسان.
والادراك البسيط للانسان يؤيد هذا القول، فإننا نراه يميز بحكم الفطرة الإلهية المودعة لديه، يميز بين الأكل والشرب، والذهاب والإياب، وبين الصحة والسقم، والكبير
والصغير، والقسم الأول الذي يرتبط بإرادة الانسان ارتباطا مباشرا، يعتبر من إرادة الشخص، فيحاسب في مواضع الأمر

والنهي والمدح والذم، خلافا للقسم الثاني، الذي يترتب فيه تكليف على الانسان.
كان في صدر الاسلام، بين أهل السنة، مذهبان معروفان بالنسبة إلى أفعال الانسان ففريق كان يرى أن أفعال الانسان متعلقة بإرادة الله تعالى لا تخلف فيها، فكان يدعى ان الانسان مجبور في أفعاله، ولا أثر لما يمتاز به من اختيار وإرادة، والفريق الآخر، كان يدعي ان الانسان مستقل في أفعاله، وليس له ارتباط بإرادة الله سبحانه، ويعتبرونه خارجا عن حكم القدر.
ومما يروى عن أهل البيت (ع): وهو مطابق مع ظاهر تعاليم القرآن، ان الانسان مختار في
أفعاله، ليس بمستقل، إذ ان الله تعالى قد أراد الفعل عن طريق الاختيار، وهذا ما عبرنا عنه سابقا، ان الله سبحانه، أراد الفعل عن طريق مجموع اجزاء العلة التامة، والتي إحداها إرادة الانسان، وأصبحت ضرورة، وفي النتيجة، ان مثل هذا الفعل الذي يرتبط بارداة الله تعالى ضروري، والانسان أيضا مختار فيه، أي ان الفعل يعتبر ضروريا بالنسبة إلى مجموع اجزاء علته، ولكنه اختيار وممكن بالنسبة إلى أحد اجزائه وهو الانسان.
والامام السادس (ع)، يقول: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين ١.

---

(١) عن أبي جعفر أبي عبد الله عليه السلام: قال: ان الله عزو جل ارحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمرا فلا يكون. بحار الأنوار ج ٣: ١٥.
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد. البحار ج ٣: ١٥.

معرفة النبي
١. نحو الهدف – الهداية العامة
٢. الهداية الخاصة.
٣. العقل والقانون.
٤. الشعور المرموز، أو ما يسمى ب (الوحي).
٥. الأنبياء وعصمة النبوة.
٦. الأنبياء والشرائع السماوية.
٧. الأنبياء ودليل (الوحي) والنبوة.
٨. عدد الأنبياء.
٩. الأنبياء أولو العزم، حملة الشرائع السماوية.
١٠. نبوة محمد (ص).
١١. النبي الأكرم (ص) والقرآن.

١. نحو الهدف – الهداية العامة

تبدأ حبة الحنطة بالنمو عند توفر العوامل المساعدة لها، بعد أن توضع في التربة، وبمرور الزمن تتحول من حالة إلى أخرى، وفي كل لحظة تتخذ حالة وشكلا غير ما كانت
عليها قبل لحظات، وتسلك طريقا وفقا لنظام خاص، (*)

حتى تزداد نموا، فتصبح سنبلة، وإذا ما سقطت حبة قمح على الأرض، سلكت الطريق ذاته،
حتى تصل النهاية وهكذا، وإذا ما سقطت بذرة فاكهة على الأرض، تبتدئ بالحركة والنمو
فيخترق الغشاء نتوء أخضر، ويسلك طريقا خاصا منتظما، حتى يزداد في نموه ويصبح شجرة مثمرة.
وإذا ما استقرت نطفة حيوان في بيضة أو في رحم أم، تشرع بالنمو والتكامل، وتسلك سلوكا، تختص به تلك النطفة لذلك الحيوان، حتى تصل إلى فرد كامل من ذلك النوع.
ان هذا السلوك الخاص والمنتظم يشاهد في كل من أنواع الكائنات الحية في العالم، ويعتبر من مميزاتها وفطرتها الخاصة، ولن تجد في الحياة، نقيضا لهذه السنة، أي يستحيل ان تتبدل حبة قمح إلى حيوان، ولا نطفة حيوان إلى شجرة، وإذا ما حدث تغيير في
تكوين حيوان أو نبات بأن ينقصها عضو أو جزء فان السبب في ذلك يعود إلى مرض أو ما
شابه.
ان النظام القائم والمستمر في الكون، وخلقة الأجسام المتنوعة، واختصاص كل نوع منها
في سلوك خاص، نحو التطور والتكامل، يحتاج إلى نظام خاص به، لا ينكره أي محقق متتبع،
ومن هذه النظرية البينة نستنتج موضوعين:
١) ان في جميع المراحل التي يطويها نوع من أنواع الكائنات الحية في العالم، اتصالا وارتباطا قائما بينها، وكأن هناك قوة تسيرها هذا المسير الخاص في كل مراحلها التطورية.
٢) ان هذا الاتصال والارتباط المتتالي يهدف في مرحلته الأخيرة إلى تكوين بني نوعه، فكما ان البذرة عندما توضع في التربة تهدف في طريقها منذ مراحلها الأولى إلى أن تنشأ شجرة، وكذلك النطفة، في رحم الام تهدف في مراحلها الأولية إلى أن تكون حيوانا
متكاملا، وللوصول إلى التكامل نراها تسلك نهجا خاصا في حياتها.

والقرآن العظيم في تعليماته يؤيد هذه الحركة وهذا الاندفاع، كما أن أنواع الكائنات الحية في العالم تهتدي بهدى الله تعالى في طريق تكاملها وكمالها، ويستدل بآيات من الذكر الحكيم في هذا الشأن كما في قوله تعالى:
الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ١.
وفي سورة الأعلى، الآية ٣٢ يقول جل ذكره: الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.
وكذا يشير إلى النتائج التي ذكرت آنفا في سورة البقرة الآية ١٤٨: يقول جل شأنه:
ولكل وجهة هو موليها.
ويقول جل من قائل في سورة الدخان الآية ٣٩: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون.

---

(١) سورة طه الآية ٥٠.
٢. الهداية الخاصة
بديهي ان النوع الانساني لا يستثنى عن هذه الهداية التكوينية التي تهيمن على جميع الكائنات في العالم، انها تسيطر على الانسان أيضا، وبما ان كل كائن يستمر في طريقه نحو التكامل بما لديه من قدرة وقابلية، فكذلك الانسان يساق نحو الكمال الواقعي بواسطة الهداية التكوينية.
قد يشترك الانسان في كثير من صفاته ومميزاته مع سائر أنواع الكائنات الحية من حيوان أو نبات، لكنه يتميز بخصائص خاصة به، تجعله يمتاز عن غيره، الا وهو العقل.

فالعقل يدعو الانسان إلى التفكر والتدبر، وان ينتفع من كل وسيلة ممكنة، لتحقق أهدافه وأغراضه، فهو يعرج إلى السماء حينا، فيسير في الفضاء اللامتناهي، ويغوص في أعماق البحار أحيانا، فهو يدأب في استثمار أنواع الحيوان والنبات والجماد على ظهر البسيطة، وقد يتجاوز هذا الحد بأن يتجه إلى استثمار بني نوعه.

والانسان حسب طبعه الأولي، يرى حريته المطلقة في سعادته وكماله، وبما ان وجوده وجود
اجتماعي، ومتطلباته في الحياة متعددة، والتي لا ينالها لوحده وبنفسه فحسب، بل بالتعاون مع أبناء نوعه وهم يتصفون بالغرائز ذاتها، بما فيها حب الذات والحرية، إذ تفرض عليه طبيعة المجتمع ان يضحي بقسط من حريته في هذا السبيل قبال المنافع التي يحصل عليها من الآخرين، فهو يقدم خدمة، وينتفع بما يقدمه الآخرون من خدمات، أي انه
يتقبل الحياة الاجتماعية التي تتصف بالتعاون، باكراه وفرض.

وهذه الحقيقة تظهر جلية لدى الأطفال والفتيان، إذ أنهم في البداية، يحققون ما تصبو إليه نفوسهم بالفرض تارة والبكاء تارة أخرى، فهم يرفضون كل قانون أو عادة أو ما شاكل ذلك، ولكن على مر الزمان، وحسب تطورهم الفكري يدركون ان الحياة لا تتلائم مع
الفرض والطغيان، فيمارسون ما يمارسه الفرد في المجتمع بشكل تدريجي، حتى يصلوا إلى
ما يصل إليه الفرد في مجتمعه، من اتباع العادات والسنن والقانون، بالتالي يصبحون وهو
يألفون المجتمع.

والانسان بعد تقبله الحياة الاجتماعية التي قوامها التعاون، يرى ضرورة القانون الحاكم على الحياة، وهو الذي يعين واجبات كل فرد من افراد المجتمع، ويضع الجزاء لكل
من يخالف القانون، فإذا عم القانون وساد المجتمع، عندئذ ينال كل من افراد المجتمع السعادة المطلوبة، التي طالما تمناها.

هذا القانون هو القانون العملي الذي ما برح البشر منذ نشأته والى يومنا هذا يرجوه ويرغب في الوصول إليه، وطالما كان يستهل به أهدافه وأغراضه، ويسعى في تحققه، ومن
الطبيعي إذا كان الأمر يستحيل تحققه على البشرية، ولم يكن مفروضا عليها، لما كانت تهدف إليه دوما ١.
والله جل شأنه يشير إلى حقيقة المجتمع البشري بقوله: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ٢.
وقد أشار الذكر الحكيم إلى حب النفس والأنانية بقوله تعالى: خلق الانسان هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ٣.

---

(١) ترغب البشرية عادة وحتى الشعوب البدائية، حسب طبعها في أن يعيش الجميع في جو ملؤه الصلح والراحة والاطمئنان. ومن الوجهة الفلسفية، فان الطلب والميل والرغبة ما هي الا أوصاف وارتباطات قائمة على طرفين. كالطالب والمطلوب، والمحب والمحبوب و وواضح ان لم يكن هناك محبوب، فالكلام عن المحب عبث.
وصفوة القول ان الأمور هذه ترجع إلى ادراك نقص في الوجود الانساني، فإذا تعذر الكمال، لم يكن هناك معنى للنقص.
(٢) الآية ٣٢ من سورة الزخرف.
(٣) الآية ٢١ من سورة المعارج.
٣. العقل والقانون
لو تأملنا جيدا، لرأينا ان القانون الذي ما برح البشر ينتظره، والناس مع ما لديهم من ادراك فطري إلهي، ويدركون لزوم إجرائه كي يضمن لهم سعادتهم، هو القانون الذي يستطيع ان يسير البشرية إلى السعادة دون انحياز

أو تبعيض وان ينشر بينها الكمال، ويرسي قواعده. ومن البديهي لم تدرك البشرية حتى الآن طوال أجيال متعاقبة مضت من حياة البشرية، مثل هذا القانون الذي قوامه العقل، ولو قدر ان يصدر إلى حيز الوجود لفهمته البشرية في حياتها الطويلة بما تمتاز به من تعقل وتدبر، وكانت تلتزم به في مجتمعاتها.

وبعبارة أوضح، لو كان هناك قانون كامل عام، بحيث يستجيب لما تصبو إليه البشرية من
سعادة، ويرشد البشرية من حيث الفطرة والتكوين، لأدركه كل انسان بما لديه من امكانات
عقلية، كما يدرك ما ينفعه أو يضره، وكذا سائر الضروريات في حياته، ولكن لم يتحقق
مثل هذا القانون بعد. والقوانين التي توضع من قبل شخص حاكم أو اشخاص، أو جوامع
بشرية، نجدها مورد احترام وتصديق لدى فئة، ومورد رفض واعتراض لدى آخرين وهناك من
اطلع عليها وعرفها، وآخرون لم يطلعوا، ولن تجد وجه اشتراك في المجتمعات البشرية –
بما انهم يشتركون في كونهم بشرا، وانهم يتصفون بالفطرة الإلهية – في ادراك هذه القوانين.

٤. الشعور المرموز، أو ما يسمى ب (الوحي)

ومما تقدم يتضح، ان القانون الذي يضمن السعادة للبشرية، لا يدركه العقل، وبمقتضى نظرية الهداية العامة، التي ترى ضرورة هذا الادراك في النوع البشري، لابد من وجود جهاز آخر بين النوع الانساني يدرك ذلك، كي يرشده إلى الواجبات الواقعية للحياة، وتكون في متناول يد الجميع، وهذا الشعور والادراك هو غير العقل والحس، انه ما يسمى
ب الوحي ومن

الطبيعي ان وجود مثل هذه القوة في البشر لا يتحتم ان يكون في جميع افراد البشر، كما
هو في القوة المودعة في الانسان للتناسل، في حين ان ادراك لذة الزواج، والتأهب له، يتحقق في الأفراد عند بلوغهم، وشعور الوحي الذي لا يظهر لدى الأفراد، هو شعور مرموز، كما هو الحال في ادراك وشعور اللذة في الزواج عند من لم يصل إلى سن البلوغ،
فيبقى هذا الادراك غير معروف لديه.
والله تعالى يشير في خطابه عن (الوحي) بالنسبة إلى الشريعة وعجز العقل، بقوله: ان أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٥. الأنبياء وعصمة النبوة

ان ظهور الأنبياء يؤيد نظرية (الوحي) الذي سبق ذكره، ان أنبياء الله تعالى كانوا ممن ادعى الوحي والنبوة، وفي ادعائهم هذا أقاموا الحجج والبراهين، وبلغوا الناس ما تحتويه شريعة الله سبحانه، الا وهو القانون الذي يمنحهم السعادة وجعلوها في متناول أيدي الجميع، ولما كان الأنبياء يمتازون ب الوحي والنبوة، فعند ظهورهم في كل زمن كانوا قلة، فجعل الله هداية الناس على عاتق هؤلاء، بما أمروا من دعوة وابلاغ، وما ذلك الا لتعم وتتم وتكتمل تلك الدعوة.
ومن هنا يتضح وجوب عصمة الأنبياء، فهم مصونون من الخطاء في تلقى الوحي من جانب
الله تعالى، وفي حفظه، وايصاله إلى الناس، فإنهم بعيدون كل البعد عن المعصية والخطأ، لأن تلقي الوحي - كما ذكرنا - وحفظه

وابلاغه، يشتمل على الأركان الثلاثة للهداية التكوينية، ولا معنى بأن يكون هناك خطأ في التكوين.
فضلا عن أن المعصية والتخلف عن أداء الدعوة والابلاغ، عمل يخالف الدعوة، ويوجب سلب
ثقة الانس واطمئنانهم، بصحة الدعوة وصدقها، ونتيجة لذلك ينتفي الغرض والهدف الأساسي
للدعوة.
والخالق جل شأنه يشير إلى عصمة الأنبياء في كتابه المجيد بقوله: واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ١.
وهو القائل أيضا: عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا الا من ارتضى من رسول فأنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم ٢.
٦. الأنبياء والشرائع السماوية
ان ما حصل عليه الأنبياء عن طريق (الوحي) وابلاغهم الناس على سبيل الخير والأحكام الإلهية هو الدين، وباتخاذه نهجا لهم في سبيل الحياة والوظائف والواجبات الانسانية، يضمن لهم السعادة ٣.
يشتمل التشريع الإلهي بشكل عام على جانبين: الاعتقادي والعلمي: فالجانب الاعتقادي يحتوي على مجموعة معتقدات أساسية، تفرض على الانسان ان يتخذها أساسا لحياته، وهي
الأسس العامة الثلاثة، التوحيد والنبوة
(٣) يراجع مقدمة الكتاب. (*)

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٧.
(٢) سورة الجن الآية ٢٨.

والمعاد، وإذا أهملت إحداها لم يتحقق اتباع الدين.
والجانب العملي، يتألف من مجموعة وظائف أخلاقية عملية تحتوي على وظائف معينة يتقيد
بها الانسان أمام الله تعالى وأمام المجتمعات البشرية.
ومن هنا تنقسم الواجبات الفرعية في الشرائع السماوية، والتي نظمت للانسان على قسمين: الأخلاق والأعمال، وكل من هاتين، تنقسم إلى قسمين أيضا.
فأما الأخلاق والأعمال التي ترتبط بالله الخالق فهي، الخلق وصفة الايمان والاخلاص والتسليم والرضى، والخشوع، وكذا الصلاة والصوم والفدية وغيرها، وهذه المجموعة من
الأعمال تسمى العبادات، وتعبر عن خشوع الانسان وعبوديته لربه.
واما ما يتعلق بالمجتمع من الأخلاق والأعمال، فهي الصفات الحسنة، كحب النوع، والمساعدة، والعدالة، والسخاء وما يرتبط بآداب المعاشرة، والمعاملة وغيرها، وهذه الأعمال الخاصة هي ما تسمى ب المعاملات.
ومن جهة أخرى فان النوع الانساني يتجه نحو الكمال بصورة تدريجية، والمجتمع البشري
يتكامل بمرور الزمان، وان ظهور هذا النسخ من التكامل ضروري في الشرائع السماوية، ويؤيد القرآن الكريم هذا التكامل التدريجي (إذ يمكن الوصول إليه عن طريق العقل)، ومما يستفاد من آياته، ان الشرائع اللاحقة أكمل من الشرائع السابقة، بقوله تعالى:
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ١.
ومما تبينه النظريات العلمية، ويصرح به القرآن الكريم، ان حياة المجتمعات البشرية في هذا العالم ليست أبدية، ومن الطبيعي ان التكامل لبني نوعها لم يكن غير متناه، فمن هذه الجهة، ستتوقف جميع الوظائف الانسانية

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨.

من حيث الاعتقاد والعمل في مرحلة معينة، وتبعا لهذه الحقيقة، فان النبوة والشريعة أيضا يوما ما ستصل إلى آخر مرحلة من مراحل الكمال والاعتقاد، وبث القوانين العملية، وبذلك تكون النهاية والخاتمة لها.

ومن هنا نرى القرآن الكريم يوضح هذه الحقيقة ويصرح بأن الاسلام، الدين الذي اختاره

لمحمد (ص) هو آخر الأديان السماوية وأكملها، والكتاب العزيز لا ينسخ، والنبي الأكرم

(ص) هو خاتم الأنبياء، والاسلام يحتوي على كافة الوظائف والواجبات، كما في قوله تعالى: وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ١.

ويقول أيضا: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ٢.

وقوله تعالى: ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ٣.

---

(١) سورة حم سجدة الآية ٤٢.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

٧. الأنبياء ودليل (الوحي) والنبوة

ان الكثير من علماء اليوم الذين حققوا في موضوع (الوحي) والنبوة، قد فسروا موضوع (الوحي) والنبوة والأمور المرتبطة بهما، على الأسس التي يقوم عليها علم النفس وعلم الاجتماع، بقولهم ان الأنبياء كانوا أناسا أطهارا، ذوي همم عالية، محبي البشرية، ولغرض تقدمها وتطورها من الناحية المادية والمعنوية، وكذا تزكية المجتمعات المنحطة خلقيا، نظموا ووضعوا

قوانين خاصة، ودعوا الناس إليها، ولما كان الناس في ذلك الوقت لم يخضعوا امام المنطق والعقل، فما كان منهم الا ان ينسبوا أفكارهم وأنظمتهم إلى العالم العلوي كي يستطيعوا بذلك ان يجلبوا رضى الناس، ويخضعوهم لقيادتهم وكان اعتقاد البعض ان روحهم
هي روح القدس وما الفكر الذي يتجلى الا الوحي والنبوة وما الوظائف والواجبات التي تستنتج من ذلك الا (الشريعة السماوية)، والكلام الذي يتضمن ذلك كان يسمى الكتاب
السماوي.
فالذي ينظر بتأمل وانصاف إلى الكتب السماوية، وخاصة القرآن الكريم، وكذا إلى الشرائع التي جاء بها الأنبياء، لا يشك في بطلان هذه النظرية، وذلك أن الأنبياء لم يكونوا رجال سياسة، بل كانوا رجالا يتصفون بالصدق والصفاء والخلوص، وكلما كانوا
يدركونه يتفوهون به، وكلما كانوا يقولون به كانوا يعملون به، وكلما كانوا يزعمونه هو ان هناك شعورا مرموزا، وامدادا غيبيا، يفيض عليهم، وانهم عن هذا الطريق يتلقون الوظائف الاعتقادية والعلمية من جانب الله تعالى، لابلاغ الناس وارشادهم.
ومن هنا يتضح ان ادعاء النبوة يحتاج إلى حجة ودليل، ولا يكفي ان تكون الشريعة التي
جاء بها النبي توافق العقل، فان صحة الشريعة لها طريق آخر للاثبات، وهو انه على اتصال بالعالم العلوي (الوحي) والنبوة، وقد أنيطت به هذه المسؤولية من قبل الله تعالى، وهذا الادعاء يفتقد إلى دليل عند اقامته.
وعلى هذا، نجد ان السذج من الناس (كما يخبر به القرآن الكريم) كانوا يطالبون الأنبياء بالمعجزة صدق دعواهم.
ويستنتج من هذا المنطق الساذج والصحيح هو ان (الوحي) والنبوة، الذي يدعيه المرسل،
لم يكن ليحصل في سائر الناس، والذين هم مثله، ولابد من قوة غيبية قد أودعها الله تعالى نبيه بنحو يخرق العادة به، والتي بواسطتها

يصغى إلى كلام الله تعالى، ويوصلها إلى الناس وفقا لمسؤوليته، وإذا كان هذا المعجز صحيحا، فالرسول يريد من الله تعالى ان يعينه على معجز آخر، كي يصدق الناس نبوته ومدعاه.

ويتضح ان مطالبة الناس الأنبياء بالمعجزة أمر يوافق المنطق الصحيح، وعلى الأنبياء لاثبات نبوتهم ان يأتوا بالمعجزة اما ابتداء أو وفقا لما يطالب به المجتمع.

والقرآن الكريم يؤيد هذا المنطق، ويشير إلى معاجز الأنبياء اما ابتداء أو بعد مطالبة الناس إياهم.

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من المحققين مع أنهم لم ينكروا المعجزة (خرق العادة)، الا ان كلامهم لم يكن مدعما بدليل، وهو ان العلل والأسباب للحوادث التي حصلنا عليها حتى الآن كانت بالتجربة والفحص، وليس لدينا أي دليل أنها دائمية، ولن تتحقق أية حادثة أو ظاهرة الا بعللها وأسبابها، واما المعاجز التي تنسب إلى الأنبياء لم تكن مخالفة للعقل أو يستحيل اقامتها (كزوجية العدد ٣)، لكنها خرق للعادة في حين ان

موضوع خرق العادة يرى ويسمع من المرتاضين أيضا.

٨. عدد الأنبياء

مما ينقل في تاريخ الماضين، ان أنبياء كثيرين أرسلوا وبعثوا، ويؤيد القرآن الكريم كثرة الأنبياء، ويذكر أسماء بعضهم، الا انه لم يصرح بعددهم.

ولم نحصل على عددهم من الروايات بصورة قطعية، الا ان الرواية

المعروفة والتي تنقل عن أبي ذر الغفاري عن النبي الأكرم (ص)، يبين فيها أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون الف نبي.

٩. الأنبياء أولو العزم، حملة الشرائع السماوية
ومما يستفاد من القرآن الكريم، ان الأنبياء كلهم لم يأتوا بشرائع، بل إن خمسة منهم قد جاءوا بشرائع سماوية، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص)، وهؤلاء هم أولو
العزم، واما سائر الأنبياء فإنهم يتبعون أولي العزم في شرائعهم.
وقوله تعالى:
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ١.
ويقول تعالى:
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا ٢.

---

(١) سورة الشورى الآية ١٢. ولو كان هناك غيرهم لذكرهم تعالى في الآية.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧.
١٠. نبوة محمد (ص)
يعتبر نبينا محمد (ص) آخر الأنبياء، الذين كانوا يمتازون بالكتب والشرائع، وقد آمن به المسلمون.
ولد النبي محمد (ص) قبل بدء التاريخ الهجري القمري بثلاث وخمسين سنة، في مدينة مكة من مدن الحجاز، في قبيلة بني هاشم من قريش، والتي هي من أشرف القبائل العربية.
أبوه عبد الله وأمه آمنة وقد فقد أبويه منذ أوائل طفولته، وتكفله جده لأبيه عبد المطلب وسرعان ما وافاه الاجل، حتى تعهد تربيته عمه أبو طالب وأسكنه معه في داره.
ترعرع ونشأ في بيت عمه، وقد صحب عمه في سفرة تجارية إلى الشام وذلك قبل سن البلوغ، كان النبي محمد (ص) أميا، ولكنه بعد البلوغ والرشد، اشتهر بعقله وأدبه وأمانته، ونتيجة لذلك، جعلته (خديجة) والتي كانت من أثرى القريشيات، مشرفا على أموالها، وادارة أمورها التجارية.
سافر محمد (ص) للمرة الثانية إلى الشام لغرض التجارة، وأثر نبوغه فقد نال أرباحا جمة، ولم تمض فترة، حتى اقترحت خديجة عليه موضوع الزواج، وافق محمد (ص) على اقتراحها، وبعد الزواج حيث كان في سن الخامسة والعشرين وحتى بلوغه سن الأربعين، كان يمارس عمله، فحصل على شهرة في تدبيره وأمانته فلم يعبد صنما، (علما بان الدين السائد في ذلك الوقت هو عبادة الأصنام) وأحيانا كان يعتكف للعبادة.

فاختاره الله للنبوة في الأربعين من عمره عندما كان متفرغا للعبادة في غار حراء ١ وأمر ان يبلغ، ونزلت عليه أول سورة من سور القرآن ٢، ورجع إلى بيته في اليوم نفسه، فرأى ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام في الطريق، فعرض عليه الاسلام فآمن به، وبعد دخوله البيت، أسلمت زوجته خديجة.

والنبي الأكرم (ص) عند بدء دعوته، واجه من الناس مواجهة عنيفة مؤلمة، حتى اضطر إلى

كتمان دعوته وجعلها سرية، ثم أمر ثانية أن يبلغ دعوته عشيرته الأقربين، ولكنها لم تجد، إذ لم يؤمن به سوى علي بن أبي طالب (ع) ٣.

وبعد ذلك، أعلن النبي (ص) دعوته بأمر من الله تعالى، وما أعلن النبي الدعوة حتى شاهد ردود الفعل من أهل مكة مقرونة بالأذى والتعذيب بالنسبة له وللمسلمين الذين أسلموا حديثا، مما اضطر بعض المسلمين ترك ديارهم أثر الاضطهادات التي كانت تقوم بها

قريش، فهاجروا إلى الحبشة، وتحصن النبي الكريم (ص) مع عمه أبي طالب وأفراد من قبيلته بني هاشم في شعب أبي طالب ٤ لمدة ثلاث سنين، في غاية من الضغط والشدة، فلم

يعاملهم أحد، ولم يعاشرهم، ولم يستطيعوا الخروج من الشعب.

ولم ينته كفار مكة وعبدة أصنامها، من الايذاء والإهانة والاستهزاء بكل أنواعها تجاههم، وكانوا يلتجئون أحيانا عن طريق المسالمة، والوعد بالأموال الطائلة كي يصرفوا النبي (ص) عن دعوته، وقد اقترحوا عليه

—

---

(١) غار في جبل (تهامة) على مقربة من مكة.

(٢) سورة العلق.

(٣) وفقا لروايات أهل البيت (ع) ولاشعار قالها أبو طالب، تعتقد الشيعة انه أسلم، وبما انه كان المدافع الوحيد عن النبي (ص) كان يكتم اسلامه، كي يحتفظ بقدرته الظاهرية امام قريش.

(٤) حصار كان في إحدى وديان مكة.

الرئاسة والسلطان أحيانا اخر، وكان وعدهم ووعيدهم سيان عند النبي (ص)، وكان مما
يزيد في عزمه وارادته.
وقد اقترحوا عليه مرة المال الكثير والرئاسة، فأجابهم النبي قائلا: والله لو
وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو
أهلك فيه، ما تركته.
خرج النبي من شعب أبي طالب حوالي السنة العاشرة من بعثته ولم يمض زمن حتى توفي
عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته الوفية أيضا.
فلم يكن للنبي (ص) ملجأ، مما دعا كفار مكة إلى أن يخططوا في قتله، فحاصروا داره من
كل جانب، كي يحملوا عليه في آخر الليل، ويقطعوه إربا إربا في مضجعه.
ولكن الله جل شأنه اطلعه بالأمر، وأمره بالهجرة إلى يثرب ١ فاستخلف عليا (ع) في
فراشه، خرج ليلا برعاية الله وعنايته من داره واجتاز الأعداء، واختفى في غار تبعد
عدة فراسخ من مكة المكرمة، وخرج من الغار بعد ثلاثة أيام، بعد أن يئس الأعداء من
الوصول إليه، وبعد ان بحثوا ونقبوا تلك المنطقة وحواليها، فعادوا إلى مكة، عندئذ
أخذ النبي (ص) يتابع طريقه إلى (يثرب).
أما أهل يثرب فقد آمنوا به كبارهم وأسيادهم، وبايعوه، فاستقبلوه بحفاوة بالغة،
وقدموا له أموالهم وأنفسهم.
فأسس الرسول (ص) ولأول مرة، أول مجتمع إسلامي صغير، في مدينة (يثرب) وعقد مع
الطوائف اليهودية التي كانت تستقر في المدينة وأطرافها معاهدات، وكذا مع القبائل
العربية القوية لتلك المنطقة، وقام بنشر دعوته الاسلامية، وعرفت مدينة يثرب
ب مدينة الرسول.

---

(١) منطقة تقرب من المدينة.

وعلى مر الأيام، قويت شوكة الاسلام، واستطاع المسلمون الذين كانوا يعيشون في اضطهاد
القرشيين ان يتركوا دورهم وسكناهم في مكة، مهاجرين إلى المدينة شيئا فشيئا، والتفوا حول النبي الأكرم (ص)، وسموا ب المهاجرين كما اشتهر أصحابه وأعوانه من يثرب ب الأنصار.
نال الاسلام تقدما سريعا، لكن عبدة الأصنام من قريش، والطوائف اليهودية المستقرة في الحجاز، لا يزالون حجر عثرة امام هذه الحركة، فحاولوا القيام بأعمال تخريبية لصد
النبي والمسلمين، وذلك بمساعدة المنافقين، الذين كانوا في صفوف المسلمين، ولم يعرفوا بأي شكل من الأشكال، فكانوا يخلقون المشاكل، ويسببون المصائب، والحوادث
المستحدثة، حتى آل الأمر إلى الحرب، فنشبت الحروب المتعددة بين الاسلام وعبدة الأصنام واليهود، فكانت الغلبة غالبا لجيش الاسلام، يقرب احصاء تلك الحروب من ثمانين ونيف معركة بما فيها المعارك الدامية الكبرى، والصغيرة منها، وفي كل هذه المعارك، كان النبي (ص) يشارك المسلمين في قتالهم، كمعركة بدر وأحد والخندق وخيبر
وغيرها، وكانت الغلبة في معظمها تتم على يد علي (ع). والإمام علي (ع) هو الوحيد الذي ما تراجع ولا فشل في إحداها، وطوال هذه المعارك التي دامت عشر سنوات بعد الهجرة النبوية، قتل من المسلمين أقل من مائتين، ومن الكفار ما يقرب الألف. ونتيجة المثابرة والتضحية والفداء الذي عرف به المهاجرون والأنصار خلال السنوات العشر بعد
الهجرة، عم الاسلام (شبه الجزيرة العربية) وحررت الرسائل إلى ملوك الدول الأخرى مثل
إيران و (الروم) و (مصر) و (الحبشة) تدعوهم إلى الاسلام.
كان النبي (ص) يواسي الفقراء في معيشتهم، فلا تختلف حياته عن حياتهم، وكان يفتخر
بالفقر ١، وكان يستغل أوقاته، لا تمر لحظة الا وهو دائب

---

(١) وفي رواية مشهورة يقول (ص) الفقر فخري، ولمزيد الاطلاع في هذا الفصل يراجع كتاب سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وكتاب البحار ج ٦ وغيرها.

في عمل، وكان (ص) مقسما أوقاته إلى ثلاثة أقسام: الأول للعبادة وذكر الله تعالى، الثاني: له ولعياله وبيته، الثالث: للناس، فكان يسعى في نشر المعارف الاسلامية وتعليمها وما يتعلق بشؤون المجتمع الاسلامي، وتصحيح الأهداف والسبل التي تؤدي إليه،
وكذا السعي في رفع حوائج المسلمين، وتحكيم العلاقات الداخلية والخارجية، وسائر الأمور المرتبطة بها.
وبعد اقامته (ص) عشر سنوات في المدينة، فارق الدنيا على أثر سم دس في طعامه على يد
امرأة يهودية، طرحه في فراشه أياما، ومما جاء في الروايات ان آخر ما تكلم به النبي (ص)، وصيته في العبيد والنساء.

١١ النبي الأكرم (ص) والقرآن

كان الناس يطالبون النبي (ص) بالمعجزة، كما كانوا يطالبون سائر الأنبياء فكان (ص) يؤيد المعاجز لدى الأنبياء، والقرآن الكريم يصرح بذلك.
تذكر للنبي (ص) معاجز كثيرة الا أن البعض منها لا تتصف بالقطعية في روايتها، ولم تكن
مورد قبول واعتماد، ولكن المعجزة الباقية له (ص) والتي لا تزال حية هي القرآن الكريم كتابه السماوي. فالقرآن الكريم كتاب سماوي يشتمل على ستة آلاف ونيف آية،
وينقسم إلى مائة وأربع عشرة سورة بما فيها المطولة والقصيرة.
نزلت الآيات القرآنية الكريمة بصورة تدريجية خلال أيام بعثته ودعوته (ص) طوال ثلاث
وعشرين سنة، وكانت (توحى) إليه (ص) بصور مختلفة، من سورة أو آية أو أقل من آية، وفي
أوقات متفاوتة، في ليل أو نهار، في سفر أو حضر، في الحرب أو السلم، وفي أيام شديدة
أو رخاء.

والقرآن الكريم في آيات عدة، يصرح تصريحا، بأنه معجزة وقد تحدى العرب في ذلك اليوم، إذ كانت في القمة من الفصاحة والبلاغة، هذا ما يشهد به التأريخ، وكان في المقدمة من حيث البيان والتعبير، بقوله تعالى في كتابه العزيز:

(فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) ١.

أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ٢.

أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ٣.

فتحداهم القرآن بهذه الآيات، قائلا إذا كنتم تظنون أنه من كلام البشر، أو من عند محمد (ص)، أو أنه قد أخذها من أحد، فأتوا بمثله. أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة من سوره، واستعينوا بأية وسيلة شئتم في تحقيق هذا الأمر، وما كان جواب الفصحاء والبلغاء من العرب ان قالوا انه لسحر ويعجز من مثلنا أن يأتي به ٤.

ان القرآن الكريم لم يتحد العلماء من جهة الفصاحة والبلاغة فحسب، بل تحداهم من جهة المعنى أيضا، وتحدي الجن والإنس بما يمتلكون من قدرات فكرية خلاقة، لأنه يشتمل على البرنامج الكامل للحياة الانسانية، ولو محص تمحيصا دقيقا، لوجد انه الأساس والأصل في مجالات الحياة الانسانية كلها، بما فيها الاعتقادات والأخلاق والأعمال التي ترتبط بالانسان فإنه يعالج كل جانب من جوانبها بدقة تامة، فهو من الله الحق، ودينه دين الحق أيضا.

---

(١) سورة الطور الآية ٣٤.

(٢) سورة هود الآية ١٥.

(٣) سورة يونس الآية ٣٨.

(٤) ومما نقل عن أشهر مشاهير العرب في القرآن في قوله تعالى (فقال إن هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر). سورة المدثر الآية ٢٤ - ٢٥.

الاسلام دين يستلهم أحكامه ومواده من الله الحق وليس من رغبة أكثرية الناس أو من فكر شخص حاكم قدير.
ان الركن الأساسي لهذا القانون الشامل هو الكلمة الحقة وهو الايمان بالله الأحد، وان جميع العلوم تنبثق من التوحيد، ومن ثم تستنبط الأخلاق الانسانية المثلى من هذه الأصول، وتصبح جزءا من هذا القانون، ثم تنظم وتنسق الكليات والجزئيات والتي هي خارجة عن نطاق احصاء البشر، وتدرس الوظائف التي ترتبط بها، والتي تنبع من التوحيد،
وتصدر منه.
في الدين الاسلامي ارتباط وثيق بين الأصول والفروع على نحو يرجع كل حكم فرعي من أي
باب، إذا ما محص إلى كلمة التوحيد وينتهي إليه، وكلمة التوحيد مع ارتباطها بتلك الأحكام والمواد تصبح فرعا منه.
وطبيعي ان التنظيم والتنسيق النهائي لمثل هذا القانون الوسيع الشامل، مع ما يمتاز به من وحدة وارتباط كهذه، خارجة عن نطاق شخص متضلع في علم الحقوق والقانون، وان كان
من أشهر مشاهيرهم، فضلا من أن الفهرست الابتدائي له ليس بالامر اليسير، فكيف برجل
يعيش في زمن يتصف بالحياة البدائية، في خضم الآلاف من المشاكل والمصائب التي تهدد
الأموال والأرواح، والعام والخاص، وتنشئ الحروب الدامية، والفتن الداخلية والخارجية، وفي النهاية يبقى منفردا امام العالم أجمع.
هذا فضلا من أن النبي (ص)، لم يتعلم القراءة والكتابة عند معلم، لقد قضى ثلثي عمره وحياته قبل دعوته ١ في بيئة تفتقر إلى حضارة، ولم تسمع

---

(١) وفي القرآن الكريم عن النبي (ص) فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون. سورة يونس الآية ١٦. ويقول أيضا: وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك سورة العنكبوت الآية ٤٨.
ويقول أيضا: ولو كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله. سورة البقرة الآية ٢٣.

بمدنية أو حضارة، كانوا يعيشون في ارض صحراء قاحلة، وجو مهلك، مع اتعس الظروف
الحياتية، علما بأنها كانت تستعمر من قبل الدول المجاورة بين آونة وأخرى، ومع كل هذه الظروف والأحوال نجد القرآن الكريم يتحدى من طريق آخر، وهو أنه انزل بصورة
تدريجية مع ظروف متفاوتة مختلفة، في أيام الفتن والأيام الاعتيادية، في الحرب والصلح، وفي أيام القدرة وأيام الضعف وغيرها، خلال ثلاث وعشرين سنة.
ولو لم يكن من كلام الله تعالى، وكان من صنع البشر، لوجد فيه تناقضا وتضادا كثيرا، فلا بد أن يأتي آخره أجود وأحسن من أوله، وأكثر تطورا، وهذا مما يؤيده التكامل التدريجي للبشر، في حين نرى ان الآيات المكية والمدنية على نمط واحد، لم يختلف آخرها عن أولها، كتاب متشابه الأجزاء، يحير العقول في قدرة بيانه ووحدة تنسيقه. ١

---

(١) في قوله تعالى شانه: أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا سورة النساء الآية ٨٢.

معرفة المعاد
١. الانسان روح وجسم.
٢. مبحث في حقيقة الروح من منظار آخر.
٣. الموت من وجهة نظر الاسلام.
٤. عالم البرزخ.
٥. يوم القيامة – المعاد.
٦. بيان آخر.
٧. استمرار وتعاقب الخلقة.
١. الانسان روح وجسم
ان كلمة الروح والجسم والنفس قد كثر استعمالها في القرآن والسنة، علما بأن تصور الجسم والبدن الذي يتم عن طريق الحس قد يكون أمرا بسيطا الا أن تصور الروح والنفس
لا يخلو من ابهام وغموض.
ان الباحثين والمتكلمين والفلاسفة سواء من الشيعة أو السنة، لهم نظريات متفاوتة في حقيقة الروح، ولكن الروح والبدن من وجهة نظر الاسلام

هما واقعيتان متضادتان، فالبدن يفقد خواصه الحياتية بالموت، ويضمحل بصورة تدريجية،
ولكن الروح ليست هكذا، فان الحياة أصالة للروح، وما دامت الروح في الجسم، فان الجسم
يستمد حياته منها، وعندما تفارق الروح البدن، وتقطع علاقتها به، لا يقوى البدن من القيام بأي عمل، الا ان الروح تستمر في حياتها.
ومما يستنبط من تدبر الآيات القرآنية، وكلام أهل بيت العصمة (ع) ان الروح الانسانية غير مادية، ولكنها تنشئ نوعا من العلاقة والوحدة مع الجسم، إذ يقول الله تعالى في كتابه المبين:
لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ١.
ويتضح من سياق الآيات، ان أوائلها تصف الخلقة المادية بشكلها التدريجي، وأواخرها عندما تشير إلى خلقة الروح أو الشعور والإرادة، فإنها تصفها بخلقة أخرى، تختلف عن خلقتها الأولى.
وفي آية أخرى، في الرد على من يستبعد المعاد أو ينكره يقول إن الانسان بعد موته وتفتت أجزائه، وتمازجها مع اجزاء التربة، كيف تستعاد خلقته، ويصبح كما كان انسانا
كاملا، يقول الله سبحانه: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ٢ أي ان الأرواح تقبض على يد ملك الموت من أبدانكم، وتحفظ عندنا.
وفضلا عن هذا، فان القرآن الكريم، يعرف الروح بصورتها المطلقة غير المادية، بقوله تعالى: ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ٣.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٢ - ١٤.
(٢) سورة السجدة الآية ١١.
(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.

وفي آية أخرى من الذكر الحكيم، يتطرق إلى موضوع الامر بقوله: انما امره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ١. وبمقتضى هذه الآيات ان أمر الله تعالى في خلقته للأشياء لم يكن تدريجيا، ولم يكن محددا بزمان أو مكان، ولما كانت الروح أمرا من الله اذن فهي ليست بمادة، ولم يكن في كنهها خاصة المادة التي تتصف بالتدرج والزمان
والمكان.

---

(١) سورة يس الآية ٨٣.
٢. مبحث في حقيقة الروح من منظار آخر
ان التتبعات العقلية تؤيد القرآن الكريم أيضا في موضوع الروح، كل منا يدرك حقيقة من وجوده، والتي نعبر عنها بال أنا وهذا الادراك موجود في الانسان بصورة مستمرة، وأحيانا ينسى بعض أعضاء جسمه من رأس أو يد أو سائر الأعضاء، وحتى جسمه كليا، ولكن يدرك ال أنا عندما يكون هو موجودا، وهذا المشهود كما هو مشهود، غير قابل للانقسام والتجزئة، ومع أن جسم الانسان في تغيير وتحول دائم، ويتخذ أمكنة مختلفة له، وتمر عليه أزمنة مختلفة الا ان الحقيقة المذكورة وهي ال (انا) ثابتة في واقعيتها لا تقبل التغيير أو التبديل، وواضح إذا كانت مادة، كانت تتقبل خواص المادة، بما فيها الانقسام وتغير الزمان والمكان.
نعم ان الجسم يتقبل كل هذه الخواص، وبما ان هذه الخواص لها ارتباط روحي، فتنسب إلى الروح، ولكن مع تأمل وتدبر يتجلى للانسان، أن هذا المكان وذلك المكان، وكذا هذا الشكل وذلك الشكل، وهذه الناحية

وتلك، كلها من خواص البدن، والروح منزه منها، وكل من هذه الصفات تنتقل إليها عن
طريق البدن.
يسري هذا البيان في خاصية الادراك والشعور على (العلم) والذي هو من مميزات الروح.
وبديهي ان العلم إذا كان يتصف بما تتصف به المادة، لكن تباعا يتقبل الانقسام والتجزئة والزمان والمكان.
ان هذا البحث العقلي واسع مطول، تتبعه أسئلة وأجوبة، ولا يسعه كتابنا هذا، وهذا المقدار من البحث انما أدرج هنا على سبيل الإشارة، ولغرض استقصائه واستقرائه يستلزم
الرجوع إلى الكتب الفلسفية الاسلامية.
٣. الموت من وجهة نظر الاسلام
ان النظرة العابرة تفترض ان موت الانسان فناؤه وعدمه، وحدد حياة الانسان بالأيام التي يعيشها فيما بين ولادته ووفاته، في حين نرى ان الاسلام يعتبر الموت انتقالا من مرحلة حياتية إلى مرحلة حياتية أخرى، وللانسان حياة أبدية لا نهاية لها، وما الموت الذي يفصل بين الروح والجسم الا ليورده المرحلة الأخرى من حياته، وان السعادة
والشقاء فيها يعتمدان على الأعمال الحسنة أو السيئة في مرحلة قبل الموت، ومما يروى
عن النبي (ص)، ما مضمونه، تظنون انكم تفنون بالموت، ولكنكم تنتقلون من بيت لآخر ١.

---

(١) بحار الأنوار ج ٣: ١٦١ الاعتقادات للصدوق.

٤. عالم البرزخ
ومما يستفاد من القرآن الكريم والسنة، ان الانسان يتمتع بحياة مؤقتة ومحدودة في الحد الفاصل بين الموت ويوم القيامة، والتي تعتبر رابطة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى ١.
والانسان بعد موته، يحاسب محاسبة خاصة من حيث الاعتقاد، والأعمال الحسنة والسيئة
التي كان عليها في الدنيا، وبعد هذه المحاسبة المختصرة، ووفقا للنتيجة التي يحصل عليها، يحكم عليه بحياة سعيدة أو شقية، ويكون عليها إلى يوم القيامة ٢.
وحالة الانسان في عالم البرزخ تشابه كثيرا حالة الشخص الذي يراد التحقيق معه لما قام به من أعمال، فيجلب إلى دائرة قضائية كي تتم مراحل الاستجواب والاستنطاق منه،
لغرض تنظيم ملف له وبعدها يقضي فترة ينتظر خلالها وقت محاكمته.
روح الانسان في عالم البرزخ، تعيش بالشكل الذي كانت عليه في الدنيا، فإذا كانت من
الصلحاء، تتمتع بالسعادة والنعمة وجوار الصلحاء والمقربين لله تعالى، وإذا ما كانت من الأشقياء، تقضيها في النقمة والعذاب، ومصاحبة الأشرار، وأهل الضلال.
فالله جل شأنه يصف حالة بعض السعداء بقوله:

---

(١) البحار ج ٢ باب عالم البرزخ.
(٢) البحار ج ٢ باب عالم البرزخ.

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين مما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين ١.
وفي وصف حالة مجموعة أخرى، الذين كانوا ينفقون أموالهم وثرواتهم في مشاريع غير
مشروعة في الحياة الدنيا، يصفهم بقوله تعالى:
حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها هو
قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ٢.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ - ١٧١.
(٢) سورة المؤمنون الآية ٩٩ - ١٠٠.

٥. يوم القيامة - المعاد

ينفرد القرآن الكريم بين الكتب السماوية، بالتحدث عن المعاد والحشر تفصيلا، في حين ان التوراة لم تشر إلى هذا اليوم وهذا الموقف، وكتاب الإنجيل يشير إشارة مختصرة، والقرآن يذكره ويذكر به في مئات الموارد، وبأسماء شتى، ويشرح عاقبة العالم والبشرية، التي تنتظرهم فتارة باختصار وأخرى باسهاب.
ويذكر مرارا ان الاعتقاد بيوم الجزاء (يوم القيامة) يعادل الاعتقاد بالله تعالى، ويعتبر أحد الأصول الثلاثة للاسلام ومنكره (منكر المعاد)، خارج عن شريعة الاسلام وما عاقبته الا الهلاك والخسران.

وحقيقة الامر هكذا، إذا لم تكن هناك محاسبة وجزاء وعقاب، فان الدعوة الدينية بما تحتوي من أوامر الله ونواهيه، لم يكن لها أدنى فائدة أو أثر، وان وجود النبوة والابلاغ وعدمه كان سواء، بل يرجح عدمه على وجوده، لأن تقبل الدين واتباع موازين
الشرع، لا يخلو من تكلف وسلب الحرية، وإذا كان اتباع الدين لم يكن له أثر أو نتيجة،
لن يتحمل الناس هذا العب ء وهذه المسؤولية، ولن يتخلوا عن الحرية الطبيعية.
ومن هنا يتضح ان أهمية ذكر يوم الحشر وتذكره يعادل أهمية أصل الدعوة الدينية.
ويتضح أيضا ان الاعتقاد بيوم الجزاء من أهم العوامل التي تجبر الانسان على أن ينتهج الورع والتقوى، وان يتجنب الأخلاق الرذيلة، والمعاصي والذنوب، كما أن نسيانه،
أو عدم الاعتقاد به، سوف يكون أساسا واصلا لكل معصية أو ذنب، ويقول جل من قائل:
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ١.
ومما يلاحظ في الآية، أن منشأ كل ضلال هو نسيان يوم الحساب.
والتدبر في خلقة الانسان والعالم، وكذا في الهدف من الشرائع السماوية، يتضح الغرض من اليوم الذي سيلاقيه الانسان يوم الجزاء.
ونحن عندما نتدبر الأعمال والأفعال في الطبيعة، نرى ان كل عمل (والذي يحتوي على نوع
من الحركة بالضرورة) لا يتم الا عن غاية وهدف، ولم يكن العمل نفسه بالأصالة هو المقصود، بل إنه مقدمة لهدف وغاية فيكون مطلوبا لذلك الهدف أو لتلك الغاية، حتى في
الأعمال التي تعتبر سطحية مثل الأفعال الطبيعية والأعمال الصبيانية ونظائرها، لو دققنا فيها لوجدنا فيها

---

(١) سورة ص الآية ٢٦.

غايات واغراضا تناسب نوع الفعل، كما في الأعمال الطبيعية التي تتصف بالحركة غالبا، فان الغاية التي تسعى إليها هذه الحركة تعتبر الغاية والهدف لها، واما في لعب الأطفال وما يتناسب مع نوع اللعبة، فان هناك غاية خيالية وهمية، والهدف من اللعب هو الوصول إليه.

وفي الحقيقة ان خلقة الانسان والعالم، من أعمال الله تعالى وأنه منزه من أن يقوم باعمال عبث، دون هدف أو غرض، فهو الذي يخلق، ويرزق ويميت، وهكذا يخلق ويهلك فهل

يتصور ان يكون خلقه هذا دون هدف معين، وغرض محكم يتابعه.

اذن لابد لخلق الكون والانسان، هدف وغاية ثابتة، وان الفائدة منه لا تعود إلى الله الغني المتعال، وكل ما فيه يعود للمخلوق. اذن يجب الاعتراف بأن الكون بما فيه الانسان يتجه ويسير نحو خلقة معينة خاصة، ووجود أكمل، لا يتصفان بالفناء والزوال.

وإذا أمعنا النظر في حالة الناس ووضعهم، ومدى تأثرهم بالتربية الدينية، فإننا نرى ان الناس ينقسمون إلى قسمين، أثر الارشادات الإلهية، والتربية الدينية، وهم الأخيار والأشرار، ومع هذا الوصف، لم نجد أي امتياز أو فارق في هذه الحياة، بل على العكس،

وغالبا ما تكون الموفقية للأشرار والظالمين، أما الأخيار فإنهم على صلة بالفتن والمشاكل والحياة السيئة والحرمان وتحمل الظلم.

والحال هذه تقتضي العدالة الإلهية ان تكون هناك نشأة أخرى، حتى يجد فيها كل من الفريقين المذكورين، جزاء أعمالهم، ويحيون حياة تناسب حالهم، ويشير الله تعالى في كتابه العزيز إلى هاتين الحالتين بقوله:

وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ١.

---

(١) سورة الدخان الآية ٣٨.

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين
كالفجار ١.
ويذكر في آية أخرى، وقد جمع فيها الدليلين بقوله جل شأنه:
أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون. وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون ٢.
٦. بيان آخر
قد أشرنا في الفصل الثاني من الكتاب في مبحث الظاهر والباطن القرآني، ان المعارف الاسلامية في القرآن الكريم، مبينة من طرق مختلفة، والطرق المذكورة بشكل تنقسم إلى
قسمين، الظاهر والباطن.
والمراد من طريق الظاهر، هو البيان الذي يتناسب ومستوى أفكار العامة، على خلاف الطريق الباطن الذي يختص بالخاصة منهم، ويدرك مع روح الحياة المعنوية.
والبيان الذي يؤخذ عن طريق الظاهر مؤداه ان الله تعالى الحاكم المطلق لعالم الخلقة، فكل ما في هذا الكون ملكه، فهو الذي خلق الملائكة التي لا يعلم احصاؤها كي تكون مطيعة ومنفذة لأوامره، يرسلهم إلى حيث شاء من الكون، ولكل بقعة من عالم الطبيعة وما
يلازمها من نظام ترتبط بمجموعة

---

(١) سورة ص الآية ٢٧ - ٢٨.
(٢) سورة الجاثية الآية ٢١ - ٢٢.

خاصة من الملائكة موكلين عليها.
والنوع الانساني من مخلوقاته وعباده الذين يجب عليهم اتباع أوامره ونواهيه، والاطاعة له، وما الأنبياء الا حملة شرائعه وقوانينه، يبعثهم إلى الناس، لبيان واجراء تلك الشرائع والقوانين.
فالله جل ثناؤه، لما جعل الثواب والأجر لمن آمن وأطاع، جعل العقاب والعذاب لمن كفر
وعصى، وهو القائل، لن يخلف الله وعده، ولما كان عادلا، فعدالته تقتضي ان يفصل بين
الفريقين في النشأة الأخرى، وهما الأخيار والأشرار، وان يمتع الأخيار بالنعيم، وللأشرار الشقاء.
وقد وعد الله تعالى بمقتضى عدله، ان يحشر الناس الذين مروا في الحياة الدنيا دون استثناء، ويحاسبهم حسابا دقيقا في معتقداتهم وأعمالهم، من صغيرة أو كبيرة، ويقضي بينهم بالحق والعدل، وفي النهاية، سيوصل إلى كل ذي حق حقه، ويأخذ لكل مظلوم نصيبه،
ممن ظلمه، ويعطي أجر عمل كل عامل، ويصدر الحكم لفريق في الجنة وفريق في السعير.
هذا هو البيان الظاهري للقرآن الكريم، وقد جاء مطابقا لفكر الانسان الاجتماعي، لتكون فائدته أعم، ونطاقه أشمل.
اما الذين تعمقوا في الحقائق، ولهم القدرة على فهم المعنى الباطني للقرآن الكريم، فهم يدركون الآيات القرآنية على مستوى ارفع من العامة. والقرآن الكريم، يلوح خلال تعابيره البسيطة أحيانا بالمعنى الباطني تلويحا.
فالقرآن الكريم مع تعبيراته المختلفة، يذكر اجمالا ان الطبيعة بجميع أجزائها، والانسان أحدها، مع سيرها التكويني (والتي تسير نحو الكمال) تصير إلى الله تعالى، وسيأتي اليوم الذي تنهى حركتها وسيرها، وتفقد انيتها واستقلالها كليا.
والانسان وهو جزء من اجزاء هذا الكون، فان طريق تكامله الخاص يتم عن طريق الشعور
والعلم، يسرع في طريقه إلى الله تعالى، واليوم الذي

يختتم به هذا الانطلاق، سيشاهد عيانا حقانية الله الاحد، وسيرى أن القدرة والملك وكل صفة من صفات الكمال تنحصر في ذاته القدسية، ومن هذا الطريق، ستنجلي له حقيقة
الأشياء كلها.
وهذا هو أول منزل وموقف من العالم الأبدي، فإذا كان الانسان في هذه الدنيا، بايمانه وعمله الصالح، أوجد ارتباطا واتصالا بالله تعالى واستأنس به، وبالمقربين من عباده، سيحظى بسعادة لا توصف، وسيكون في جوار الله سبحانه، ويكون قرين الصالحين في
العالم العلوي، وإذا ما كان ممن تربطهم علاقة وثيقة بهذه الدنيا الدنيئة، ولذائذها الزائلة، فقد قطع اتصاله بالعالم العلوي، ولم تقم بينه وبين خالقه رابطة أو اتصال ولا مع المقربين من عباده، فإنه سيحاط بعذاب دائم، وخزي أبدي.
صحيح ان الأعمال الحسنة والسيئة للانسان في هذه الدنيا تزول وتذهب، لكن صور الأعمال
هذه تستقر في باطنه، وأينما رحل فهي معه، وتكون مصدر حياته الآتية سواء في السعادة
أو الشقاء.
وكل ما ذكر يمكن استنتاجه من الآيات التالية:
يقول جل من القائل: ان إلى ربك الرجعي ١.
ويقول: الا إلى الله تصير الأمور ٢.
ويقول: الأمر يومئذ لله ٣.
ويقول: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي ٤.
ويخاطب الله سبحانه يوم القيامة بعض أفراد البشر، بقوله:

---

(١) سورة العلق الآية ٨.
(٢) سورة الشورى الآية ٥٣.
(٣) سورة الانفطار الآية ١٩.
(٤) سورة الفجر الآية ٢٧ - ٣٠.

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ١.
وفي تأويل القرآن الكريم، والحقائق التي تنبع منه الآيات، يقول جل اسمه:
هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ٢.
ويقول تعالى:
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين ٣.
ويقول تعالى شأنه:
يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ٤.
ويقول تعالى ذكره:
من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت ٥.
ويقول تعالى اسمه:
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ٦.
ويقول سبحانه:
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في

---

(١) سورة ق الآية ٢٢.
(٢) سورة الأعراف الآية ٥٣.
(٣) سورة النور الآية ٢٥.
(٤) سورة الانشقاق الآية ٦.
(٥) سورة العنكبوت الآية ٥.
(٦) سورة الكهف الآية ١١٠.

عبادي وادخلي جنتي ١.
ويقول سبحانه وتعالى:
فإذا جاءت الطامة الكبرى، يوم يتذكر الانسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فاما
من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى ٢.
ويتعرض القرآن الكريم عن كنه جزاء الأعمال قائلا:
يا أيها الذين كفروا، لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ٣.

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٧ - ٣٠.
(٢) سورة النازعات الآية ٣٤ - ٤١.
(٣) سورة التحريم الآية ٧.

٧. استمرار الخلقة وتعاقبها
ان عالم الخلقة الذي نشاهده، ذو عمر محدود، وسيأتي اليوم الذي يفنى ويزول فيه، كما
يؤيد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ٤.
وهل خلق عالم، وهل كان هناك انسان، قبل ظهور عالمنا هذا والبشر الذي يعيش فيه حاليا؟ وهل بعد زوال وفناء هذا العالم بما فيه، والذي يخبر به القرآن الكريم سينشأ عالم آخر وسيخلق بشر، فهذه أسئلة لا نجد جوابها في القرآن الكريم الا تلويحا، لكن الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (ع)، تجيب بايجاب عن هذه الأسئلة. ٥

---

(٤) سورة الأحقاف الآية ٣.
(٥) البحار ج ١٤: ٧٩.

معرفة الامام

١. معنى الامام.
٢. الإمامة وخلافة النبي الأكرم (ص) في الحكومة الاسلامية.
٣. تأييد للأقوال السابقة.
٤. الإمامة في العلوم التشريعية.
٥. الفرق بين النبي والامام.
٦. الإمامة في باطن الأعمال.
٧. أئمة الاسلام وقادته.
٨. موجز عن حياة الأئمة الاثني عشر.
٩. بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر العامة.
١٠. بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر الخاصة.

١. معنى الامام
تطلق كلمة الامام أو القائد على شخص يقود جماعة أو فئة، ويتحمل عب ء هذه المسؤولية، اما في المسائل الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، ويرتبط عمله بالمحيط الذي يعيش فيه، ومدى سعة المجال للعمل فيه أو ضيقه.

ان الشريعة الاسلامية المقدسة (كما اتضح في الفصول السابقة) تنظر إلى الحياة العامة للبشر من كل جهة، فهي تصدر أوامرها لارشاد الانسان في الحياة المعنوية، وكذا في الحياة الصورية من الناحية الفردية، ويتدخل في ادارة شؤونه، كما يتدخل في حياته الاجتماعية والقيادية (الحكومة) أيضا.

وعلى ما مر ذكره، فان الامام أو القائد الديني في الاسلام، يمكن ان يكون مورد اهتمام من جهات ثلاث:

الأولى: من جهة الحكومة الاسلامية.

الثانية: من جهة بيان المعارف والاحكام الاسلامية ونشرها.

الثالثة: من جهة القيادة والارشاد في الحياة المعنوية.

تعتقد الشيعة بأن المجتمع الاسلامي يحتاج إلى الجهات الثلاث التي سبق ذكرها، احتياجا مبرما، والذي يتصدى لقيادة الجهات الثلاثة، بما فيها قيادة المجتمع، يجب ان يعين من قبل الله والرسول الأعظم (ص)، علما بان النبي (ص) أيضا يعين الامام بأمر من الله تعالى.

٢. الإمامة وخلافة النبي الأكرم (ص) في الحكومة الاسلامية

ان الانسان بما يمتاز به من مواهب إلهية، يدرك جيدا ومن دون تردد، ان أي مجتمع متآلف، في أية بقعة أو مملكة أو مدينة أو قرية أو قبيلة، وحتى في بيت واحد يتألف من عدة افراد، لن يستطيع ان يعيش ويستمر في حياته دون قائد أو ناظر عليه، فهو الذي يجعل الحياة نابضة، يحرك عجلات اقتصادها، يحفز كل فرد من افراد المجتمع بانجاز وظيفته الاجتماعية. فالمجتمع الفاقد

لقائد، لا يستطيع ان يستمر في حياته، وفي أقل فترة ممكنة ينهار قوامه، ويسير نحو الهمجية والتحلل الخلقي.
فعلى هذا، فالشخص الذي يتولى قيادة مجتمع (سواء أكان كبيرا أم صغيرا) ويعير اهتماما لمنصبه ومقامه، يبدي عنايته لبقاء ذلك المجتمع، نجده يعين خلفا له فيما لو أراد ان يغيب عن محل عمله (سواء أكانت الغيبة مؤقتة أم دائمية) ولن يتخلى عن مقامة ما لم يعين أحدا، ولن يترك بلاده، أو بقعته دون ناظر أو حارس عليها أو قائد لها، لأنه يعلم جيدا، ان غض النظر عن هذه المهمة وعدم استخلاف أحد، يؤدي بمجتمعه
إلى الزوال والاضمحلال، كما لو أراد رب البيت ان يسافر عدة أيام أو أشهر، فإنه يختار أحدهم (أو أحدا غيرهم) مكانه، ويلقي إليه مقاليد الإدارة للبيت، وهكذا الرئيس لمؤسسة أو المدير لمدرسة، أو الصاحب لحانوت، وهو يشرف على موظفين أو صناع
يعملون تحت إمرته، فلو قدر ان يترك محل عمله لساعات قليلة فإنه يختار أحدهم ويعينه
مكانه، كي يتسنى للآخرين الرجوع إليه، في المشكلات أو المعضلات، وقس على هذا
الاسلام دين قوامه الفطرة، وذلك بنص القرآن الحكيم والسنة النبوية، وهو نظام اجتماعي، يدركه كل من له المام بهذا الدين، ومن ليس له صلة به. والعناية الخاصة التي قد بذلها الله جل وعلا، ونبيه الكريم (ص) لهذا الدين الجامع، لا ينكرها أحد، ولا يسعنا مقارنته مع أي شئ آخر.
فالنبي الأكرم (ص)، كان لا يترك المجتمع الذي دخل في الاسلام، أو المجتمع الذي قد
سيطر عليه الاسلام، وكذا كل بلدة أو قرية كانت تقع تحت إمرة المسلمين، دون ان يرسل
إليها واليا أو عاملا في وقت مبكر، كي يدير شؤون تلك المجتمعات أو البقاع، وكان هذا دأب النبي (ص)، في الجهاد، فعندما كان يرسل كتيبة إلى مكان ما، كان يعين قائدا
لها، وكان يعين أكثر من قائد أحيانا، كما حدث ذلك في حرب (مؤتة) إذ عين (ص) أربعة،
فإذا ما قتل

الأول، استخلفه الثاني من بعده، وإذا ما قتل الثاني، استخلف الثالث وهكذا.
وقد أبدى الاسلام عنايته بموضوع الخلافة والاستخلاف عناية تامة، فلم يتغافل عن هذا الموضوع، ومتى ما أراد النبي (ص)، ان يترك المدينة، كان يستخلف أحدا. وفي الوقت
الذي أراد الرسول الأعظم (ص) الهجرة من مكة إلى المدينة، عين عليا خليفة له في مكة، للقيام بالاعمال الخاصة به لفترة قصيرة، كأداء الأمانات إلى أهلها، وقد أوصي (ص) لعلي (ع) ان يقوم بأداء الديون وما يتعلق بشؤونه الخاصة، بعد وفاته (ص).
ووفقا لهذه القاعدة، فان الشيعة تدعي انه لن يتصور ان النبي (ص) قبيل وفاته لم يوص لأحد يستخلفه في شؤون الأمة من بعده، أو انه لم يعين شخصا يقوم بإدارة المملكة الاسلامية.
وليس هناك من شك، والفطرة الانسانية تقر بذلك، بأن نشوء مجتمع يرتبط بمجموعة من
عادات وتقاليد مشتركة تقرها أكثرية ساحقة لذلك المجتمع، وكذا يرتبط بقاؤها ودوامها
بحكومة عادلة تتبنى اجراء تلك العادات والتقاليد اجراء كاملا، وهذا الامر لا يخفى على الشخص اللبيب أو ان يتغافل عنه، في حين انه ليس هناك مجال للشك في الشريعة الاسلامية، بما فيها من دقة ونظام، ولما كان يبديه النبي الكريم (ص) من احترام وتقدير لتلك الشريعة، إذ كان يضحي بما في وسعه في سبيلها، ان يهمل الموضوع أو يتركه. علما بأن النبي (ص)، كان نابغة زمانه، في قوة تفكره، وفراسته وتدبيره، (فضلا عن ملازمات الوحي والنبوة وما تتبعها من تأييدات).
وكما نجد في الأخبار المتواترة عن طريق العامة والخاصة، في كتب الأحاديث والروايات
(باب الفتن وغيرها)، أنه (ص) كان ينبئ بالفتن والمحن التي ستلاقيها الأمة الاسلامية بعده، وما يشوب الاسلام من فساد، كحكومة آل مروان وغيرهم، الذين غيروا وحرفوا الشريعة السمحاء، فكيف

من يهتم بأمور تحدث بعد سنوات عديدة متأخرة عن وفاته، وما تنطوي عليها من فتن ومصائب، يتغافل عن موضوع يحدث بعيد وفاته، وفي الأيام الأول بعد رحلته (ص)؟! ولا يبدي عنايته لموضوع خطير من جهة، وبسيط من جهة أخرى، في حين كان يبدي اهتمامه
لأبسط الأمور الاعتيادية، كالأكل والشرب والنوم وما شاكل، فنجده يصدر الأوامر اللازمة لهذه المسائل الطبيعية، فكيف لا يبدي اهتماما لمسائل أساسية هامة أو ان يختار الصمت إزاءها، ولا يعين أحدا مكانه؟
وعلى فرض المحال، لو كان تعيين القائد لمجتمع إسلامي في الشريعة الاسلامية، منوطا بالمجتمع نفسه، لكان لزاما على النبي (ص)، ان يصرح في هذا الخصوص ويشير إليه إشارة
وافية، ويعطي الأمة الارشادات اللازمة، كي تصبح واعية امام موضوع يضمن لها تقدمها
وتكاملها، ويتوقف عليه شعائر دينها.
في حين أننا لم نجد مثل هذا التصريح، ولو كان هناك نص صريح لما خالفه من جاء من
بعده، وذلك ما حدث من الخليفة الأول، وانتقال الخلافة إلى الثاني بوصية منه، والرابع أوصى لابنه، اما الخليفة الثاني فقد دفع الثالث إلى منصة الخلافة بحجة انه أحال الامر من بعده إلى شورى تتضمن ستة أعضاء، وقد عين هؤلاء الأعضاء، وكذا كيفية
انتخابهم.
اما معاوية فقد استعمل الشدة في صلح الإمام الحسن (ع)، واستتب له الأمر، وبعدها صارت الخلافة وراثية، وتغيرت الشعائر الدينية، من جهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإقامة الحدود وغيرها. كل هذه قد زالت عن المجتمع الاسلامي، فأضحت جهود
الشارع هباء ١.

---

(١) فيما يتعلق بموضوع الإمامة وخلافة النبي (ص) والحكومة الاسلامية، تراجع المصادر التالية: تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٢٦ - ٦١ / السيرة لابن هشام ج ٢: ٢٢٣ - ٢٧١.
تاريخ أبي الفداء ج ١: ١٢٦ / غاية المرام صفحة ٦٦٤ نقلا عن مسند أحمد وغيرها.

اما الشيعة فقد حصلت على هذه النتيجة خلال البحث والدراسة في الدرك الفطري للانسان،
والسيرة المستمرة للعقلاء، وبالتعمق والفحص في الأسس الأساسية للشريعة الاسلامية التي مرامها احياء هذه الفطرة الانسانية، وبالتأمل في الحياة الاجتماعية التي كان ينهجها النبي (ص) وكذا بدراسته الحوادث المؤسفة التي حدثت بعد وفاته، والتي عانت
الأمة الاسلامية منها عناء بالغا، ودراسة وضع الحكومات الاسلامية في القرن الأول، وما لازمها من قصور عن أداء وظائفهم، تصل إلى هذه النتيجة.
ان هناك نصوصا كافية قد صرحت من قبل النبي (ص) في خصوص تعيين امام وخليفة من بعده،
وان الآيات والأخبار المتواترة القطعية تشير إلى هذا المعنى، كآية الولاية وحديث غدير خم ١ وحديث السفينة وحديث الثقلين،

---

(١) ويستدل بآيات من الذكر الحكيم لاثبات خلافة علي بن أبي طالب (ع) منها الآية: انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون الآية ٥٥ من سورة المائدة.
اتفق المفسرون شيعة وسنة، ان الآية المذكورة، نزلت في شأن علي بن أبي طالب (ع)، وتؤيد ذلك المزيد من الروايات عن طريق العامة والخاصة.
ومما ينقل عن أبي ذر الغفاري انه قال: (صليت مع رسول الله (ص) يوما من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله (ص) فلم يعطني أحد شيئا، وكان علي راكعا وأومى إليه بخنصره اليمنى، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي (ص) فلما فرغ من صلاته، رفع رأسه إلى السماء وقال:
اللهم، سألك موسى، فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري.
فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: سنشد عضدك بأخيك، ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا.
اللهم وانا محمد نبيك وصفيك، اللهم واشرح لي صدري، ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا، اشدد به ظهري.
قال أبو ذر: فما است س لاج () الكلمة، حتى نزل عليه جبرئيل (ع) من عند الله تعالى، فقال: يا محمد اقرأ، قال النبي (ص) وما اقرأ؟ قال جبرئيل (ع) اقرأ: انما وليكم الله ورسوله والذين

آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.
ومن الآيات التي يستدل بها على خلافة علي بن أبي طالب (ع) هي الآية: اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون.
والآية: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا. الآية ٦ من سورة المائدة.
فظاهر الآية يدل على أن الكفار كانوا يأملون في انتهاء الدعوة الاسلامية وزوال معالمها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد أبدل أمنياتهم، إلى يأس بالآية المذكورة، لقد أكمل دينه وقوم بنيانه، وربما لم يكن الأمر هذا من الأحكام الجزئية في الاسلام، بل أمر ينطوي على أهمية خاصة، يعتمد عليه بقاء الاسلام واستمراره.
لعل ظاهر الآية هذه يرتبط بالآية الأخيرة من السورة ذاتها، (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). الآية ٧٢ من
سورة المائدة.
تدل هذه الآية على أن هناك أمرا خطيرا، أنذر به الرسول الأعظم (ص) لابد من تحققه، فإذا ما أهمل فيه، فان رسالة الاسلام وأهدافه ستتعرض للخطر، والأمر بما ينطوي عليه من أهمية خاصة، فان الرسول (ص) كان يخشى المعارضة من قبل المخالفين، وكان ينتظر
الفرصة المناسبة لبيانه واظهاره، لذا كان يؤجل اعلان الامر للأمة الاسلامية، حتى نزل الوحي من السماء، يطلب فيها رب العالمين من الرسول الكريم (ص) ان يبادر في اعلانه دون تأمل وتهاون، والا يخشى أحدا سوى الله جل وعلا.
فالموضوع هذا لم يكن من نسخ الاحكام، لأن عدم تبليغ الأحكام الاسلامية أو اعلان ثلة
منه، لا يعني تزلزل الكيان الاسلامي بأسره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان النبي الأكرم (ص) كان يخشى من تبيان الأحكام الاسلامية للأمة الاسلامية.
فهذه الشواهد والقرائن، تؤيد الاخبار ان الآيات التي ذكرت، قد نزلت في غدير خم، في
شأن علي بن أبي طالب (ع) وأيده الكثير من المفسرين من إخواننا أهل السنة.
ومما يروى عن أبي سعيد الخدري انه قال: ان رسول الله (ص) دعا الناس إلى علي (ع) في
غدير خم، فأخذ بضبعيه فرفعهما، حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله (ص) ثم لم
يفترقوا حتى نزلت هذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الاسلام دينا، فقال رسول الله (ص): الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) غاية المرام البحراني صفحة
٣٣٦.
وقد ذكرت ستة أحاديث عن طرق العامة، وخمسة عشر حديثا عن طرق الخاصة في شأن نزول

الآية المذكورة. وصفوة القول، ان أعداء الاسلام الذين طالما حاولوا الإطاحة بالاسلام وقيمه، وتناولوا شتى الوسائل لهذا الغرض، باءت محاولاتهم هذه بالفشل، وقد
خيم اليأس عليهم، فأصبحوا متربصين للأمر، وبعد وفاة الرسول (ص) الذي كان يعتبر حافظا للاسلام وحارسا له، وبوفاته يتزلزل قوام الاسلام، وتنهدم أركانه. الا ان هذه الأمنيات، فندت في يوم غدير خم، إذ أعلن نبي الاسلام ان عليا خليفته ووصيه الذي سيستخلفه للحفاظ على كيان الاسلام فعرفه للأمة، وبعد علي، أنيطت هذه المسؤولية
الخطيرة لآل علي. ولمزيد من الاطلاع يراجع تفسير الميزان، الجزء الخامس صفحة ١٧٧ -
٢١٤ والجزء السادس صفحة ٥٠ - ٦٤، من مصنفات مؤلف هذا الكتاب.
حديث الغدير: عند عودة الرسول (ص) من حجة الوداع، مكث في مكان يدعى (غدير خم). فأمر
ان يجمع المسلمون العائدون من الحج، فاجتمعوا، فخطب فيهم، ونصب عليا قائدا للأمة
الاسلامية من بعده، فأعطاه الولاية، وجعله خليفة للمسلمين من بعده.
عن البراء، قال: كنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع، فلما أتينا على غدير خم، كشح
لرسول الله (ص) تحت شجرتين ونودي في الناس، الصلاة جامعة، ودعا رسول الله (ص)
عليا، وأخذ بيده فأقامه عن يمينه، فقال: ألست أولى بكل امرئ من نفسه، قالوا: بلى، قال: فان هذا مولى من انا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر بن الخطاب، فقال: هنيئا لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.
البداية والنهاية ج ٥: ٢٠٨ و ج ٧: ٣٤٦ - ذخائر العقبى للطبري طبع القاهرة ١٣٥٦ صفحة
٦٧ - الفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢: ٢٣ وقد جاء هذا الحديث في كل من الخصائص
للنسائي طبع النجف ١٣٦٩ صفحة ٣١ - وغاية المرام للبحراني صفحة ٧٩، عن ٨٩ طريقا من
العامة، و ٤٣ طريقا من الخاصة.
حديث السفينة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ص) مثل أهل بيتي
كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها غرق. ذخائر العقبى

صفحة ٢٠ – الصواعق المحرقة لابن حجر طبع القاهرة صفحة ٨٤ و ١٥٠ – تاريخ الخلفاء
للسيوطي صفحة ٣٠٧ – كتاب نور الابصار للشبلنجي طبع مصر صفحة ١١٤ – غاية المرام
للبحراني صفحة ٢٣٧ – وقد جاء الحديث المذكور في هذه الكتب، بأحد عشر طريقا من
العامة، وسبعة طرق من الخاصة.
حديث الثقلين: عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ص): كأني قد دعيت فأجبت، اني قد
تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. البداية والنهاية ج ٥: ٢٠٩ – ذخائر العقبى صفحة ١٦ –
الفصول المهمة صفحة ٢٢ – الخصائص صفحة ٣٠ – الصواعق المحرقة صفحة ١٤٧ – وقد نقل هذا
الحديث في غاية المرام عن العامة والخاصة، ٣٩ طريقا عن العامة، و ٨٢ طريقا عن الخاصة.
وحديث الثقلين هذا يعتبر من الأحاديث القطعية، وروي بأسانيد كثيرة وبعبارات مختلفة
وأنه متفق على صحته، سنة وشيعة، ويستفاد من الحديث المذكور ونظائره، أمور منها:
١) لو بقي القرآن بين الناس حتى قيام الساعة، فالعترة باقية أيضا، أي لا يخلو زمن من وجود امام وقائد حقيقي للأمة.
٢) لقد قدم النبي (ص) عن طريق هاتين الأمانتين كل ما يحتاج إليه المسلمون من الناحية العلمية والدينية، وعرف أهل بيته مرجعا علميا ودينيا للأمة الاسلامية، وأيد أقوالهم وأعمالهم تأييدا مطلقا.
٣) لا يفترق القرآن عن أهل البيت، ولا يحق لمسلم ان يبتعد عنهم، تاركا نهجهم وارشادهم.
٤) لو أطاع الناس أهل البيت، وتمسكوا بأقوالهم، لن يضلوا، وسوف يكون الحق حليفا
لهم.
٥) كل ما يحتاج إليه الناس من علوم ومسائل دينية، فهي موجودة لدى أهل البيت، وكل من
يتابع طريقهم، لن يضل ولن يهلك، وينال السعادة الحقيقية، أي ان أهل البيت مصونون

من
الاشتباه والخطأ، وبهذه القرينة، يتضح ان المراد من أهل البيت والعترة، ليس كل أقرباء النبي (ص) وأولاده، بل المراد عدة معدودة منهم، وهم الذين قد نالوا المقام الأسمى من العلوم الدينية، ولم يعترهم الخطأ والنسيان، كي تتوفر لديهم صلاحية القيادة للأمة، وهم علي بن أبي طالب والأحد عشر من ولده، فان مقام الإمامة لهم، الواحد بعد الآخر، كما تشير الروايات إلى هذا المعنى.

وحديث الحق وحديث المنزلة وحديث دعوة العشيرة الأقربين وغيرها، ولكن المراد من
الآيات والأحاديث الآنفة الذكر قد أول وحرف لأسباب ودواع.
٣. تأييد للأقوال السابقة
كانت أخريات أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتي قد مرض فيها، وهناك جمع من
الصحابة قد حضروا عنده، فقال النبي (ص):
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا.

قال بعضهم، ان رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف الحضور بالبيت واختصموا، فمنهم من يقول، قربوا يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله (ص): قوموا ١.

مع ما تقدم من البحث، ومع الالتفات إلى أن الذين مانعوا من تدوين كلمة الرسول العظيم (ص)، هم أنفسهم قد حظوا في اليوم التالي بالخلافة الانتخابية، وكان الانتخاب دون علم علي (ع) وأصحابه، فجعلوهم امام أمر واقع، وهل هناك شك في أن النبي (ص) كان

يريد تعيين علي، ليجعله خليفة له من بعده.

وما كان الهدف من المعارضة الا جعل المحيط مضطربا. يقضي بانصراف النبي (ص) عن

الأمر، ولم يكن الغرض اتصاف النبي بالهذيان، وغلبة المرض عليه، وذلك لأسباب:

أولا: فضلا من أن النبي (ص) طوال فترة مرضه، لم يسمع منه كلام لا يليق بمقامه، ولم ينقل أحد هذا المعنى، فإنه لا يحق لمسلم وفقا للموازين الدينية ان ينسب إلى النبي (ص) الهذيان والكلام العبث، علما بأنه (ص) مصون ومعصوم من قبل الله تعالى.

ثانيا: لو كان المراد من الكلام، المعنى الحقيقي له، فلا حاجة إلى ذكر العبارة التي تلتها، كفانا كتاب الله إذ لو كان المراد نسبة الهذيان إلى النبي (ص)، لكفى ذكر مرضه، لا أن يؤيد القرآن، وينفي قول الرسول (ص)، وهذا الامر لا يخفى على رجل

صحابي، من أن القرآن الكريم قد فرض على الأمة الاسلامية اتباع النبي (ص)، وانه مفروض الطاعة، وكلامه عدل للقرآن. والناس ليس لهم أي اجتهاد أو اختيار امام حكم الله ورسوله.

---

(١) البداية والنهاية ج ٥: ٢٢٧ - شرح ابن أبي الحديد ج ١: ١٣٣ - الكامل في التاريخ ج ٢: ٢١٧ - تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٢: ٤٣٦.

ثالثا: ان ما حدث في مرض الرسول (ص)، قد حدث أيضا في مرض الخليفة الأول، عندما
كان يوصي إلى الخليفة الثاني من بعده، وعثمان حاضر يحرر ما يملي عليه الخليفة الأول، إذ أغمي على الخليفة، والخليفة الثاني لم يعترض عليه كما اعترض على النبي (ص) ١.
وفضلا عن هذا كله، فان الخليفة الثاني قد اعترف في حديث له لابن عباس قائلا ٢: انني أدركت ان النبي (ص) يريد ان يوصي لعلي، الا ان مصلحة المسلمين كانت تستدعي
ذلك، ويقول أيضا، ان الخلافة كانت لعلي، ٣ فإذا ما كانت الخلافة صائرة إليه، لفرض على الناس اتباع الحق، ولم ترضخ قريش لهذا الأمر، فرأيت من المصلحة الا ينالها. ونحيته عنها.
علما بان الموازين الدينية تصرح ان المتخلف عن الحق يجب ان يعود إليه، لا ان يترك الحق لصالح المتخلف.
ومما تتناقله كتب التاريخ، ان الخليفة الأول أمر بمحاربة القبائل المسلمة التي امتنعت من اعطاء الزكاة، قال: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ص) لأقاتلنهم على منعه ٤.
والمراد من هذا القول، هو ان إقامة الحق وإحيائه واجب مهما بلغ الثمن، وبديهي ان موضوع الخلافة حق أيضا الا أنه أغلى من العقال وأثمن.

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢: ٢٩٢.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٢: ١٣٤.
(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢: ١٣٧.
(٤) البداية والنهاية ج ٦: ٣١١.

٤. الإمامة في العلوم التشريعية

أشرنا في الفصول المتقدمة، في معرفة النبي الرسول وقلنا، وفقا للقانون الثابت والضروري للهداية العامة، ان أي نوع من أنواع الكائنات

يسير نحو الكمال والسعادة المناسبة له وذلك عن طريق الفطرة والتكوين.
والانسان أيضا أحد أنواع هذه الكائنات لا يستثنى من القانون العام. ويجب ان يرشد إلى طريق خاص في حياته، تضمن له سعادته في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق الغريزة
المتصفة بالنظرة الواقعية للحياة، والتأمل في حياته الاجتماعية، وبعبارة أخرى، يجب ان يدرك مجموعة من معتقدات وظائف عملية، كي يجعلها أساسا له في حياته ليصل بها
إلى السعادة والكمال المنشود، وقلنا ان المنهاج للحياة وهو ما يسمى بالدين لا يتأتى عن طريق العقل، بل هو طريق آخر يدعى الوحي والنبوة، والتي تظهر في بعض من أولياء
الله الصالحين وهم الأنبياء، ورسل السماء.
فالأنبياء قد أنيطت بهم مسؤولية هداية الناس، عن طريق الوحي من الله تعالى فإذا ما التزموا بتلك الأوامر والنواهي، ضمنوا السعادة لهم.
يتضح ان هذا الدليل، فضلا عن أنه يثبت ولزوم مثل هذا الادراك بين أبناء البشر، يثبت أيضا، لزوم وضرورة وجود افراد حفظة على هذا البرنامج، وايصاله إلى الناس إذا اقتضت الضرورة ذلك.
وكذا يستلزم وجود اشخاص قد أدركوا الواجبات الانسانية، وذلك عن طريق الوحي، وهم
بدورهم ينهضون بتعليم المجتمع، كما يجب ان تبقى هذه الواجبات السماوية، ما دام الانسان حيا، وتعرض عليه عند الضرورة.
فالذي يتحمل عب ء هذه المسؤولية، يعتبر حاميا للدين الإلهي، ويعين من قبل الله تعالى، وهو من يسمى ب الامام كما يدعى حامل الوحي الإلهي، والشرائع السماوية ب النبي وهو من قبل الله تعالى أيضا.
يتفق ان تكون النبوة والإمامة في شخص واحد، وقد لا يتحقق ذلك، فكما ان الدليل المتقدم يثبت عصمة الأنبياء، يثبت عصمة الأئمة أيضا.
إذ تقتضي رحمة الله وعطفه ان يضع الدين الحقيقي غير المحرف في متناول أيدي البشر
دوما، ولا يتحقق هذا الأمر دون ان تكون هناك عصمة.

٥. الفرق بين النبي والامام
ان تسلم الأحكام والشرائع السماوية، والتي تتم بواسطة الأنبياء، انما يثبت لنا موضوع الوحي وهذا ما مر علينا في الفصل المتقدم، وليس فيه ما يؤيد استمراريته وبقاءه على خلاف الحافظ والحامي الذي يعتبر أمرا مستمرا، ومن هنا نصل إلى نتيجة ان ليس هناك ضرورة ان يكون نبي بين الناس بصورة مستمرة، لكن يستلزم ان يكون امام
بينهم، ويستحيل على مجتمع بشري ان يخلو من وجود امام سواء عرفوه أم لم يعرفوه، وقد
أشار الحكيم في كتابه: فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ١.
فكما أشرنا، يتفق ان تجتمع النبوة والإمامة في شخص واحد، فيمتاز بالمقامين النبوة والإمامة، (تسلم الشريعة والاحتفاظ بها والسعي في نشرها) وقد لا تجتمع في واحد، وهناك أدوار من الزمن خلت من وجود الأنبياء، الا ان هناك امام حق في كل عصر، ومن
البديهي ان عدد الأنبياء محدود، ولم يظهروا في جميع الأدوار التي مرت بها البشرية.
يشير الحكيم في كتابه المبين إلى بعض الأنبياء الذين امتازوا بصفة الإمامة أيضا، كما في إبراهيم (ع) إذ يقول: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ٢.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٩.
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤.

وكذا قوله تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ١.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧٣.

٦. الإمامة في باطن الأعمال

كما أن الامام قائد وزعيم للأمة بالنسبة للظاهر من الأعمال، فهو قائد وزعيم بالنسبة للباطن من الأعمال أيضا، فهو المسير والقائد للإنسانية من الناحية المعنوية نحو خالق الكون وموجده.

لكي تتضح هذه الحقيقة لابد من مراعاة المقدمتين التاليتين:

أولا: ليس هناك من شك أو تردد في أن الاسلام وسائر الأديان السماوية، تصرح بأن الطريق الوحيد لسعادة الانسان أو شقائه هو ما يقوم به من أعمال حسنة أو سيئة، فالدين يرشده، كما أن فطرته وهي الفطرة الإلهية تهديه إلى ادراك الحسن والقبيح. فالله سبحانه يبين هذه الأعمال عن طريق الوحي والنبوة، ووفقا لسعة فكرنا نحن البشر، وبلغة نفهمها ونعيها، بصورة الأمر والنهي والتحسين والتقبيح في قبال الطاعة أو التمرد والعصيان، يبشر الصالحين والمطيعين بحياة سعيدة خالدة، وقد احتوت على كل ما تصبو إليه البشرية من حيث الكمال والسعادة، وينذر المسيئين والظالمين بحياة شقية خالدة، وقد انطوت على البؤس والحرمان.

وليس هناك أدنى شك من أن الله تعالى يفوق تصورنا وما يجول في أذهاننا ولكنه لم يتصف بصفة البشر من حيث التفكير.

وليس لهذه الاتفاقية ان يكون هناك سيد ومسود وقائد ومقود، وامر ونهي وثواب وعقاب
واقع خارجي سوى في حياتنا الاجتماعية، اما الجهاز الإلهي فهو الجهاز الكوني الذي يربط حياة كل مخلوق وكائن بالله الخالق ربطا وثيقا.
ومما يستفاد من القرآن الكريم ١ وأقوال النبي العظيم (ص) الدين يشتمل على حقائق ومعارف تفوق فهمنا وادراكنا الاعتيادي، وان الله جل شأنه قد أنزلها إلينا بتعبير بسيط يلائم تفكيرنا، كي يتسنى لنا فهمها وادراكها.
يستنتج مما تقدم ان هناك ارتباطا بين الأعمال الحسنة والسيئة، من جهة والحياة الأخرى بما تمتاز به من خصائص وصفات من جهة أخرى ارتباطا واقعيا، تكشف عن سعادة
أو شقاء.
وبعبارة أوضح، ان كل عمل من الأعمال الحسنة والسيئة تولد في الانسان واقعية، والحياة الأخروية ترتبط بهذه الواقعية ارتباطا وثيقا.
ان الانسان في حياته يشبه الطفل، سواء أشعر بهذا الأمر أو لم يشعر، حيث تلازمه شؤون
تربوية، فهو يدرك ما يملي عليه مربيه بألفاظ الأمر والنهي، لكنه كلما تقدم في العمر استطاع ان يدرك ما قاله مربيه، فينال بذلك الحياة السعيدة، وما ذلك الا بما اتصف به من ملكات، وإذا ما رفض وعصى معلمه الذي كان يسعى له بالصلاح، نجد حياته مليئة بالمآسي والآلام.
فالانسان يشبه المريض الذي دأب على تطبيق أوامر الطبيب في الدواء والغذاء، أو رياضة
خاصة، فهو لم يبال الا بما أملاه عليه طبيبه، فعندئذ يجد الراحة والصحة، ويحس بتحسن
صحته.

---

(١) والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم سورة الزخرف الآية ٤.

وصفوة القول، ان الانسان يتصف بحياة باطنية غير الحياة الظاهرية التي يعيشها، والتي تنبع من أعماله، وترتبط حياته الأخروية بهذه الأعمال والأفعال التي يمارسها في حياته هنا.

ان القرآن الكريم يثبت هذا البيان العقلي، ويثبت في الكثير من آياته ١ بان هناك حياة أسمى وروحا أرفع من هذه الحياة للصالحين والمؤمنين، ويؤكد على أن نتائج الأعمال الباطنية تلازم الانسان دوما، والنبي العظيم قد أشار إلى هذا المعنى أيضا في الكثير من أقواله ٢.

---

(١) مثل هذه الآية: وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد سورة ق الآية ٢١.

والآية: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة سورة النحل الآية ٩٧.

استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم سورة الأنفال، الآية ٣٤.

وفي سورة آل عمران الآية ٣٠: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء.

والآية: انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في امام مبين سورة يس الآية ١٢.

٢) على سبيل المثال: يقول تعالى في حديث المعراج لنبيه (ص): فمن عمل برضائي أمنحه ثلاث خصال: أعرضه شكرا لا يخالطه الجهل وذكرا لا يخالطه النسيان ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين، فإذا أحبني، أحببته وافتح عين قلبه إلى جلالي ولا أخفي عليه خاصة خلقي وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي وألبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق ويمشي على الأرض مغفورا له واجعل قلبه واعيا وبصيرا ولا أخفي عليه شيئا من جنة ولا نار وأعرفه ما يمر على الناس في القيامة من الهول والشدة.

بحار الأنوار ج ١٧: ٩.

عن أبي عبد الله (ص) قال: استقبل رسول الله (ص) حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقا. فقال له رسول الله، لكل شئ حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري فكأني انظر إلى عرش ربي وقد وضع الحساب وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة

ثانيا: كثيرا ما يحدث ان يرشد شخص أحدا بعمل حسن دون ان يلتزم هو بذلك العمل. في
حين ان الأنبياء والأئمة الأطهار ترتبط هدايتهم للبشر بالله جل وعلا، ويستحيل ان يشاهد عندهم هذه الحالة، وهو عدم الالتزام بالقول أو العمل به، فهم العاملون بمبادئ الدين الذي هم قادته وأئمته، وانهم متصفون بروح معنوية سامية، يرشدون بها الناس، ويهدونهم إلى الطريق القويم.
فلو أراد الله سبحانه ان يجعل هداية أمة على يد فرد من افرادها، ان يربي ذلك الفرد تربية صالحة تؤهله للقيادة والإمامة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.
مما تقدم نستطيع ان نحصل على النتائج التالية:
١) – ان النبي أو الامام لكل أمة، يمتاز بسمو روحي وحياة معنوية رفيعة، وهو يروم هداية الناس إلى هذه الحياة.
٢) – بما أنهم قادة وأئمة لجميع أفراد ذلك المجتمع، فهم أفضل من سواهم.
٣) – ان الذي يصبح قائدا للأمة بأمر من الله تعالى، فهو قائد للحياة الظاهرية والحياة المعنوية معا، وما يتعلق بهما من أعمال، تسير مع سيره ونهجه ١.

وكأني اسمع عواء أهل النار في النار، فقال رسول الله عبد نور الله قلبه الوافي الجزء الثالث صفحة ٣٣.
(١) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات سورة الأنبياء الآية ٧٣.
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا سورة السجدة الآية ٢٤.
ويستفاد من الآيات المتقدمة وما شابهها، ان الامام فضلا عن الارشاد والهداية الظاهرية يختص بنوع من الهداية المعنوية، ويعتبر من سنخ عالم الأمر والتجرد، فهو بواسطة الحقيقة والنور الباطني الذي يتصف به، يستطيع ان يؤثر في القلوب المهيأة، وان يتصرف بها كيفما شاء، وبسيرها نحو مراتب الكمال والغاية المتوخاة. فتأمل.

٧. أئمة الاسلام وقادته

ومما تقدم يستنتج ان بعد وفاة الرسول العظيم (ص) ما زال ولا يزال امام معين من قبل الله تعالى في الأمة الاسلامية.

وهناك مزيد من الأحاديث النبوية ١ في وصف الأئمة وعددهم، وانهم من قريش ومن أهل بيته

صلى الله عليه وآله وسلم، وان منهم الإمام المهدي وهو آخرهم.

وهناك نصوص صريحة ٢ أيضا من الرسول الكريم (ص) في امامة علي (ع)، وانه الامام الأول

وهكذا روايات وأحاديث أخرى عنه (ص) وعن

---

(١) على سبيل المثال عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله يقول: لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثني عشر خليفة، قال: فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفية. قلت لأبي: يا أبه، ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش صحيح أبي داود ج ٢: ٢٠٧، مسند أحمد ج ٥: ٩٢ وأحاديث أخرى بهذا المضمون.

عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي (ص) فإذا الحسين على فخذيه وهو ويقبل عينه ويقبل فاه ويقول: أنت سيد ابن سيد، وأنت امام ابن امام، وأنت حجة ابن حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم. ينابيع المودة الطبعة السابعة صفحة ٣٠٨.

٢) يراجع كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني، وكتاب غاية المرام تأليف السيد هاشم البحراني، وكتاب الهداة تأليف محمد بن حسن الحر العاملي وكتاب ذخائر العقبى تأليف محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري. وكتاب المناقب للخوارزمي. وكتاب تذكرة الخواص لابن الجوزي. وكتاب ينابيع المودة لسليمان بن إبراهيم الحنفي. وكتاب الفصول المهمة لابن الصباغ وكتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري. وكتاب النص والاجتهاد لشرف الدين الموسوي. وكتاب أصول الكافي الجزء الأول لمؤلفه محمد بن يعقوب الكليني. وكتاب الارشاد للشيخ المفيد.

الإمام علي (ع) بشأن الامام الثاني، وهكذا كل امام ينبئ بالامام الذي يليه ويأتي بعده.

وبمقتضى هذه النصوص، فأن أئمة الاسلام اثنا عشر بالترتيب التالي:

١ - علي بن أبي طالب.
٢ - الحسن بن علي.
٣ - الحسين بن علي.
٤ - علي بن الحسين.
٥ - محمد بن علي.
٦ - جعفر بن محمد.
٧ - موسى بن جعفر.
٨ - علي بن موسى.
٩ - محمد بن علي.
١٠ - علي بن محمد.
١١ - الحسن بن علي.
١٢ - المهدي. (عليهم السلام أجمعين)

٨. موجز عن حياة الأئمة الاثني عشر.. الامام الأول

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأبو طالب شيخ بني هاشم وعم النبي الأكرم (ص)، وقد
ربى محمدا في حجره، وبعد ان بعث بالرسالة، كان مدافعا عنه، يصونه من شر المشركين
وخاصة قريش.

ولد علي – على أشهر الروايات – قبل البعثة النبوية بعشر سنوات، وعندما أصاب مكة وأطرافها الجدب، كان عمره آنذاك ست سنوات، فاقترح النبي (ص) ان ينتقل من بيت أبيه
أبي طالب إلى بيت ابن عمه الرسول العظيم، ليصبح في كنف مرسل السماء وتحت رعايته ١.
نال محمد بعد سنوات عدة مقام النبوة، وقد أوحي إليه لأول مرة وهو في غار حراء فرجع إلى بيته، وأخبر عليا بما جرى عليه، فآمن علي به ٢.
وقد دعا النبي (ص) عشيرته الأقربين إلى دينه الجديد، قائلا: من يؤازرني على هذا الأمر، يكن وصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي.
فلم يستجب أحد لهذه الدعوة الا علي، حيث قام وقال: انا يا رسول الله، فقبل الرسول (ص) ايمانه، وأقر بما وعده إياه، ٣ فهو أول من أسلم وقبل الاسلام من الرجال وآمن به،
وهو لم يعبد الا الله سبحانه.
كان علي يرافق النبي (ص) دوما، إلى أن هاجر من مكة إلى المدينة، وفي ليلة الهجرة، عندما حوصر بيت النبي (ص) وكانوا قد جهزوا الحملة للهجوم على بيت النبوة والرسالة،
وقتل النبي (ص) في فراشه، استقر علي في فراش الرسول، وخرج الرسول مهاجرا إلى يثرب ٤، فرد علي الأمانات إلى أهلها حسب ما أوصى به النبي (ص) وتوجه إلى يثرب مع
أمه، وزوجتي الرسول مع ابنته ٥.
كان علي بن أبي طالب ملازما للرسول الأكرم (ص) لا يفارقه، وزوجه

---

(١) الفصول المهمة الطبعة الثانية صفحة ١٤ / المناقب للخوارزمي صفحة ١٧.
(٢) ذخائر العقبى طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ صفحة ٥٨ / المناقب للخوارزمي طبعة النجف سنة ١٣٨٥، صفحة ١٦ – ٢٢ / ينابيع المودة الطبعة السابعة.
(٣) الارشاد للشيخ المفيد طبع طهران ١٣٧٧ صفحة ٤ / ينابيع المودة ص ١٢٢.
(٤) الفصول المهمة صفحة ٢٨ – ٣٠ / تذكرة الخواص طبع النجف ١٣٨٣ صفحة ٣٤ / ينابيع المودة ص ١٠٥ / المناقب للخوارزمي ص ٧٣ – ٧٤.
(٥) الفصول المهمة صفحة ٣٤.

النبي (ص) ابنته فاطمة سلام الله عليها.
لما أقام النبي عقد الأخوة وأنشأها بين أصحابه، جعل عليا أخا له ١.
كان علي (ع) يحضر جميع غزوات النبي (ص) عدا غزوة تبوك، إذ استخلفه الرسول في
المدينة ٢، فلم يتراجع في جميع تلك الغزوات من مواجهة الخصم، ولم يخالف النبي (ص) في
أمر. وقد قال النبي (ص) في حقه عليه السلام: علي مع الحق والحق مع علي ٣.
كان عمره الشريف يوم توفي الرسول العظيم ثلاثا وثلاثين سنة، فنحي عن منصب الخلافة، علما بأنه كان منارا لجميع المثل الانسانية، يمتاز على أقرانه وصحابة الرسول (ص).
وقد تمسك المخالفون بأعذار منها، انه شاب لا تجربة له في الحياة، وانه قد قتل صناديد العرب عند محاربة الكفار وهو في ركاب الرسول الأعظم (ص)، فاستطاعوا بهذه
الحجج الواهية ان يجعلوه بمنأى وبمعزل عن الخلافة، وقيادة شؤون المسلمين العامة، فانعزل عن المجتمع، وأصبح جليس داره، وشرع بتربية الخاصة من أصحابه، وبعد مضي خمس
وعشرين سنة، وهي الفترة التي حكم فيها الخلفاء الثلاثة بعد الرسول (ص)، وبعد مقتل الخليفة الثالث، اتجهت الأمة الاسلامية إلى علي (ع) وبايعوه بالخلافة.
كان علي (ع) طوال حكومته والتي لم تدم أكثر من أربع سنوات وتسعة أشهر يسير على نهج
الرسول (ص) واتصفت خلافته بلون من الثورية إذ قام

---

(١) الفصول المهمة صفحة ٢٠ / تذكرة الخواص صفحة ٢٠ - ٢٤ / ينابيع المودة ص ٦٣ - ٦٥.
(٢) تذكرة الخواص صفحة ١٨ / الفصول المهمة صفحة ٢١ / المناقب للخوارزمي صفحة ٧٤.
(٣) مناقب آل أبي طالب تأليف محمد بن علي بن شهرآشوب طبع قم ج ٣: ٦٢، ٢١٨.
غاية المرام صفحة ٥٣٩ / ينابيع المودة صفحة ١٠٤.

باصلاحات أدت بالاضرار إلى بعض المنتفعين، فنجد أعلام المعارضة ترتفع، وسيوف المعارضين تشهر، يتقدمهم طلحة والزبير ومعاوية وعائشة فجعلوا مقتل عثمان ذريعة لنواياهم السيئة، فقاموا بأعمال مضللة.

والأمام علي (ع) استعد للحرب للقضاء على هذه الفتنة، وقد جهزت أم المؤمنين جيشا وكان طلحة والزبير خير من يعينها وينهض معها بالأمر. وقع القتال بين الطرفين على مقربة من البصرة، اشتهرت الواقعة بحرب الجمل.

وقام الامام أيضا بحرب مع معاوية في الحدود العراقية الشامية، عرفت بحرب صفين، واستغرقت سنة ونصف السنة، وشغل بحرب مع الخوارج في النهروان، اشتهرت بحرب النهروان.

ويمكن القول بأن معظم تلك الفترة التي حكم فيها الإمام علي (ع) قد صرفت لرفع الاختلافات الداخلية، وبعدها أصيب بضربة على يد أحد الخوارج في مسجد الكوفة، وذلك

صبيحة يوم التاسع عشر من رمضان المبارك لسنة ٤٠ للهجرة، واستشهد يوم الواحد والعشرين من الشهر نفسه ١.

والتأريخ يشهد ان عليا أمير المؤمنين (ع) لم تكن تنقصه صفة من الكمالات الانسانية، ويؤيد هذا الادعاء كل عدو وصديق، فكان مثلا رائعا في الفضائل والمثل الاسلامية، ونموذجا حيا كاملا لتربية الرسول (ص).

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا ان الكتب التي تناولت هذه الشخصية الفذة سواء لدى الشيعة أو السنة وغيرهم من المحققين، لم تتناول أية شخصية أخرى بهذا القدر في الحياة البشرية.

كان علي – عليه السلام –، أعلم الصحابة، بل أعلم المسلمين، وهو أول من فتح باب الاستدلال الحر في المسائل العلمية، واستعان بالبحوث

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣: ٣١٢ / الفصول المهمة ص ١١٣. تذكرة الخواص ص ١٧٢ – ١٨٣.

الفلسفية في المعارف الإلهية، وتكلم عن باطن القرآن، ووضع قواعد اللغة العربية حفاظا على ألفاظ القرآن الحكيم، وكان أفصح العرب بيانا، وأبلغهم خطابا (كما أشرنا في الفصل الأول من الكتاب) وكان يضرب به المثل في شجاعته، ولم يدع للقلق أو
الخوف طريقا إلى قلبه، في كل الغزوات والحروب التي مارسها واشترك فيها.
والتاريخ الاسلامي لا يزال يحمل في طياته خبر الصحابة والمقاتلين في الغزوات، وقد انتابهم الفزع والخوف، وقد تكررت هذه الحالة في أكثر من واقعة، كحرب حنين و خيبر والخندق. إذ انهزم الجيش امام الأعداء، ولكن الامام كان يتصدى لحملات العدو، ولم يسلم كل من نازل الامام من أبطال العرب ومحاربيهم، فكان على العاجز عطوفا، يترك قتله، ولم يعقب على الفار من ساحة الحرب، ولم يغافل العدو ساعة الهجوم
عليه، ولم يقطع الماء على الأعداء.
ومما اتفقت عليه كتب التأريخ انه عليه السلام، في معركة خيبر، تناول حلقة الباب، واقتلع الباب وهزه هزة ثم رمى به جانبا ١.
ومما ينقل أيضا، يوم فتح مكة، عندما أمر الرسول العظيم تحطيم الأصنام، كان هناك صنم يدعى (هبل) أكبر الأصنام وزنا، وأشدها ضخامة، كان قد وضع فوق الكعبة، صعد علي
على أكتاف النبي (ص) بأمر منه، ورمى ب هبل إلى الأرض ٢.
لم يكن له ند في تقواه وعبادته، وكان الرسول (ص) يرد على الذين يحاولون النيل منه بقوله (ص): لا تسبوا عليا فإنه ممسوس في ذات الله ٣.
وذات يوم، رأى الصحابي الجليل أبو الدرداء عليا (ع) في إحدى

---

(١) تذكرة الخواص صفحة ٢٧.
(٢) تذكرة الخواص ٢٧ / المناقب للخوارزمي ٧١.
(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج ٣: ٢٢١.

ضيعات المدينة فظن أنه ميت لما رأى من عدم الحركة وسكون الجسم، فرجع مسرعا إلى دار
فاطمة، أنبأها بالحدث، وعزاها بوفاة زوجها، فأجابته فاطمة (ع) انه لم يمت، بل إنه مغشى عليه من شدة خوفه من الله سبحانه في عبادته وطاعته، وما أكثر ما كانت تنتابه هذه الحالة.
وما أكثر القصص والروايات التي تشير إلى رأفته وعطفه بالفقراء والمساكين والمستضعفين، فكان ينفق مما يحصل على المحتاجين في سبيل الله تعالى، وهو يعيش عيشه
خشنة.
كان يرغب في الزراعة، وغالبا ما كان يهتم بحفر الآبار، وعمران الأراضي الموات بتشجيرها، وكان يجعلها وقفا للفقراء والبائسين.
فكانت تطلق على هذه الموقوفات، (صدقات علي) وكانت لها عوائد جمة، وكانت تقدر هذه
الموقوفات ب أربعة وعشرين رطلا ذهبا في السنوات الأخيرة من عهده عليه السلام ١.

---

(١) نهج البلاغة الجزء الثالث الكتاب ٢٤.
الامام الثاني
الإمام الحسن المجتبى وأخوه الحسين عليهما السلام، ولدا أمير المؤمنين علي (ع) من فاطمة الزهراء سلام الله عليها، بنت الرسول الكريم (ص).
وقد قال النبي (ص) مرارا ان الحسن والحسين ولداي، واحتراما لهذا القول كان علي (ع) يقول لولده، أنتم أولادي، والحسن والحسين ولدا رسول الله (ص) ٢.
ولد الحسن (ع) في المدينة السنة الثالثة من الهجرة، عاصر جده
(٢) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٢١، ٢٥ / ذخائر العقبى صفحة ٦٧، ١٢١.

الرسول (ص) مدة تزيد على سبع سنوات، كان يتمتع برعاية جده وعطوفته، وقد توفيت أمه
فاطمة سيدة النساء بعد وفاة جده، بثلاثة أو ستة أشهر، فتعهد والده بتربيته.
وبعد استشهاد أبيه علي (ع) نال مقام الإمامة الشامخ، وما ذلك الا بأمر من الله العلي العليم، وعملا بوصية الإمام علي (ع)، فاحتل مقام الخلافة ظاهرا، وعمل في إدارة المسلمين، طوال ستة أشهر.
جهز معاوية الجيش لمحاربة الحسن، بعد أن قضى فترة في الحرب مع أبيه الإمام علي (ع)،
وكان من ألد أعداء آل علي بعد استشهاد الإمام علي، (فحارب بحجة الثأر بدم عثمان ابتداء وبعد ذلك صرح بالخلافة)، وجه الجيش إلى الكوفة، حيث مقر الخلافة للإمام الحسن
(ع)، واستطاع ان يكسب قواد الامام بالتطميع بالمال، أو الوعد بالمقام والجاه، فأغوى بهذا عددا من رؤساء وقواد الجيش، تاركين خلفهم امامهم، متجهين نحو معاوية
وثرواته.
وفي نهاية الأمر أجبر الإمام الحسن (ع) على الصلح ١، وأحال الخلافة الظاهرية بالشروط
التي اشترطها إلى معاوية، منها ان تكون الخلافة للحسن بعد وفاة معاوية، وان يصان شيعته وعشيرته من أي تعرض أو اعتداء وبهذا استطاع معاوية أن يأخذ بزمام الأمور، ثم دخل العراق، وأعلن إلغاءه لشروط الصلح التي أبرمها بالأمس مع الإمام الحسن، وذلك في
اجتماع عام للمسلمين، وأباح أقسى أنواع الاضطهاد والشدة لأهل بيت النبي (ص) والشيعة
خاصة.
عاش الإمام الحسن طوال مدة إمامته (عشر سنوات) حياة ملؤها الشدة

---

(١) ارشاد المفيد ١٧٢ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ١٣٣. الإمامة والسياسة تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة ج ١: ١٦٣ الفصول المهمة ١٤٥ / تذكرة الخواص ١٩٧.

والاختناق، ولم يكن بمأمن حتى في بيته مع عائلته وأهل بيته، فاستشهد على يد زوجته إذ دست إليه السم بايعاز من معاوية، وذلك سنة ٥٠ للهجرة النبوية.
كان الحسن مثالا فذا لجده (ص) ونموذجا كاملا للخلق الأبية لأبيه، فكان وأخوه الحسين ملازمين للنبي (ص)، وكان يحملهما على كتفه أحيانا.
ومما يروى عن العامة والخاصة، ان الرسول الأكرم (ص) قال: الحسن والحسين إمامان قاما
أو قعدا، (إشارة إلى تصدي الخلافة أو التخلي عنها) والروايات عن الرسول (ص) وعلي (ع) متوافرة بامامة الحسن بعد أبيه عليهما السلام.
الامام الثالث
الإمام الحسين (سيد الشهداء) ثاني ولد علي (ع) من فاطمة بنت النبي الكريم (ص).
ولد في السنة الرابعة الهجرية، وبعد استشهاد أخيه الحسن المجتبى، وصلت إليه الإمامة بأمر من الله جل شأنه، ووفقا للوصية ١.
تعتبر مدة امامة الإمام الحسين (ع) عشر سنوات، عاشها مضطهدا، سوى الستة أشهر الأخيرة من عهد معاوية، فأعطت الشعائر الدينية محلها إلى ما كانت تتمناه الحكومات من ظلم وجور وفسق وفجور، خلافا لما يريده الله ورسوله. ومعاوية قد استخدم شتى الطرق والوسائل لتصفية أهل البيت، وكان يستعين بأعوان وأنصار له في تحقق هذا الأمر،
فحاول طمس اسم علي وآل علي. ومهد السبل لخلافة ابنه يزيد، فهيأ المقدمات اللازمة
التي لابد من اتخاذها لتحكيم الموقف، وان كانت هناك فئة معارضة لما شاهدوه من فجور

---

(١) ارشاد المفيد ١٧٩ / اثبات الهداة ج ٥: ١٦٨ - ٢١٢. اثبات الوصية للمسعودي طبعة طهران ١٣٢٠ صفحة ١٢٥.

يزيد وفسقه. الا انهم لم يسلموا من غضب معاوية وسخطه، فوجه إليهم ضربات قاصمة.
فالحسين عاصر هذه الظروف الحالكة، وتحمل كل أذى من قبل معاوية وأتباعه، حتى جاء
منتصف سنة ستين للهجرة، التي مات فيها معاوية مخلفا ابنه يزيد ١.
كانت البيعة سنة عربية تجري في أمور هامة كالملوكية والامارة وما شابه، فيتقدم السادة وكبار القوم بمد يد البيعة والطاعة للملك أو الأمير، وكان يعتبر التخلف عن البيعة عارا، وتخلفا عن معاهدة رسمية، والبيعة كانت معتبرة في زمن النبي (ص)، وسيرته تؤيد ذلك، هذا إذا كانت تتصف بصفة الاختيار دون الاجبار والاكراه.
لقد أخذ معاوية البيعة من شرفاء القوم ورؤسائهم، الا انه لم يتعرض للحسين (ع)، ولم يحمله بيعة يزيد، وقد أوصى يزيد بعدم التعرض للحسين بن علي، إذا امتنع من البيعة له، فكان معاوية أكثر حنكا في الأمور، وكان يرى العقبات التي تترتب على هذا الامر.
ولكن يزيد لما كان يتصف به من أنانية، نسي وصية أبيه، فأمر والي المدينة بعد وفاة أبيه معاوية ان يأخذ البيعة من الحسين، أو يرسل برأسه إليه ٢.
وبعد ان أبلغ والي المدينة بأمر يزيد، ونقله إلى الإمام الحسين (ع) طلب الحسين (ع) مهلة لدراسة الموضوع، فخرج من المدينة في تلك الليلة، متجها إلى مكة، والتجأ بالكعبة التي هي مأمن المسلمين.
هذا ما حدث أواخر شهر رجب، وأوائل شهر شعبان من سنة ستين للهجرة، والحسين قد قضى ما
يقارب الأربعة أشهر في مكة، في حالة اللجوء

---

(١) ارشاد المفيد ١٨٢ / تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٢٢٦ - ٢٢٨ / الفصول المهمة ١٦٣.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب ج: ٨٨ / ارشاد المفيد صفحة ١٨٢ / الإمامة والسياسة ج ١: ٢٠٣ / تاريخ اليعقوبي ج ٢: ٢٢٩ / الفصل المهمة ١٦٣ / تذكرة الخواص صفحة ٢٣٥.

انتشر النبأ هذا شيئا فشيئا، حتى عم جميع البلدان الاسلامية، فأيد الحسين جمع من الأمة الاسلامية، لما شاهدوه من ظلم وتعسف في زمن معاوية وابنه يزيد.
هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد انهالت الرسائل الواردة من العراق، وخاصة الكوفة على
الحسين بن علي، تطلب منه ان يتجه إلى العراق، ليصبح قائدا لهم، وتتم على يده إزالة معالم الظلم والجور، ومن الطبيعي ان يشعر يزيد بخطورة الموقف.
مكث الحسين في مكة حتى موسم الحج، فكانت تفد جماعات من المسلمين لأداء الفريضة.
علم الحسين بان هناك من أعوان يزيد وعملائه قد وصلوا مكة وهم يرتدون رداء الاحرام،
وقد أخفوا تحته السلاح، لقتله حين قيامه بأداء فريضة الحج ١.
قرر الحسين مغادرة مكة متجها إلى العراق، فوقف خطيبا ١ بين جمع غفير من المسلمين،
فأوجز في خطبته وأعلمهم بسفره إلى العراق، وأشار باستشهاده في هذا الطريق، وطلب العون منهم، في سبيل أهدافه المقدسة، والا يتوانوا عن نصرته ونصرة الاسلام، دين الله الحنيف، وغداة ذاك اليوم، سلك طريق العراق مع أهله وعياله، ونفر من شيعته وأصحابه.
لقد صمم الحسين على عدم البيعة ليزيد، وهو على علم بأن الطريق هذا سينتهي به إلى الاستشهاد وكان يعلم أن الجيش الأموي يتصف بالعدة والعدد، وأنه مؤيد من قبل عامة الناس وخاصة أهل العراق.
جاءت إليه جماعة ممن لهم صلة به، فذكروا له خطورة الموقف

---

(١) ارشاد المفيد ٢٠١.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٨٩.

والسفر الذي هو عازم عليه، والنهضة التي هو قائدها، فأجابهم الحسين (ع)، انني لن أبايع يزيدا، ولا أقر بحكومة جائرة، واني على علم بأنهم يريدون قتلي أينما أقمت، وما تركي لهذه البقعة المكرمة الا حرمة لهذا المكان المقدس (بيت الله الحرام)، والا تهلك حرم الله تعالى، باهراق دمي ١.

سار الحسين إلى العراق، وفي طريقه، وصله نبأ مقتل رسوله ومبعوثه إلى الكوفة، مع أحد

من شيعته، على يد والي يزيد، وقد أمر الوالي بعد قتلهم، أن تربط أرجلهم بالحبال، ويدار بها شوارع الكوفة وأزقتها ٢.

فكانت الكوفة وضواحيها، تحت مراقبة شديدة من قبل الأعداء، تنتظر قدوم الحسين، والأمارات دالة على قتله لا محالة، وهنا أعلن الحسين مصرحا بنبأ قتله دون تردد، واستمر في سيره ٣.

حوصر الحسين (ع) ومن معه من قبل الجيش الأموي، على مسافة سبعين كيلو مترا من مدينة

الكوفة، في منطقة تسمى (كربلاء). فكانت تضيق دائرة الحصار على هؤلاء، ويزداد الجيش

الأموي عددا وعدة، وآل الأمر إلى أن يستقر الامام مع القلة من أصحابه في محاصرة من قبل ثلاثين ألفا من الأعداء ٤.

حاول الامام في هذه الأيام، ان يحكم موقفه، فأخرج من جنده من أخرج، وأمر بأن يجتمع

الأصحاب، فاجتمعوا، فقال الإمام (ع) في خطاب بهم، ان القوم لم يريدوا الا قتلي، وانا رافع بيعتي عنكم، فمن أراد منكم الفرار، فليتخذ الليل له سترا، وينجو بنفسه من الفاجعة الموحشة التي تتربص بنا.

---

(١) ارشاد المفيد ٢٠١ / الفصول المهمة ١٦٨.
(٢) ارشاد المفيد ٢٠٤ / الفصول المهمة ١٧٠ / مقاتل الطالبيين الطبعة الثانية ص ٧٣.
(٣) ارشاد المفيد ٢٠٥ / الفصول المهمة ١٧١ / مقاتل الطالبيين ص ٧٣.
(٤) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٩٨.

فأمر بإطفاء الضياء، وتفرق جمع كثير ممن كان معه، الذين لم تكن أهدافهم سوى المادة
والقضايا المادية، ولم يبق معه الا رائدو الحق ومتبعو الحقيقية، وهم ما يقارب من أربعين شخصا، وعدد من بني هاشم، وللمرة الثانية، جمع الإمام الحسين (ع) أصحابه، فخطب فيهم قائلا:
اللهم إني أحمدك على أن كرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين.
أما بعد، فاني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا، الا واني لا أظن يوما لنا من هؤلاء، الا واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني زمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه
جملا.
فقال له أخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر، لم نفعل ذلك لنبقى بعدك!؟
قال بعضهم: ما نفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد
موردك، فقبح الله العيش بعدك.
فقام مسلم بن عوسجة خطيبا، قال: أنحن نخلي عنك وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك،
اما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم
يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله، لو قد علمت اني اقتل ثم أحيى ثم أحرق ثم أحيى، ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي (الموت) دونك، وكيف لا
افعل ذلك، وانما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابدا ١.
وصل الانذار إلى الامام في عصر يوم التاسع من محرم (اما البيعة أو

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٩٩ / ارشاد المفيد ص ٢١٤.

القتال) من جانب العدو فطلب الامام المهلة لتلك الليلة لغرض العبادة، وقرر القتال ليوم غد ١.

وفي اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هجري قمري استعد الامام مع جمعه القليل (لا يتجاوز عددهم تسعين شخصا، أربعون ممن جاءوا معه، ونيف وثلاثون التحقوا بالامام

في ليلة الحرب ونهارها من جيش الأعداء، والبقية كانوا من الهاشميين، بما فيه ولده وأخوته وأبناء أخوته وأبناء أخواته وأبناء عمومته) استعدوا في معسكر واحد امام العدد الغفير من جيش الأعداء، فاشتعلت نار الحرب.

حارب هؤلاء من الصباح الباكر حتى الظهيرة، واستشهد الامام مع سائر الفتية الهاشميين، فلم يبق منهم أحد، (وكان بين القتلى طفلان للإمام الحسن وطفل ورضيع للإمام الحسين).

أغار الجيش بعد انتهاء الحرب على حرم الامام، وأشعلوا النيران في مخيماتهم وحزوا رؤوس الشهداء وسلبوا ما على أبدانهم من رداء وملابس، وتركوا الأجساد عارية على الأرض، دون ان يواروهم في التراب، ثم ساروا بأهل بيت الامام (حرمه) زوجاته وبناته اللواتي لم يكن لهم مأوى مع رؤوس الشهداء إلى جانب الكوفة (ولم يكن في الأسرى من

الرجال سوى القليل، منهم ابن الإمام وهو السجاد شاب في سن الثانية والعشرين، وقد اشتد عليه المرض، وولده في سن الرابعة (محمد بن علي) الامام الخامس، وكان باقيا أيضا الحسن المثنى ابن الإمام الثاني، والذي كان صهرا للإمام الحسين (ع) وكان قد أصيب بجراح كثيفة في جسمه، وكان طريحا بين القتلى وقد عثروا عليه وهو في آخر رمق

من حياته، ولم يقتل بسبب تشفع أحد الامراء، وكان من جملة الأسرى الذين جاؤوا بهم إلى

الكوفة، ونقلوهم من الكوفة إلى

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٩٨ / ارشاد المفيد ص ٢١٤.

دمشق حيث مستقر يزيد.
وقد فضحت واقعة كربلاء وكذا ما قام به هؤلاء الأسرى من خطب، وهم ينقلون من بلد
إلى بلد، في الكوفة والشام منهم بنت الامام أمير المؤمنين علي (ع) والامام الرابع اللذان كانا من جملة الأسرى، فضحت نوايا بني أمية، وكشفت النقاب عما كان يقوم به
معاوية طوال سنوات عدة، حتى أدى الأمر بيزيد أن يستنكر من عماله وأعوانه في الملاء
العالم من هذه الواقعة المفجعة.
كانت واقعة كربلاء عاملا مؤثرا عجل في إبادة حكومة بني أمية، وساعدت على ترسيخ مبادئ الشيعة وكان من نتائجها الحروب الدامية طوال اثني عشر عاما، وما لازمتها من ثورات وانتفاضات، ولم يخلص أحد ممن ساهم وشارك في مقتل الحسين وأصحابه من الانتقام
والأخذ بالثأر.
وليس هناك أدنى شك لمن يطالع تأريخ حياة الإمام الحسين (ع) ويزيد، والأوضاع في ذلك
الوقت، ويدقق النظر فيها بأنه لم يكن هناك سوى طريق واحد، وهو مقتل الحسين (ع) وما
كانت نتيجة البيعة مع يزيد الا هتكا لحرمات الاسلام، وهذا ما لم يرض به الامام، لأن يزيد لم يحترم الاسلام، ولم يتصف بصفات تجعله يتقيد أو يراعي شيئا منه، ولا يأبى من سحق وإبادة جميع المقدسات والقوانين الاسلامية.
الا ان أسلافه كانوا يحترمون الشعائر الدينية، ولم يخالفوها في الظاهر، وما كانوا يقومون به من اعمال كانت تصطبغ بصبغة دينية، وكانوا يحافظون على المظاهر الدينية،
ويفتخرون بالنبي (ص) وسائر القدوة والزعماء الدينيين الذين كانت لهم منزلة لدى الناس.
ومن هنا يتضح ما يعتقده بعض مفسري الحوادث والوقائع التاريخية بأن الحسن والحسين
كانا يتصفان بصفات متباينة، فالحسن يحبذ الصلح على خلاف الحسين الذي كان يرجح الحرب
والقتال، في حين ان الأول اتخذ جانب الصلح مع معاوية مع ما كان يلازمه من جيش تقدر
عدتهم بأربعين

ألفا، والثاني الحسين نهض بجيشه الذي يتراوح عدده الأربعين في القتال مع يزيد، ومن هنا يتضح سقم هذا التفسير، لأننا نرى الحسين (ع) الذي لم يرضخ تحت حكم يزيد
يوما واحدا، كان يعيش مع أخيه الحسن (ع) (في حدود العشر سنوات في حكم معاوية) ولم
يعلن الحرب على معاوية، ومما لا شك فيه، ان الحسن أو الحسين إذا كانا يريدان الحرب
مع معاوية لكان القتل نصيبهما، فضلا من أن هذا القتل لا ينفع الاسلام والمسلمين بشئ، ولم يجد أي نفع امام سياسة معاوية، الذي كان يصف نفسه بالصحابي وكاتب الوحي وخال المؤمنين، وما شابه ذلك مما اتخذه كوسيلة وذريعة.
هذا وكان بامكانه أن يقتلهم بأيادي مقربيهم، ويبدي حزنه، والانتقام ممن قام بهذا العمل كما فعله مع الخليفة الثالث.

الامام الرابع

الإمام السجاد (علي بن الحسين الملقب بزين العابدين والسجاد).

ولد الامام الرابع، من شاه زنان بنت يزيد جرد ملك إيران، وهو الولد الوحيد الذي بقى للامام الثالث بعد واقعة كربلاء، إذ أن أخوته الثلاثة استشهدوا فيها. وقد شهد الواقعة، ولكنه لم يشارك فيها لمرضه، ولم يكن قادرا على حمل السلاح، فحمل مع الأسرى (الحرم) إلى الشام.
وبعد ان قضى فترة الأسر، أرجع مع سائر الأسرى إلى المدينة، وما ذلك الا لجلب رضى
عامة الناس، عندما رجع الامام الرابع إلى المدينة، اعتزل الناس في بيته، وتفرغ للعبادة، ولم يتصل بأحد سوى الخواص من الصحابة مثل (أبي حمزة الثمالي) و (أبي خالد
الكابلي) وأمثالهم، ولا يخفى ان هؤلاء الخاصة كانوا يوصلون ما يصلهم من الامام من معارف اسلامية إلى الشيعة واتسع نطاق ثقافة الشيعة عن هذا الطريق، فنرى ثماره في زمن الامام الخامس.

ومما الفه وصنفه الامام الرابع كتاب يحتوي على أدعية تعرف به (الصحيفة السجادية) وتشتمل على سبعة وخمسين دعاء، والتي تتضمن أدق المعارف الإلهية ويقال عنها زبور آل
محمد.
كانت مدة إمامته عليه السلام خمسا وثلاثين سنة حسب بعض الروايات الشيعية، ودس إليه
السم ١ على يد الوليد بن عبد الملك وذلك بتحريض من هشام، الخليفة الأموي، سنة ٩٥
للهجرة.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ١٧٦ / دلائل الإمامة ص ٨٠ / الفصول المهمة ص ١٩٠.
الامام الخامس
الإمام محمد بن علي (الباقر) ولفظ باقر يدل على تبحره في العلم، وقد منحه اللقب هذا، النبي الأكرم (ص) ٢.
هو ابن الإمام الرابع، ولد سنة ٥٧ للهجرة، وكان عمره في واقعة كربلاء أربع سنوات، وكان ممن حضرها، نال مقام الإمامة بعد والده، بأمر من الله تعالى، ووصية أجداده.
وفي سنة ١١٤ أو ١١٧ للهجرة (حسب بعض الروايات الشيعية) أصبح مسموما بواسطة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ابن أخ هشام الخليفة الأموي، قضت هذه الحادثة على حياته، فمضى شهيدا.
في عهد الامام الخامس، وعلى أثر ظلم بني أمية، كانت تبرز ثورات متعاقبة في كل قطر من الأقطار الاسلامية، وحدثت الحروب، وكان الاختلاف في حكومة بني أمية ظاهرا، هذا ما كان يشغل الحكومة آنذاك، فكانت نتيجتها ان يخفف من التعرض لأهل البيت، هذا من جهة.
ومن جهة أخرى، ما حدث من واقعة كربلاء، وما أحدثت من مظلومية
(٢) الارشاد للشيخ المفيد ص ٢٤٦ الفصول المهمة ص ١٩٣ / مناقب ابن شهرآشوب.

أهل البيت، متمثلة في الامام الرابع، جعلت المسلمين يتجهون إلى أهل البيت، ويبدون حبهم لهم، واخلاصهم إليهم.
فان هذه العوامل مجتمعة ساعدت على أن ينصرف ذهن العامة إلى أهل البيت، فصاروا يتجهون إلى المدينة حيث الامام الخامس، وكانت العوامل مساعدة في انتشار الحقائق الاسلامية، علوم أهل البيت على يد الإمام الباقر، إذ لم يتحقق لأحد من أجداده، ومما يؤيد هذا الادعاء هو كثرة الأحاديث التي نقلت عن الامام الخامس، وكذا رجال الشيعة الذين تخصصوا في شتى العلوم الاسلامية على يد امامهم، ولا تزال أسماؤهم في كتب الرجال مدرجة ١.

---

(١) ارشاد المفيد ص ٢٤٥ - ٢٥٣ / يراجع كتاب رجال الكشي، تأليف محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، وكتاب رجال الطوسي، تأليف محمد بن حسن الطوسي، وكتاب الفهرست للطوسي وسائر كتب الرجال.

الامام السادس

الإمام جعفر بن محمد الصادق ابن الإمام الخامس، ولد سنة ٨٣ للهجرة، واستشهد بعد أن دس إليه السم، سنة ١٤٨ للهجرة، وذلك بتحريض من المنصور الخليفة العباسي (وفق الروايات الشيعية) ٢.

وفي عهد الامام السادس، وعلى أثر الانتفاضات التي حدثت في الدول الاسلامية، وخاصة قيام مسودة ضد دولة بني أمية للإطاحة بها، والحروب المدمرة التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية وانقراضها، وعلى أثر كل هذا كانت الظروف مواتية ومساعدة لنشر حقائق الاسلام وعلوم أهل البيت التي طالما ساهم في نشرها الامام الخامس طوال عشرين سنة من زمن

(٢) أصول الكافي ج ١: ٤٧٢ / دلائل الإمامة ١١١ / ارشاد المفيد ص ٢٥٤. تاريخ اليعقوبي ج ٣: ١١٩ / الفصول المهمة ٢١٢ / تذكرة الخواص ٣٤٦ مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٢٨٠.

إمامته، وقد تابع الامام السادس عمله في ظروف أكثر ملاءمة، وتفهما.
فاستطاع الامام السادس حتى أواخر زمن إمامته، والتي كانت معاصرة لآخر زمن خلافة بني
أمية وأوائل خلافة بني العباس استطاع ان ينتهز هذه الفرصة، لبث التعاليم الدينية
وتربية العديد من الشخصيات العلمية الفذة في مختلف العلوم والفنون سواء في العلوم
العقلية أو العلوم النقلية.
ومن أشهر أولئك الذين تتلمذوا عند الامام هم: زرارة، ومحمد بن مسلم، ومؤمن الطاق،
وهشام بن الحكم، وأبان بن تغلب، وهشام بن سالم، وحريز، وهشام الكلبي النسابة، وجابر
بن حيان الصوفي، الكيميائي وغيرهم. وقد حضر درسه رجال من علماء إخواننا السنة، مثل
سفيان الثوري وأبي حنيفة، مؤسس المذهب الحنفي، والقاضي المسكوني والقاضي أبي
البختري وغيرهم. والمعروف ان عدد الذين حضروا مجلس الامام وانتفعوا بما كان يمليه
عليهم الامام أربعة آلاف محدث وعالم ١.
وتعتبر الأحاديث المتواترة عن الامامين الباقر والصادق، أكثر مما رويت عن النبي
الأكرم والعشرة من الأئمة الهداة.
لكن الأمر قد تغير في أخريات حياته، حيث الاختناق والتشديد من قبل المنصور الخليفة
العباسي، فقام بايذاء السادة العلويين وعرضهم لأعنف أنواع التعذيب وأقساها وقتل
بعضهم، مما لم يشاهد نظيره في زمن الأمويين مع ما كانوا يتصفون به من قساوة وتهور.
مارس العباسيون القتل الجماعي للعلويين وذلك بسجنهم في سجون مظلمة، وتعذيبهم
والقضاء على حياتهم.
كما أنهم قاموا بدفنهم وهم أحياء، في أسس الأبنية والجدران ٢.
أصدر المنصور أمرا طلب فيه جلب الامام السادس من المدينة (وكان

---

(١) ارشاد المفيد ص ٢٥٤ / الفصول المهمة ص ٢٠٤. مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٢٤٧.
(٢) الفصول المهمة ص ٢١٢ / دلائل الإمامة ص ١١١ / اثبات الوصية ص ١٤٢.

الامام قد أحضر إلى العراق مرة بأمر من السفاح الخليفة العباسي، وقبل ذلك قد أحضر إلى دمشق بأمر من هشام الخليفة الأموي، مع الامام الخامس).
بقي الامام مدة من الزمن تحت المراقبة، وقد عزموا على قتله عدة مرات، وتعرضوا لأذاه، وفي نهاية الأمر سمحوا له بالعودة إلى المدينة، فرجع، وقضى بقية عمره هناك، مراعيا التقية، منعزلا في داره، حتى استشهد على يد المنصور بدسه السم إليه.
وبعد وصول نبأ استشهاد الامام إلى المنصور، أمر واليه في المدينة ان يذهب إلى دار الامام بحجة تفقده لأهل بيته، طالبا وصية الامام ليطلع على ما وصى الامام ومن هو خليفته من بعده، ليقضي عليه ويقتله في الحال أيضا.
وكان المنصور يهدف من وراء ذلك القضاء تماما على موضوع ومسألة الإمامة والتشيع معا.
ولكن الامر كان خلافا لتآمر المنصور، وعندما حضر الوالي وفقا للأوامر المرسلة إليه، قرأ الوصية، رأى أن الامام قد أوصى لخمس، الخليفة نفسه، ووالي المدينة وعبد الله الأفطح ابن الإمام الأكبر وموسى ولده الأصغر وحميدة ابنته، وبهذا باءت مؤامرة المنصور بالفشل ١.

---

(١) أصول الكافي ج ١: ٣١.
الامام السابع
الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) ابن الإمام السادس ولد سنة ١٢٨ للهجرة، وتوفي سنة ١٨٣ أثر اعطائه السم في السجن ٢، تولى منصب الإمامة بعد أبيه بأمر من الله ووصية أجداده.
(٢) أصول الكافي ج ١: ٤٧٦ / ارشاد المفيد ٢٧٠. الفصول المهمة ٢١٤ - ٢٢٣ / دلائل الإمامة ١٤٦ - ١٤٨. تذكرة الخواص ٣٤٨ - ٣٥٠ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٢٤. تاريخ اليعقوبي ج ٣: ١٥٠.

عاصر الامام السابع من الخلفاء العباسيين المنصور والهادي والمهدي وهارون، عاش في
عهد مظلم مقرون بالصعوبات، بما كان يبديه من تقية، حتى سافر هارون إلى الحج، وتوجه
إلى المدينة، ألقى القبض على الامام في الوقت الذي كان مشغولا بالصلاة في مسجد جده
النبي الأكرم (ص) نقل إلى السجن بعد أن قيد بالأغلال، ثم نقل إلى البصرة ومنها إلى بغداد وظل ينقل به من سجن لآخر سنوات عدة، وفي نهاية الأمر قضى عليه بالسم في سجن
سندي بن شاهك ١، ودفن في مقابر قريش، والتي تسمى اليوم بمدينة الكاظمية.

---

(١) ارشاد المفيد ٢٧٩ - ٢٨٣ / دلائل الإمامة ١٤٨ - ١٥٤. الفصول المهمة ٢٢٢ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٢٣ - ٣٢٧ / تاريخ اليعقوبي ج ٣: ١٥٠.

الامام الثامن

الإمام علي بن موسى (الرضا) ابن الإمام السابع ولد سنة ١٤٨ للهجرة (على أشهر التواريخ) وتوفي سنة ٢٠٣ هجري.

نال منصب الإمامة بعد أبيه الامام السابع بأمر من الله ونص أجداده، وقد عاصر زمنا هارون الرشيد الخليفة العباسي وبعده ابنه الأمين ثم المأمون.

بعد وفاة هارون الرشيد، حدث خلاف بين المأمون والأمين، أدى إلى حروب بينهما، وكان نتيجتها مقتل الأمين واستيلاء المأمون على عرش الخلافة ٣.

وحتى ذلك الوقت كانت سياسة بني العباس بالنسبة إلى السادة العلويين سياسة قاسية، يلازمها القتل والإبادة، وكانت تزداد شدة وعنفا، و

(٣) أصول الكافي ج ١: ٤٨٨ / الفصول المهمة ٢٣٧.

(٢) أصول الكافي ج ١: ٤٨٦ / ارشاد المفيد ٢٨٤ - ٢٩٦. دلائل الإمامة ١٧٥ - ١٧٧ / الفصول المهمة ٢٢٥ - ٢٤٦. تاريخ اليعقوبي ج ٣: ١٨٨.

بين فترة وأخرى كان يثور ثائر من العلويين، بما فيها الحروب الدامية، وهذا ما كان يحدث اضطرابا ومشاكل للدولة والخلافة آنذاك.
ومع أن أئمة الشيعة من أهل البيت، لم يكونوا على اتصال بالثائرين، لكن الشيعة مع قلة عددهم في ذلك اليوم كانوا يعتبرون الأئمة هم الهداة إلى الدين ومفترضو الطاعة والخلفاء الحقيقيون للنبي الأكرم (ص)، وكانوا ينظرون إلى الدولة والخلافة العباسية انها تمتاز بما كان يمتاز به كسرى وقيصر وانها تساس بيد فئة لا صلة لها بالاسلام، وان هذه الأجهزة التي تسوس البلاد بعيدة كل البعد عما يتصف به زعماؤهم الدينيون، هذا مما كان يشكل خطرا على الخلافة، ويهددها بالسقوط والزوال.
فكر المأمون في هذه المشاكل والفتن، ورأى أن يبدي سياسة جديدة، بعد أن كانت سياسة
أسلافه طوال سبعين سنة سياسة عقيمة لا جدوى فيها. فأظهر سياسته الخادعة بأن يجعل
الامام الثامن ولي عهد له، وبهذه الطريقة سوف يقضي على كل فتنة ومشكلة، والسادة من
العلويين إذا وجدوا لهم مقاما في الدولة فإنهم لم يحاولوا الثورة أو القيام ضدهم، والشيعة أيضا عندما يشاهدون دنو امامهم من الخلافة التي طالما كانوا يعتبرونها رجسا والقائمين بأمور الخلافة فاسقين، عندئذ سيفقدون ذلك التقدير والاحترام المعنوي لأئمتهم الذين هم أهل البيت، وسرعان ما يسقط حزبهم الديني، ولا يواجه الخلفاء خطرا من هذه الجهة ١.
ومن البديهي بعد أن يحصل المأمون على ما كان يهدف إليه، فان قتل الامام لم يكن بالأمر الصعب، ولغرض تحقق هذه المؤامرة أحضر الامام من المدينة إلى مرو، اقترح عليه
الخلافة أولا ثم ولاية العهد ثانيا، فاعتذر الامام، ولكنه استخدم شتى الوسائل لاقناع الامام، وافق الامام بشرط الا يتدخل في

---

(١) دلائل الإمامة ١٩٧ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٦٣.

شؤون الدولة وكذا في عزل أو نصب أحد من المسؤولين ١.
هذا ما حدث سنة ٢٠٠ للهجرة، ولم تمض فترة حتى شاهد المأمون التقدم السريع للشيعة،
وتزايد ارتباطهم وعلاقتهم بالنسبة للامام، وحتى العامة من الناس والجيش والمسؤولين مسؤولي شؤون الدولة. عندئذ التفت المأمون إلى خطورة اشتباهه، وحاول ان يقف امام هذا
التيار، فقتل الامام بعد أن دس إليه السم.
دفن الامام الثامن بعد استشهاده في مدينة (طوس) في إيران، وتعرف اليوم بمدينة مشهد.
كان المأمون يبدي عنايته ورعايته لترجمة العلوم العقلية إلى اللغة العربية، وكان يقيم المجالس العلمية، يحضره علماء الأديان والمذاهب، وتجري فيها المناظرات العلمية، والمأمون أيضا كان يشارك في هذه المجالس، ويشترك في مناظرة علماء الأديان
والمذاهب، وقد دونت العديد منها في كتب أحاديث الشيعة ٢.

---

(١) أصول الكافي ج ١: ٤٨٩ / ارشاد المفيد ٢٩٠ / الفصول المهمة ٢٣٧. تذكرة الخواص ٣٥٢ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٦٣.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٥١ / كتاب الاحتجاج لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي طبع النجف سنة ١٣٨٥ هجري ج ٢: ١٧٠ - ٢٣٠.

الامام التاسع

الإمام محمد بن علي (التقي، ويلقب بالامام الجواد أو ابن الرضا أحيانا) ابن الإمام الثامن، ولد في المدينة سنة ١٩٥ هجري، واستشهد (سنة ٢٢٠) بتحريض من المعتصم الخليفة العباسي على يد زوجته بنت المأمون، ودفن إلى جوار جده الامام السابع في مدينة الكاظمية.
حاز درجة الإمامة الرفيعة بأمر من الله ووصية أجداده، كان الامام

التاسع في المدينة عندما توفي أبوه الامام الثامن، أحضره المأمون إلى بغداد عاصمة خلافته آنذاك، والظاهر أن المأمون أبدى احترامه وعطفه للجواد، وزوجه ابنته، وأبقاه عنده في بغداد، وفي الحقيقة أراد ان يراقب الامام من الخارج والداخل مراقبة كاملة.
مكث الامام التاسع زمنا في بغداد، ثم طلب من المأمون الرحيل إلى المدينة، وبقي فيها (المدينة) حتى أواخر عهد المأمون، وفي زمن المعتصم الذي استخلف المأمون، أحضر
الإمام الجواد إلى بغداد مرتين، وكان تحت المراقبة الشديدة، وفي النهاية – كما ذكر – استشهد بدس السم إليه بتحريض من المعتصم على يد زوجة الامام ١.

---

(١) ارشاد المفيد ٢٩٧ / أصول الكافي ج ١: ٤٩٢ – ٤٩٧ / دلائل الإمامة ٢٠١ – ٢٠٩.
مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٣٧٧ – ٣٩٩ / الفصول المهمة ٢٤٧ – ٢٥٨ تذكرة الخواص ٣٥٨.
الامام العاشر
الإمام علي بن محمد (التقي ويلقب بالهادي أيضا) ابن الإمام التاسع، ولد سنة ٢١٢ هجري، في المدينة، واستشهد سنة ٢٥٤ هجري، (وفقا للروايات الشيعية) بأمر من المعتز الخليفة العباسي ٢.
عاصر الامام سبعا من خلفاء بني العباس، المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز.
وفي عهد المعتصم سنة ٢٢٠ هجري عندما استشهد أبوه في بغداد بواسطة السم الذي دس إليه، كان الامام العاشر في المدينة، نال منصب الإمامة بأمر من الله تعالى ووصية أجداده، فقام بنشر التعاليم الاسلامية حتى زمن المتوكل.
أرسل المتوكل أحد الأمراء إلى المدينة لجلب الامام من هناك إلى
(٢) أصول الكافي ج ١: ٤٩٧ – ٥٠٢ / ارشاد المفيد ٣٠٧ / دلائل الإمامة ٢١٦ – ٢٢٢ / الفصول المهمة ٢٥٩ – ٢٦٥ / تذكرة الخواص ٣٦٢ مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٤٠١ – ٤٢٠.

سامراء حاضرة حكومته وذلك سنة ٢٤٣ أثر سعاية بعض الأعداء، وكتب إلى الامام رسالة
يظهر فيها احترامه وتقديره له، مطالبا فيها التوجه إلى العاصمة ١. وبعد وصول الامام إلى سامراء لم يكن هناك ما يجلب النظر من تضييق على الامام في بداية الامر. الا ان الخليفة سعى في اتخاذ شتى الطرق والوسائل لايذاء الامام، وهتك حرمته، فقام رجال الشرطة بتفتيش دار الامام بأمر من الخليفة.
كان المتوكل أشد عداء لأهل البيت من سائر خلفاء بني العباس، وخاصة بالنسبة للإمام علي
بن أبي طالب عليه السلام، وكان يعلن عداءه وتنفره لعلي، فضلا عن الكلام
البذئ الذي كان يتفوه به أحيانا وكان قد عين شخصا يقلد اعمال الإمام علي (ع) في مجالسه ومحافله، ويستهزئ وينال من تلك الشخصية العظيمة.
وأمر بتخريب قبة الإمام الحسين وضريحه والكثير من الدور المجاورة له، وأمر بفتح المياه على حرم الامام وقبره، وأبدلت أرضها إلى ارض زراعية كي يقضوا على جميع معالم
هذا المرقد الشريف ٢.
وفي زمن المتوكل أصبحت حالة السادة العلويين في الحجاز متدهورة يرثى لها، كانت نساؤهم تفتقر إلى ما يسترها والأغلبية منها كانت تحتفظ بعباءة بالية، يتبادلنها في أوقات الصلاة لأجل إقامتها ٣ وكان الوضع لا يقل عن هذا في مصر بالنسبة إلى السادة العلويين.
كان الامام العاشر متحملا صابرا لكل أنواع هذا الاضطهاد والأذى

---

(١) ارشاد المفيد ٣٠٧ - ٣١٣ / أصول الكافي ج ١: ٥٠١ / الفصول المهمة ٢٦١ / تذكرة الخواص ٣٥٩ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٤١٧ / اثبات الوصية ص ١٧٦ / تاريخ اليعقوبي ج ٣: ٢١٧.
(٢) مقاتل الطالبيين ٣٩٥.
(٣) مقاتل الطالبيين ٣٩٥ - ٣٩٦.

وبعد وفاة المتوكل جاء كل من المنتصر والمستعين والمعتز إلى منصة الخلافة، واستشهد
الامام بأمر من المعتز الخليفة العباسي.
الامام الحادي عشر
الإمام الحسن بن علي (العسكري) ابن الإمام العاشر ولد سنة ٢٣٢ هجري، وفي سنة ٢٦٠
هجري، (وفقا لبعض الروايات الشيعية) دس إليه السم بايعاز من المعتمد الخليفة العباسي، وقضى نحبه مسموما ١.
الامام الحادي عشر جاء إلى مقام الإمامة بعد أبيه بأمر من الله تعالى وحسب ما أوصي به أجداده الكرام. وطوال مدة خلافته التي لا تتجاوز السبع سنين كان ملازما التقية، وكان منعزلا عن الناس حتى الشيعة، ولم يسمح الا للخواص من أصحابه بالاتصال به، مع
كل هذا فقد قضى زمنا طويلا في السجون ٢.
والسبب في كل هذا الاضطهاد هو:
أولا: كان قد وصل عدد الشيعة إلى حد يلفت الانظار، وان الشيعة تعترف بالإمامة، وكان هذا الأمر واضحا جليا للعيان، وان أئمة الشيعة كانوا معروفين، فعلى هذا كانت الحكومة آنذاك تتعرض للأئمة أكثر من ذي قبل وتراقبهم، وكانت تسعى للإطاحة بهم وابادتهم بكل الوسائل الخفية.
ثانيا: قد اطلعت الدولة العباسية ان الخواص من الشيعة تعتقد ان هناك ولدا للامام الحادي عشر، وطبقا للروايات التي تنقل عن الإمام الهادي، وكذا من أجداده، يعرفونه ب (المهدي الموعود) وقد أخبر عنه النبي

---

(١) ارشاد المفيد ٣١٥ / دلائل الإمامة ٢٢٣ / الفصول المهمة ٢٦٦ - ٢٧٢. مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٤٢٢ / أصول الكافي ج ١: ٥٠٣.
(٢) ارشاد المفيد ٣٢٤ / أصول الكافي ج ١: ٥١٢ / مناقب ابن شهرآشوب ج ٤: ٤٢٩ و ٤٣٠.

الأكرم (ص) ١ بموجب الروايات المتواترة عن الطريقين العامة والخاصة، ويعتبرونه الامام الثاني عشر لهم.
ولهذا السبب كان الامام الحادي عشر أكثر مراقبة من ساير الأمة، فصمم خليفة الوقت ان
يقضي على موضوع الإمامة عند الشيعة بكل وسيلة تقتضي الضرورة لذلك، وبهذا يغلق هذا
البحث الذي طالما كان مثارا لإزعاجهم.
ولما سمع المعتمد الخليفة العباسي بمرض الامام الحادي عشر أرسل إليه الأطباء مع عدد
من القضاة ومن يعتمد عليهم كي يراقبوا الامام عن كثب وما يجري في داره، وبعد استشهاد الامام ووفاته، فتشوا البيت بدقة، وفحصوا الجاريات اللواتي كن يخدمن في بيت
الامام بواسطة الممرضات (القابلات)، وبقوا يبحثون عن خلف للامام لمدة سنتين حتى استولى عليهم اليأس ٢.
دفن الامام الحادي عشر بعد وفاته في داره في مدينة سامراء بجوار مدفن أبيه.
ولا يخفى ان أئمة أهل البيت طوال حياتهم علموا وربوا العديد من العلماء
والمحدثين، إذ يصل عددهم المئات، ومراعاة للاختصار لم نستعرض فهرست أسماء هؤلاء
ومؤلفاتهم والآثار العلمية التي تركوها، وشرحا لأحوالهم ٣.

---

(١) يراجع صحيح الترمذي ج ٩، باب ما جاء في المهدي / صحيح أبي داود ج ٢ كتاب المهدي / صحيح ابن ماجة ج ٢ باب خروج المهدي. كتاب ينابيع المودة / كتاب البيان في اخبار صاحب الزمان لمؤلفه محمد بن يوسف الشافعي / كتاب نور الأبصار لمؤلفه الشبلنجي / كتاب مشكاة المصابيح لمؤلفه محمد بن عبد الله الخطيب / كتاب الصواعق المحرقة تأليف ابن حجر / كتاب اسعاف الراغبين لمؤلفه محمد الصبان / كتاب الفصول المهمة / صحيح مسلم / كتاب الغيبة تأليف محمد بن إبراهيم النعماني / كمال الدين تأليف الشيخ الصدوق / اثبات الهداة لمؤلفه محمد بن حسن الحر العاملي / بحار الأنوار لمؤلفه العلامة المجلسي ج ٥١، ٥٢.
(٢) أصول الكافي ج ١: ٥٠٥ / ارشاد المفيد ٣١٩.
(٣) يراجع كتاب رجال الكشي ورجال الطوسي وفهرست الطوسي وسائر كتب الرجال.

الامام الثاني عشر
الإمام المهدي الموعود (ويذكر بامام العصر وصاحب الزمان غالبا) ابن الإمام الحادي عشر، اسمه يطابق النبي الأكرم (ص) ولد في سامراء سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هجري.
وكان يعيش تحت رعاية والده حتى سنة ٢٦٠ هجري حيث استشهاد والده، وكان مختفيا عن
أنظار العامة، ولم يفلح أحد بلقائه والاتصال به الا الخواص من الشيعة.
وبعد استشهاد والده، أنيطت به مهمة الإمامة، وبأمر من الله تعالى، اختار الغيبة، ولم يظهر للعيان الا مع نوابه الخواص وفي موارد استثنائية ١.

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ صفحة ٢ - ٣٤ و ٣٤٣ - ٣٦٦. كتاب الغيبة تأليف محمد بن حسن الطوسي الطبعة الثانية صفحة ٢١٤ - ٢٤٣. كتاب اثبات الهداة ج ٦ و ٧.
النواب الخواص
عين الإمام المهدي عثمان بن سعيد العمري نائبا خاصا له والذي كان من أصحاب جده وأبيه وكان ثقة أمينا، وكان الامام يجيب على أسئلة الشيعة عن طريق هذا النائب الخاص.
وبعد عثمان بن سعيد استخلف ابنه محمد بن عثمان، وبعد وفاة محمد بن عثمان العمري، استناب أبو القاسم حسين بن روح النوبختي.
وبعد وفاة حسين بن روح النوبختي أصبح علي بن محمد السمري نائبا خاصا للإمام المهدي . وفي أخريات حياة علي بن محمد السمري إذ لم يبق من حياته سوى أيام قلائل (سنة ٣٢٩ هجري) صدر توقيع من الناحية المقدسة، فيه

ابلاغ لعلي بن محمد السمري بأنه سيموت ويودع هذه الحياة بعد ستة أيام، وبعدها تنتهي
النيابة الخاصة، وتقع الغيبة الكبرى، وستستمر حتى يأذن الله تعالى بالظهور ١.
وحسب هذا التوقيع تنقسم غيبة الامام إلى قسمين:
الأول: الغيبة الصغرى، بدأت سنة ٢٦٠ هجري، وانتهت في سنة ٣٢٩، واستمرت حوالي سبعين
عاما.
الثاني: الغيبة الكبرى، والتي بدأت سنة ٣٢٩، وستستمر حتى يأذن الله تعالى، ويروى عن
النبي الكريم (ص) في حديث متفق عليه (لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتي ومن أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) ٢.

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ / الغيبة تأليف الشيخ الطوسي ص ٢٤٢.
(٢) الفصول المهمة صفحة ٢٧١.

٩. بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر العامة

وكما أشرنا في بحث النبوة والإمامة، وفقا لقانون الهداية العامة الجارية في جميع أنواع الكائنات، فالنوع الانساني منه مجهز بحكم الضرورة بقوة (قوة الوحي والنبوة) ترشده إلى الكمال الانساني والسعادة النوعية، وبديهي ان الكمال والسعادة لو لم يكونا أمرين ممكنين للانسان الذي تعتبر حياته حياة اجتماعية، لكان أصل التجهيز لغوا وباطلا، ولا يوجد لغو في الخلقة مطلقا.

وبعبارة أخرى، ان البشر منذ ان وجد على ظهر البسيطة كان يهدف إلى حياة اجتماعية مقرونة بالسعادة وكان يعيش لغرض الوصول إلى هذه

المرحلة، ولم لم تتحقق هذه الأمنية في الخارج، لما منى الانسان نفسه بهذه الأمنية.
فلو لم يكن هناك غذاء لم يكن هناك جوع، وإذا لم يكن هناك ماء، لم يكن عطش وإذا لم
يكن تناسل، لم تكن علاقة جنسية.
فعلى هذا وبحكم الضرورة (الجبر) فان مستقبل العالم سيكشف عن يوم، يهيمن فيه العدل
والقسط على المجتمع البشري، ويتعايش أبناء العالم في صلح وصفاء ومودة ومحبة، تسودهم
الفضيلة والكمال.
وطبيعي ان استقرار مثل هذه الحالة بيد الانسان نفسه، والقائد لمثل هذا المجتمع سيكون منجي العالم البشري، وعلى حد تعبير الروايات سيكون (المهدي).
ونجد الأديان والمذاهب المختلفة القائمة في العالم مثل الوثنية، واليهودية والمسيحية والمجوسية والاسلام تبشر بمصلح ومنج للبشرية، وان اختلف في تصوره وما
حديث النبي الكريم (ص)، المتفق عليه (المهدي من ولدي) الا إشارة إلى هذا المعنى.

١٠. بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر الخاصة
الشيعة في الاسلام

فضلا عن الروايات المتزايدة عن طريق العامة والخاصة، والتي تروى عن النبي الأكرم (ص) وأئمة أهل البيت (ع) في ظهور المهدي (ع) وأنه من سلالة النبي (ص)، ومع ظهوره،
سيؤدي بالمجتمع البشري إلى كماله الواقعي والحقيقي، وسيمنحها الحياة المعنوية ١، فان
هناك روايات متضافرة

---

(١) وعلى سبيل المثال قال أبو جعفر (ع): إذا قام قائمنا، وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وكملت به أحلامهم، بحار الأنوار ج ٥٢ صفحة ٣٢٨ و ٣٢٦. قال أبو عبد الله (ع): العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسول حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا اخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا بحار الأنوار ج ٥٢ صفحة ٣٣٦.

أخرى تشير إلى أن المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري (الامام الحادي عشر) بلا فصل ١، وبعد الغيبة الكبرى سيظهر، ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

---

١) وعلى سبيل المثال أيضا: قال علي بن موسى الرضا (ع) في حديث: إلى أن قال، الإمام بعدي محمد ابني وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، واما متى فقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي انه قيل يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والأرض لا يأتيكم الا بغتة. بحار الأنوار ج ٥١ صفحة ١٥٤. صفر بن أبي دلف قال سمعت أبا جعفر محمد بن الرضا (ع) يقول (الإمام بعدي ابني علي، امره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي، والامام بعده ابنه الحسن، امره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت، فقلت له يا ابن رسول الله فمن الامام بعد الحسن؟ فبكى بكاء شديدا ثم قال: ان من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر - بحار الأنوار ج ٥١ صفحة ١٥٨.
قال موسى بن جعفر البغدادي سمعت أبا محمد الحسن بن علي يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني اما ان المقر بالأئمة بعد رسول الله والمنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة محمد رسول الله والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا اما ان لولدي غيبة يرتاب فيها الناس الا من عصمه الله - بحار الأنوار ج ٥١ صفحة ١٦٠.

رد على الشبهات
يعترض مخالفو الشيعة بأنه وفقا لاعتقاد هذه الطائفة، يجب ان يكون عمر الامام الغائب ما يقرب من اثني عشر قرنا، في حين ان الانسان لا يستطيع ان يعمر هكذا.
الجواب: الاعتراض هذا مبني على الاستبعاد، وان العمر الطويل كهذا يستبعد، لكن الذي
يطالع الأخبار الواردة عن الرسول الأعظم في خصوص الامام الغائب، وكذا سائر أئمة أهل البيت
(ع) سيلاحظ ان نوع الحياة للامام الغائب تتصف بالمعجزة خرقا للعادة، وطبيعي ان خرق العادة ليس بالأمر المستحيل ولا يمكن نفي خرق العادة عن طريق العلم مطلقا.
لذا لا تنحصر العوامل والأسباب التي تعمل في الكون في حدود مشاهدتنا والتي تعرفنا عليها، ولا نستطيع نفي عوامل أخرى وهي بعيدة كل البعد عنا ولا علم لنا بها، أو أننا لا نرى آثارها وأعمالها، أو نجهلها، من هذا يتضح امكان ايجاد عوامل في فرد أو افراد من البشر بحيث تستطيع تلك العوامل ان تجعل الانسان يتمتع بعمر طويل جدا قد يصل إلى
الألف أو آلاف

من السنوات، فعلى هذا فان عالم الطب لم ييأس حتى الان من كشف طرق لإطالة عمر الانسان.
وهذا الاعتراض من الذين يعتقدون بالكتب السماوية كاليهودية والمسيحية والاسلام وفقا لكتبهم السماوية، ويقرون المعجزات وخرق العادات التي كانت تتحقق بواسطة أنبياء الله تعالى، بشكل يثير الاعجاب والاستغراب.
يعترض مخالفو الشيعة من أن الشيعة تعتبر لزوم وجود الامام لبيان احكام الدين وحقائقه، وارشاد الناس وهدايتهم، فان غيبة الامام تناقض هذا الغرض، لأن الامام الذي قد غاب عن الأنظار ولا توجد أية وسيلة للوصول إليه، لا يترتب على وجوده أي نفع أو
فائدة، وإذا كان الله سبحانه يريد اصلاح البشرية بواسطة شخص، فإنه لقادر على خلقه عند اقتضاء الضرورة لذلك، ولا حاجة إلى خلقه قبل وقته وقبل الاحتياج إليه بآلاف السنوات.
الجواب: ان مثل هؤلاء لم يدركوا حقيقة معنى الإمامة، واتضح في مبحث الإمامة، ان وظيفة الامام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الإلهية بشكلها الصوري، ولم يقتصر
على ارشاد الناس من الناحية الظاهرية، فالامام فضلا عن توليه ارشاد الناس الظاهري، يتصف بالولاية والارشاد الباطني للأعمال أيضا، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس، ويتقدم بحقائق الأعمال إلى الله جل شأنه.
بديهي ان حضور أو غيبة الامام الجسماني في هذا المضمار ليس له أي تأثير، والامام عن
طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها، وان بعد عن الأنظار وخفي عن الأبصار، فان
وجوده لازم دائما، وان تأخر وقت ظهوره واصلاحه للعالم.

الخاتمة: البلاغ المعنوي للشيعة
البلاغ المعنوي للشيعة الموجه للناس كافة، لا يزيد على جملة وهي اعرفوا الله وبتعبير آخر، اسلكوا طريق معرفة الله كي تسعدوا وتفلحوا، وهذه هي العبارة التي قالها النبي الأكرم (ص) في بداية دعوته: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.
كي يتضح هذا البلاغ نقول مجملا:
نحن البشر بحسب الطبع، نهوى الكثير من مناحي الحياة، ولذائذها المادية، كالأكل والشرب والألبسة الفاخرة، والقصور والمناظر الخلابة والزوجات الحسناوات والأصدقاء
المخلصين، والثروات الطائلة، اما عن طريق القدرة والسياسة، والمقام واتساع السلطة والحكومة، أو القضاء على كل ما يخالف مأربنا الذي نطمح الوصول إليه.
ولكننا ندرك جيدا مع ما أوتينا من فطرة إلهية، ان هذه الأمور واللذائذ كلها خلقت لأجل الانسان، لا ان الانسان خلق لها، ويجب ان تكون هذه في طلب الانسان، لا الانسان
يسعى في طلبها، وإذا ما كان الهدف الغائي هو الغريزة والشهوات فهذا هو منطق الحيوانات والأنعام، وما القتل والفتك

والإطاحة بسعادة الآخرين الا منطق الذئاب، واما منطق الانسان فيبتني على العقل والعلم فحسب.
ان منطق العقل، والالتفات إلى واقعنا، يدعونا إلى اتباع الحق، لا اتباع هوى النفس، ان أنواع الشهوات وحب الذات والأنانية، تعتبر حسب منطق العقل الانساني جزء من عالم
الطبيعة وليس لها أي استقلال، وعلى خلاف ما يتصوره الانسان من أنه هو الحاكم للطبيعة والكون، ويظن ان الطبيعة الطاغية يجب ان تكون أداة طيعة له.
ان منطق العقل يدعو الانسان إلى التفكر والتعمق في هذه الحياة الغابرة كي يتضح ان الوجود وما فيه لم يكن ليوجد من تلقاء نفسه، بل إن الكون وما فيه يستلهم وجوده من منبع ومصدر غير متناه.
ولكي يظهر جليا فان الجمال والقبح والكائنات الأرضية والسماوية والتي تظهر بصورها الواقعية المستقلة في نظر الانسان، ما هي الا واقعيات تظهر إلى الوجود بوجود
واقعيات أخرى، وما ظهورها الا ظهور تلك الواقعيات وليست واقعيتها من أنفسها، وكما أن
الواقعيات والقدرات العظيمة التي كانت تتمتع بالوجود أمس لم تصبح الا أسطورة، فكذلك الواقعيات اليوم أيضا، والنتيجة ان كل شئ في حدوده وعند نفسه لا يتجاوز الأسطورة؟.
ان الله جل وعلا هو الواقعية التي لا تزول، وكل ما في الوجود يستمد وجوده منه، ولولا
وجود الله لما ظهرت هي إلى الوجود.
وعندما يتسلح الانسان بهذه المعرفة، عندئذ لا يشاهد وجوده أكثر من فقاعة، فيرى ببصيرته ان العالم والعالمين، يرتكزان على وجود غير محدود، وغير متناه من حيث الحياة والقدرة والعلم والكمال المطلق، وما ظهور الانسان وسائر ظواهر العالم الا نوافذ شتى، وكل حسب امكاناته يدل على العالم الأخروي وما وراء الطبيعة.

وعندها يفقد الانسان كل أصالة واستقلال لنفسه، وكذا كل كائن ويردها إلى صاحبها الأصلي والأصيل، ويتصل القلب بالله الأحد، ولا يستسلم لشئ سوى لعظمة الله تعالى وكبريائه.
وعندها يستقر الانسان تحت قدرة الله الخالق وهيمنته، فكل ما يتعرف عليها يعرفها مع الله تعالى، ويتصف بالأخلاق الفاضلة والأعمال الحسنة (الاسلام، والتسليم للحق الذي هو الفطرة) برعاية الله وعنايته.
وهذه هي الدرجة الرفيعة والكمال الانساني ومقام الانسان الكامل، أي مقام الامام، والذي قد وصل إليه وناله برعاية من الله تعالى وعنايته، والذين يسعون للوصول إلى هذه المرتبة الرفيعة والكمال الشامخ، مع اختلاف في درجاتهم يعتبرون التابعين الحقيقيين للامام.
ويتضح مما سبق، ان معرفة الله تعالى ومعرفة الإمامة، لا تنفصلان، كما أن معرفة الله ومعرفة النفس لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، ان الذي عرف وجوده المجازي، سيكون عارفا
بوجود الله الغني.